إلى
لقاء المؤمنين
وبناء الجيل المؤمن

ديــوان

الأرضُ المباركةُ

شعــر

الدكتور عدنان علي رضا النحوي

الطبعة السادسة
١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م

دار النحوي
للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى
١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م

الطبعة الثانية
١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م

الطبعة الثالثة
١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م

الطبعة الرابعة
١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م

الطبعة الخامسة
١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م

الطبعة السادسة
١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م

AL-NAHWI

دار النحوي للنشر والتوزيع
ص.ب ١٨٩١ ـ الرياض ١١٤٤١
الهاتف والفاكس: ٤٠١٠٢٥٧
المملكة العربية السعودية

ديـــوان

الأرض المباركة

النحوي، عدنان علي

ديوان الأرض المباركة، شعر. – ط ٦.

٢٧٢ ص؛ ١٧سم X ٢٤سم

ردمك: ٦ – ٢٣ – ٦٨٧ – ٩٩٦٠

– السعودية ـ الشعر العربي ـ دواوين وقصائد

أ– العنوان

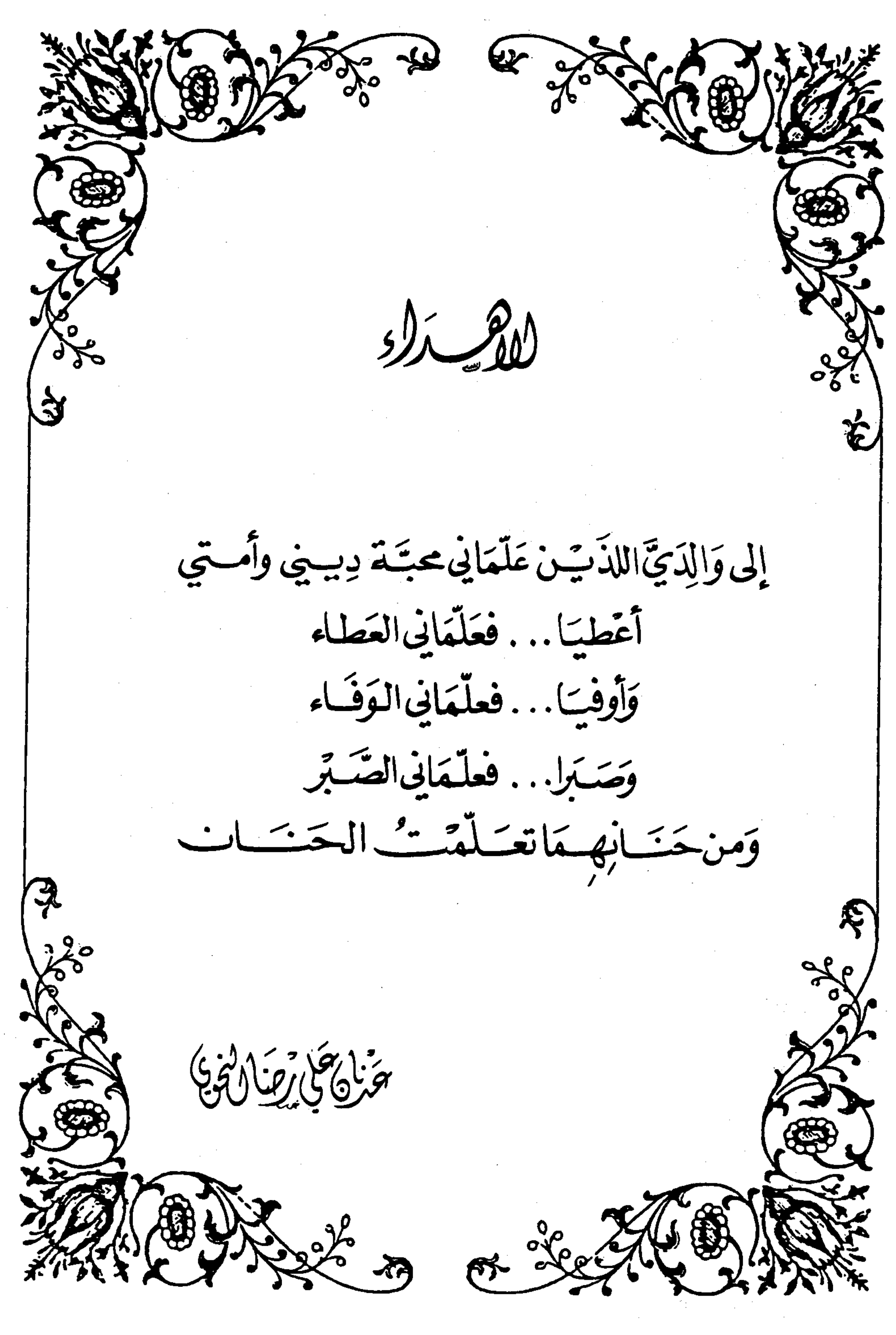
ديوي ٨١١.٩٥٣١ ١٤/٢٠١٧

رقم الإيداع: ١٤/٢٠١٧

ردمك: ٦ – ٢٣ – ٦٨٧ – ٩٩٦٠


الله
بسم الله الرحمن الرحيم
﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلًا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ
إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِى بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ
هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١ ﴾
سُورَةُ الإسْرَاءِ





الإهداء

إلى والديّ اللذين علّماني محبة ديني وأمتي

أعطيا... فعلّماني العطاء

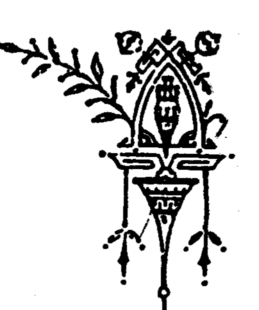
وأوفيا... فعلّماني الوفاء

وصبرا... فعلّماني الصّبر

ومن حنانهما تعلّمتُ الحنان

حنان علي رضا النحوي





شكر وتقدير

أقدّم شكري وتقديري الى الأخوة الأساتذة رجال الأدب والفكر والصحافة الذين تلطفوا بدراسة هذا الديوان فكتبوا أو تحدثوا عنه في وسائل الإعلام المختلفة مما سجل بعضه في الديوان . وأخص بالذكر الأخ الكريم الأستاذ الدكتور محمّد مصطفى هدارة على كلمته الرقيقة وجهده الكريم ومبادرته الطيبة .






مقدمة الناشر للطبعة الثانية
المكتب الإسلامي

ما كنت أظنّ أن هذا اللون من الشعر ما زال له أهله ورجاله، يتذوقونه ويهتمون به. ما كنت أظنّ ذلك وقد راجت الدعاوات بتسميته بالشعر الرجعي، وكاد ينتشر ما يسمونه بالشعر الحر. . . .! وضعفت اللغة العربية بين الناس وغابت في كثير من الأحيان قوة العبارة وجمال الأسلوب، وغابت بلاغة الشعراء الأقدمين ورونق البيان والتبيين.

وأقدمت على الطبعة الأولى وفي نفسي شيء من الوجل والخوف والاستحياء. . حتى إذا ماتمّ طبعه ومضى توزيعه ورأيت الإقبال عليه، غَيَّرْتُ رأيي وحمدت الله على أن أبقى في أمتنا الخير الكثير، والذوق الأصيل، والاهتمام الكريم للحفاظ على لغة القرآن، ومعاني الإيمان، وصور الواقع من خلال عقيدة ويقين. هذه الصور والمعاني التي يعرضها شاعرنا عدنان النحوي.

وها نحن الآن نقدم على الطبعة الثانية متخطين طبع العدد المنظور في الدواوين لنسد الحاجة التي لمسناها بعد الطبعة الأولى.

وقد تناول الديوانَ في طبعته الأولى عددٌ من الصحف ورجالُ الأدب والفكر نورد مقتطفات مما كتبوا :

ففي مجلة الجديد العدد ٥٠٧ تاريخ ٨ ـ ١٩٧٨/١/١٤م. كتب الأستاذ زهير المارديني كلمة طويلة تحت عنوان: شاعر لا يأكل من صحن القضية جاء فيها:

«. . . .ولكن بعد أن صليت العشاء وأمسكت بالدّيوان نسيت الشعر والشعراء ولم أفارقه إلا على مؤذن الفجر وهو يتلو بصوت شجي **﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله﴾** عندها فقط عرفت من خلال قصائد النحوي أنه من هناك من البلد الذي يبكي عقوق الأهل قبل عقوق الأصدقاء وجحود الأقارب قبل جحود الأعداء. . . لقد أدركت من خلال ما قرأت من شعر أن الشاعر لم يأكل من صحن القضية. . . . . .».

كما كتبت مجلة اللواء الأردنية في عددها الصادر في ٨ تشرين الثاني سنة ١٩٧٨م كلمة طويلة أيضاً حول الديوان: بقلم الأستاذ حلمي الأسمر تحت عنوان جولة في أعماق الأرض المباركة جاء فيها:

ولعل أروع ما في الديوان قصيدته المطوّلة «لم يبق في عرفات إلا دمعة». . . وتحدث عن عرفات بكلام يسيل رقة وحناناً ولا يملك من يتأمله إلا أن يبكي فيقول:

عرفات ساحات يموت بها الصدى وتغيب خلف بطاحه الألوان
لم يبق في عرفات إلا دمعة سقطت فبكّتْ حولها الوديان
هي دمعة الإسلام يلمع حولها أمل وتهرق بينها الأحزان

ثم عرضت هذه الكلمة مزايا الديوان الأدبية من حيث الأسلوب والنفس الطويل ووحدة القصيدة وموسيقاها. . .

وتحدث الأستاذ محمد الصباغ من إذاعة المملكة العربية السعودية عن الديوان بكلمة عنوانها: «الملامح الإسلامية في ديوان الأرض المباركة» جاء فيها:

«يقرر عدنان النحوي فيما يقرر أن النكبة التي نزلت بفلسطين وأهلها هي نجاح

الكفار ـ وا أسفاه ـ في زلزلة العقيدة عند كثير من المسلمين. وأن هذا هو الذي انتهى إلى ضياع البلاد والناس. لقد أعد الكفار الخطط المحكمة لإفساد عقائد أبناء المسلمين على مراحل وفق خطة يمليها المكر الأسود والحقد الدفين. وعندما نجحوا في تخريبهم الفكري استطاعوا بسهولة متناهية أن يطردونا من ديارنا وأن يفرقونا في هذه الدنيا تحت كل نجم ويجعلونا فقراء غرباء. فيقول :

لست أبكي ترابها ومروجاً نضبت أو حجارة صماء
إنما أندب العقيدة تذوي في نفوس تعيسَةٍ والإباء
ما هجرنا ديارنا غير أنا قد هجرنا العقيدة السمحاء
لفظتْنا الديار إذ ذاكَ لفظا وأحالت كرامنا غُرَبَاء

ويذكر الشاعر أن السبب الأصيل لواقعنا المؤلم هو إعراضنا عن الله وأعمالنا المجانبة لشرعه وحياتنا المنحرفة عن الإسلام بكل منطلقاتها. ولذلك فقد أصابنا الذل الذليل وأصبحنا نعيش على فتات موائد الأعداء نطلب منهم حقوقنا ونفرح ونتيه للحقير من العطايا ننالها منهم. يقول :

عجباً! كيف قُطِّعتْ أمة العرب وكانت عقيدة وإخاء
عجباً! كيف زُلزلتْ أسس الدار وهبت رياحها هوجاء
أفلتت حبلها المَتين وأرخت من عُراها وبدّلت أهواء
وتدنت لتعرق العظم من كفِ غريبٍ يلقي به إلقاء
ومضت تطلب الحياة بجيفات ونتنٍ ذليلةً بلهاء
ذلّ من يطلب الحياة من الخصم ويرضى من كفه إعطاء

وتمضي كلمة الأستاذ الصباغ تعرض كيف يصور شاعرنا الواقع المؤلم وطريق الخلاص. . . . !

ومن إذاعة المملكة العربية السعودية تحدّث أيضاً الدكتور أحمد كمال زكي فكان من جملة ما قال :

«وبيدي ديوان عنوانه «الأرض المباركة» وصاحبه الشاعر الصفدي عدنان النحوي. وقيمة هذا الديوان في نظري أنه يصور رحلة شاعر مع الزمن وداخل دائرة واحدة هي الوطنية التي تتطور إلى الإنسانية عابرة بالقومية. وبعبارة أخرى انطلق عدنان من منطلق فلسطيني ليعانق الإسلام قوميته وإنسانيته. وكانت البداية ملحمية... ففي أوائل الأربعينيات نسف الإنجليز داره وفي أواخرها نسف الصهاينة وطنه، وفي الستينات تكون النهاية المأسوية بضَياع الضفة الغربية والجولان وسيناء... وبقدرة الشاعر المتمكن يستقطب عدنان مشاعر أمته للعمل من أجل خلاص الأرض المباركة. وكان قد نبهها قبل عندما رآها تتفرّق أيدي سبأ. نبه عدنان أمته هذا التنبيه، ولكن الفرقة ظلت فكانت كارثة عام سبع وستين وتسعمائة وألف... ويبدو أن الشاعر... قد وجد الحل في العقيدة نفسها ورأى الإسلام بقواعده هو الدواء لتلك الأمة التي طعنت في عزتها فهوت تتلمس في الثرى سنداً. ثم انطلق يقول: ...

لا يستعيد حمى الأوطان غير هدى ... من الكتاب وعبّادٍ له دانوا
تشوقت لجنان الخلد أنفسُهمْ ... فأرعدت في البطاح الحمْر فرسان

وفي كلمة الأستاذ الشاعر عبد العليم القباني وهو يستعرض هذا الديوان ويستعرض معه مقدمة الأستاذ الدكتور هدارة:

«وَتحسُّ فيها بالنغمة الصاخبة الهاتفة التي تتفق في هتافها مع الغرض السياسي المنظومة من أجله:

أنتم تنوحون والأعداء قد بلغت ... منكم وجاست خلال الملك تطوينا
شدوا العزيمة، شقوا الدرب واخترقوا ... صفّ العدى عصبة لا تظهروا لينا

ويظل الشاعر يبث الشجون ويثير العواطف، وكلما مرّ عيد من الأعياد أضاف جرحاً جديداً إلى جراحه فهو يصرخ في وجه العيد:

أيها العيد أين منك الوعودُ طال فيك الرجاء والترديد
أنْ نرى من شبابنا كل حرّ صاعداً للردى فذلك عيد

أو تلسعه دالية المتنبي فيقول :

ما العيد إلا لِحُرٍّ لم يَهُنْ أبداً ولا بدا وهو في الأغلال مصفود

على أنه وهو ينفعل بالأحداث الدامية التي تجري على الأرض المباركة فلسطين لا تبتعد أحاسيسه في الوقت نفسه عن الذي يدور في بعض البلاد العربية من كبت وإرهاق وعنت وأحداث لها في النفس مضاضة ظلم ذوي القربى كما يقول الشاعر القديم فلقد طغت مراكز القوى في بعض هذه البلاد وساقت إلى السجون والمعتقلات آلافاً من الشباب :

لم تجاوز عزة النفس بهم لفظة ماتت على ثغرهمُ

ويتابع الأستاذ عبد العليم كلمته :

وتنطلق لواعج عدنان من عقالها وتتنقل بحيث تشمل بلاد المسلمين جميعاً وقد راعه أن:

أحنت منائرها الهضاب تفجعاً وبكى على فرسانه الميدانُ
وتشعبت دون الظلام مسالك شتى وكان سبيلَنا القرآنُ

تلك هي ثورة عدنان كما قرأناها في قصائده، أما حين يهدأ وقليلاً ما يكون، فهو وصّاف يتأنّق في وصفه فيجيد. وإنك لتجد مثالاً لذلك في هذا المنظر الطبيعي الذي نختاره من قصيدته صفد بلده الحبيب والتي يناجي فيها بعض تفاصيل هذه الصورة الجميلة بقوله:

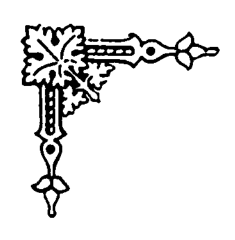
يازهرة اللوز الشهيّ وطلعة النّـ ـنَـوْرِ البَهِّي وغرسة الأَجْدَاد
يا غرسة العنّاب مَدّت كفّها المخضوب من فرع لَهَا مَيّاد
كالغادة الحسناء خلف خِبائها دفعت بناناً للمحبّ الصّادي

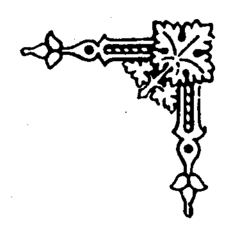
يا أمسيات في الرجوم كأنها عطر الشباب وبهجة الأعياد
والبحرة الزرقاء دون شعابه نزلت فأنزلها سواد فؤاد
نَهَدَت بجنبيْها الربى وتوثّبتَ نهدين مضطربين فوق مهاد
أهدى لها الليل الشجيّ غلالة سمراءَ تخفق في ظلال سواد
وشت حواشيها النجوم لآلئاً تطوي وتنشرمن بريق هادي
والبدر بين الناهدين كماسة موصولة في جيدها بقلاد

وصياغـة عدنان عربيّة أصيلة. . . .» وهكذا تمضي كلمة الأستاذ عبد العليم القباني في عرض مواضيع الديوان وأفكاره ولغته وأسلوبه.

ويسرنى أن أقدم هذا الديوان في طبعته الثانية آملاً أن يحقق بذلك دفعة للأدب المؤمن في ثوبه الأصيل وصياغته العربية الصادقة

المكتب الإسلامي





مقدّمة الطبعَة الثانية
للمؤلف

مع الطبعة الثانية لديوان الأرض المباركة، تظل مقدمة الطبعة الأولى تعطي ملامح الأحداث التي خرجت معها هذه الأبيات....! خرجت في أكثر من مكان... وفي رحلة واحدة يرسم القدر دروبها وخطاها.

وظلت الأحداث خلال هذه الرحلة تنتقل من مفاجئات إلى مفاجئات، ومن ظلمة إلى ظلمة، ومن محنة إلى محنة...

وأحداث أمتنا لا يكفيهاالشعر ولا النثر. إنها أحداث جسام تحتاج إلى كل أنواع الأسلحة والعتاد، وكل أنواع القوى وأساليب الجهاد. والكلمة قوة من هذه القوى وسلاح من هذه الأسلحة...سلاح لابُدّ أن يكون له دوره في كل معركة وفي كل ميدان. وفي الأمة القوية تكون الكلمة قوية...، قوية بمنطلقها، وأثرها، ومداها.

ولكن الكلمة قد ضعفت في أمتنا اليوم. ضعفت شكلاً ومضموناً، وضعفت أثراً ومدى. ضعفت الكلمة كما ضعفت الأمة وكما ضَعُفتْ سائر أسْلحتها. ولكنها جولة من جولات أمة الإسلام بين ماض بعيد ومستقبل قريب. إنها جولة من الجولات ومرحلة من المراحل في تاريخ عظيم ممتد في الحياة حتى قيام الساعة. فهذا هو تاريخ المؤمنين وهذا هو مداه...!

ضَعُفَتْ الكلمة حين ضعفت اللغة كذلك. فكم من شبابنا اليوم يحملون أعلى الشهادات العلمية لا يكادون يحسنون لغتهم كما يحسِنون اللغات الأجنبية. ضعفت

لديهم لغتُهم وهان عليهم تاريخهم وهم يصيحون بشعارات العروبة، وإن شئت الإسلام. حتى كأنَّ العَمل لم يعد أكثر من شعار يُرْفع.

ضعفت الكلمة في أمتنا اليوم حين استسلمت على خدَر الشعارات إلى طبول الغزاة ودفوف المستعمرين وأبواق المرائين. فدلف الموت يغتال يميناً وشمالاً ومن كل ناحية تاريخاً وأمجاداً، ولغة وعتاداً، ويمزّق ويسحق، ويخلف وراءه جثثاً وجيفاً...!

إنها غفوة من الغفوات في تاريخ أمتنا. لابد من صحوة بعدها إن شاء الله، ولا بد من وثبة مظفَرة في ميادين الحق والجهاد، لتشهد أمتنا جولات النصر والغلبة، عابدة لله خاضعة له، حتى تكون كلمة الله هي العليا.....!

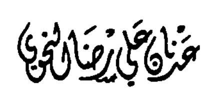
وهذا هو وعد الله لعباده المؤمنين إذا صَدَقوا ما عاهدوا الله عليه، إذا أسلموا وآمنوا، إذا اخبتوا وأنابوا، إذا تدبروا منهاج الله وعملوا به، إذا نهضوا إلى دعوة الحق نهضة صدق ووفاء.

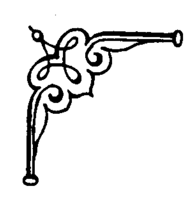
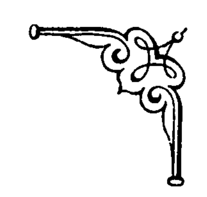
وعندئذ يكون عمل هؤلاء المؤمنين قوة وسلاحاً. عندئذ تصبح الكلمة قوة... اسَرع من نضح النبل....، وتصبح العبادة قوة أمضى من النصل الباتر. عندئذ تصبح الروحة والغدوة، والقيام والقعود، والراحة والنشاط، والعمل كله....يصبح عندئذ قوة عظيمة مباركة، وسلاحاً مظفَراً ميموناً. ويصبح العمل كله ذكراً لله في كل ساحة وميدان...!

فعلى درب الإيمان، يمضي المؤمنون مع سلاحهم وعتادهم صابرين محتسبين حتى يلقوا الجنة أو النصر، يمضون في طريقهم الطويل ومعهم كل سلاح وكل عتاد، معهم كلمةُ الحق.......!

واختم كلمتي هذه. بتقديم الشكر والتقدير إلى الإخوة الأساتذة محمد بن لطفي الصباغ على كلمته الكريمة التي ألقاها من الإذاعة السعودية والدكتور أحمد كمال زكي والأستاذ الشاعر عبد العليم القباني وسائر الأساتذة الذين تفضلوا فكتبوا كلماتهم حول هذا الديوان.

الرياض ٢٥/٤/١٣٩٩هـ
٢٣/٣/١٩٧٩م



مقدمة الطبعة الأولى

من عبق هذه الأرض المباركة ومن أنفاسها الذكية، من مرابعها الطيبة ومن صفحات جهادها الكريم، خرجت هذه الأبيات من الشعر.

أرض مباركة، لم تكن بركتها في حجارة أو طين، في نبات أو طير، في مروج أو زهور، وإن كانت هذه كلها طيبة، ولكنها بركة عقيدة وجهاد، بركة رسالة ربّانيّة ونبوة، بركة تاريخ طويل يرسمه وحي السماء، لتمضي معه جنود الحق في صراع طويل مع الباطل...

ونمت بركة هذه الأرض حين أسرى الله سبحانه وتعالى بعبده محمد ابن عبد الله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ليؤم الأنبياء ويمضي به البراق... إلى السموات. فترتبط بذلك الديار وتتصل القلوب، وتجتمع الأمة على مرابع الخير، وفي طريق النور.

ومع الطفولة المتفتحة وعلى مدارج الصبا لاقتنا الأحداث ثورات دامية وشهداء أبراراً في معارك متلاحقة ضد الاستعمار والصهيونية والمؤامرات الدولية. ولم تكن تهدأ ثورة حتى تنتفض أخرى أشد وأعتى، وكان بينها مدة راحة واسترخاء يفرضها الوضع الدولي كالحرب العالمية الثانية، تغلب فيها الشكوى والتغني بالامجاد...

وكانت فاجعة النزوح بكل مآسيها ودموعها ودمائها، ودفعتنا هذه الفاجعة لنلتقي

من جديد، وتلتقي الأمة كلها مع أحداث جسام، وصراع مرير باق مابقيت الحياة حتى تقع جولة الحق، وينتصر فيها الإيمان وتعلو كلمة الله.

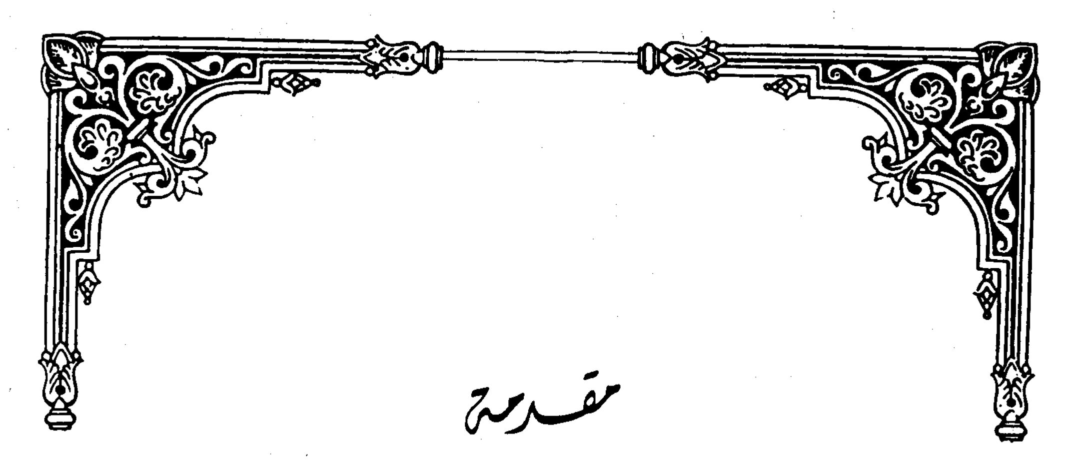
لذلك كان الشعر بالنسبة لي خلجات تضطرب مع الأحداث وأحاسيس تنطلق على غير ميعاد على هذا النحو من التعبير.

واطلع أخي الأستاذ الدكتور محمد مصطفى هدارة على هذا الديوان. فلم يكتف بقراءته أو إبداء ملاحظاته الكريمة، ولكنه تفضل مشكورا بوضع مقدمة هذا الديوان، وكأنه استشف من بين هذه الأبيات ملامح حياة واضطراب خلجات. فعاش وكأنها خلجاته وأحاسيسه وسجلها في مقدمته.

فإلى أخي الأستاذ الدكتور هدارة أقدم شكري على هديته الحلوة الكريمة.

الرياض. ١٣٩٦/٧/٢هـ
١٩٧٦/٧/٥م

عدنان علي رضا النحوي



مقدمة

بقلم الاستاذ الكبير الدكتور محمد مصطفى هدارة
استاذ الأدب العربي في جامعتي الاسكندرية والرياض

صافحت عينا شاعرنا نور الوجود في بيت علم تنمى أرومته إلى عالم كانت تضاف إليه صفة علمه لرسوخه فيه حتى صارت تلك الصفة (النحوي) عَلَمًا له ولأسرته من بعده.

وقد نشأ عدنان النحوي في صفد بأرض فلسطين في أواخر العشرينات وأخذت أكمام صباه تتفتح في الثلاثينات، وهي فترة كانت تضطرم فيها أحشاء تلك الأرض الطاهرة بالثورة ضد الاستعمار الانجليزي المتحالف مع الصهيونية العالمية، وكانت تقدم عاماً بعد عام فلذات أكبادها شهداء حريتها وعروبتها وإسلامها، فارتبط عدنان - منذ صباه الباكر - ببلدته ووطنه وأمته ودينه، ولا انفصام في الحقيقة بين هذه الجزئيات التي تؤلف دائرة واحدة تبدأ من المركز - وهو مسقط رأس الشاعر صفد - ثم تنداح لتتسع شيئاً فشيئاً لتضم في حناياها فلسطين كلها، ثم العالم العربي بأسره، ثم العالم الإسلامي الرحيب بأمسه وحاضره وغده.

وما من شك في أن عدنان نشأ مفطوراً على الشعر، ولم يبعد عنه لحظة واحدة في كل أدوار حياته، حتى عندما اتجه إلى دراسة الهندسة، فالشعر عنده ليس معاناة احتراف، ولا محاولة لإثبات وجود في كل مناسبة تسنح، وليس مطية ذلولاً يتسلى

بركوبها في رحلة الحياة، وإنما هو نبض وجدانه، ومعاناة عاطفته، وفيض مشاعره، وذوب فكره. إنه يسري في جسده مسرى نفسه، فليس عنه غناء، وليس منه بد.

ويبدأ شعر عدنان من مركز الدائرة الفلسطينية العربية الإسلامية التي تتداخل خطوطها في نفسه، فنراه يتغنى ببلدته صفد في كثير من قصائده، فهو يعيش في ذكرياتها الحلوة النابضة بالحياة في قصيدته (لوحة من صفد). فيرسم لنا تلالها ووهادها، وأشجارها وأزهارها، وأعشابها وأنهارها، وثمارها وأطيارها، إنه يتمثلها جنة مورفة ويسميها (عروس الدهر)، ونحس في كل بيت من قصيدته خفقة قلبه بحبها، ونبض وجدانه في استرجاع مشاهدها ومجاليها وأسمارها.

وحين يسمع عدنان أن شاعراً قد هجا صفدا بحكم التعصب الإقليمي الضيق، لا يسعه إلا هجاؤه ورد عاديته عن بلدته الحبيبة. ثم تجد للشاعر بعد ذلك قصيدتين ترويان أحداثاً أليمة وقعت في صفد: الأولى تتحدث عن دار كانت لأسرة الشاعر في بلدتهم فنسفها الانجليز في خلال أعوام الثورة، وعندما عادت إليها الأسرة بعد سنوات (في عام ١٩٤٣) وجدتها أطلالاً لم يبق منها غير جدار واحد، ظل شامخاً لم يتهدم، وكأنه رمز للإباء وعدم الخنوع والسقوط. وأما المناسبة الأليمة الثانية فكانت سقوط صفد في أيدي اليهود عام ١٩٤٨، وفي هذه القصيدة تتجمع أحزان الشاعر النازفة بالدم في ثورة على ما آل إليه حال العرب والمسلمين من تمزق وضياع.

وينتقل الشاعر في أرجاء بلاده فهو يكتب شعره في عكا تارة وفي القدس أخرى، ويتغنى بحيفا وينظر إلى بحيرة طبرية، فتخلب لبه وتستثير شاعريته، فيصفها كما وصفها المتنبي من قبل مفتوناً بجمالها، ولكن وصف الطبيعة عند عدنان النحوي وسيلة دائماً وليس غاية في ذاته، فهو يستنشق عبير أرض بلاده، ويستجلي مفاتنها، تأكيداً لدينه في مواجهة المد الاستعماري والتحدي الصهيوني. ولن يغيب عنك قط وأنت تعيش في صحبة ديوانه أنك أمام شاعر صاحب رسالة لا يتخلى عنها قط في أي موقف، ولا في أي طور من أطوار حياته، وهو في سبيل هذه الرسالة يضحي بمشاعره الذاتية ويكتم عواطفه الشخصية في التزام نادر يعبر عن مدى إيمانه برسالته وهي مناصرة قضايا الأمة والإسلام، يقول لصديق له :

شكوت لي غير أني لم أجد أحدا أشكو إليه وفي جنبي نيران
هواك غيد وتشكو من لواحظها لكن هوى أضلعي دين وأوطان

بل إنه يرى أن الهوى هو آسر الجهلاء ويصرح بانصرافه عنه إلى طلب الرفعة والمجد يقول:

كاتم فؤادك عن هوى لظباء وانشد مطالع رفعة وعلاء

ومن أجل ذلك لن تجد شعر غزل في ديوان عدنان النحوي إلا في مقطوعتين تعبران عن شوق وحنين في فترة الصبا الباكر، وكأني به لم يسعد بحبه اليتيم إذ سعت أحداث بلاده في تفرق الأحباب وانشعاب القلوب. ولن تجد حادثة أصابت فلسطين أو منعطفا يرتبط بمصيرها إلا وقد عاش في وجدان الشاعر وامتزج بدمائه وأنفاسه وخفقاته وفكره منذ بداية الأربعينات حتى اليوم. فتراه في عامي ١٩٤٣، ١٩٤٤ يحس تمزق أبناء وطنه ويسمع أنين شكواهم دون أن يرى جدا في الكفاح وضم الصفوف والقلوب، ولهذا يناشد بني وطنه الكف عن الدموع والسعي إلى النضال مستثيراً همتهم بأمجاد ماضيهم. [أنظر قصيدتيه (النذير) و (يا قومي)]. بل نراه حين يقبل العيد ينفذ ببصيرته في سجوف الزمن فيرى أن نتيجة التخاذل والتمزق ستنتهي بفلسطين إلى ما انتهت إليه دولة الإسلام في الأندلس.

ثم يحل عام النكبة سنة ١٩٤٨ ويصح ماتوقعه الشاعر - وقد ضاعت صرخات تحذيره قبل ذلك بسنوات في خضم الخلاف والتنابذ - وهنا ترتسم الكارثة بكل عنفوانها في وجدانه وفكره فيبكي سقوط صفد ويبكي ضياع فلسطين كلها، ويبكي شهداء الكفاح الذين سقطوا في أرض المعركة كالشهيد عبد القادر الحسيني بطل القسطل، ولا ترقأ دمعته، ولا تكف جراحه الفاغرة عن النزف بعد تاريخ النكبة حتى اليوم. كما يتمثل لك في قصيدته (جرحان) التي كتب بعضها في عام ١٩٤٩ وبعضها الآخر في عام ١٩٦٤ والجراح هي الجراح، واللوعة لا تزال مشبوبة الأوار. بل نجده في عام ١٩٧٤ يكتب (عودة لاجىء) بقلم يتنزى ألماً ووجدان يقطر دما :

أنا يا أخت ضائع لست أدري أين قومي وأي أرض أجوب

في ضلوعي أسىً وفي العين دمع يتنزى وفي الفؤاد ندوب
وعلى الوجه بسمة ظللتها غبرة الموت واعتراها شحوب
ودبيب الأيام ينزع مني نفسا خافقاً وروحا يغيب

ولا يعيش عدنان النحوي في قلب المأساة الفلسطينية وحدها، بل يعيش أيضاً في حنايا عالمه العربي، كما يعيش العالم العربي في حَنَاياه ووجدانه ويتعاظم إحساسه لدينه في قصيدتين جعل لهما عنواناً واحداً هو (أخي)[1] كتب الأولى في عام ١٩٥٧ وكتب الثانية في عام ١٩٦٦ مما يدل على ثبات إحساسه بالأخوة الاسلامية مهما تطاولت السنون، وهو يجول بمشاعره في قصيدته الأولى في أنحاء من العالم العربي يتابع قضاياه في الحرية ويشد من أزر مناضليه بروح المجاهد المتفائل المؤمن برسالته، يقول :

أخي لا تبال فهذي القلوب وهذي السواعد ثارت معك
فلا ظلمة السجن تخشى ولا جنون السياط برى أضلعك
ولا القيد، حطمه كبرياؤك قطعته دونَ أن يقطعك
وجلادك الوحش أذللته وقد كان يبغي هنا مصرعك

وهو ينزف ألماً في أحداث مؤسفة عرضت في عام ١٩٥٥ في بلد عربي. وعبر عنها في قصيدتيه (دماء بريئة) و (شفق الفجر) يقول في دماء بريئة :

أدم يُراق وفتية يتساقطو ن وعصبة الطاغوت فيهم تحكم
والشعب مسكين يجرد فوقه سيف تشل به اليدان ويلجم
وترد أبواب السجون وخلفها جسد يغيب وهمة تتقدم
ويشرد الأحرار في أفواههم صوت الجهاد قصائد وَتَرنُّمُ
وتباح أسواق البلاد لغاصب يوم الجلاء وقبل ذلك مغنم

ولكن عدنان النحوي برغم كل مآسي وطنه الصغير فلسطين ووطنه العربي الكبير وعالمه الإسلامي لا يهتز إيمانه ولا يتخاذل تفاؤله بقدوم يوم النصر، وشعاره في ذلك قوله:

(١) في هذه الطبعة تغير عنوان إحداهما إلى «سواعد وقلوب».

لا تيأسي يا نفس إن عبس الزّما ن فما القنوط بمذهب البأساء

ومن المؤكد أن أهم ما يذكي في قلبه روح التفاؤل إيمانه القوي بدينه وشعوره القوي الجارف بعظمة الإسلام، حين تعتصم به النفوس المؤمنة فتجد فيه القوة بعد الضعف، والثبات بعد التخاذل، والاتحاد بعد التفكك، والنصر بعد الهزيمة. وهذا الشعور الديني الذي يغذو روح عدنان النحوي وفكره قديم صحب نشأته الأولى منذ كتب قصيدته (عزة الإيمان) في عام ١٩٤٤ وأخذ يتوهج في نفسه كلما تأمل حال العرب والمسلمين في كل مكان، فكتب قصيدته (فلسطين في ظلال القرآن) وكتب مطولته الرائعة (لم يبق في عرفات إلا دمعة)، وكتب بهذه الروح الدينية المتوهجة قصيدته (دعاء) ورثاء للشهيد سيد قطب.

تلك هي الموضوعات الرئيسية في شعر عدنان النحوي، إلى جانب شعره الذاتي الذي يعبر فيه أجمل تعبير وأدقه عن نفسه بحيث لا تغيب عنك سمة من سماته الخلقية أو الفكرية. وهي تبين بجلاء أنه شاعر ملتزم صاحب رسالة لا يتخلى عنها في أي دور من أدوار حياته الشعرية التي تمتد في هذه المجموعة ثلاثاً وثلاثين سنة. وصغر حجم هذا الديوان مع المقارنة بطول المدى الشعري يوضح أحد أمرين:

الأول : أن الشاعر لم يضم فيه كل ما قاله من شعر، ومن ذلك عندي وجود مقطوعات صغيرة في مناسبات مختلفة مما نطلق عليه اسم (الاخوانيات) حرص الشاعر على إثباتها.

والثاني: أن الشاعر مقل بطبعه لا يكتب إلا حين تكتمل تجربته الشعرية وينضج انفعاله بها، وهذا هو الأرجح عندي، ولهذا نجد له في عام ١٩٤٣ قصيدتين بينما نجد له في عام ١٩٤٤ عشر قصائد. وهذه الفترة الباكرة من حياته في الأربعينات كانت شديدة الخصوبة، وبعد نكبة عام ١٩٤٨ هدأت وقدته الشعرية فلا تجد له شعراً في سنين كثيرة، أو تجد له في العام قصيدة أو قصيدتين على الأكثر.

وعلى الرغم من يقيني بأن الشاعر جمع في هذا الديوان كل نتاجه إلا أني أستدرك قائلاً : إنه أسقط منه بالتأكيد محاولاته الأولى في أيام الصبا، لأننا نرى في بدايات شعره في عام ١٩٤٣ جزالة وقوة في معظمه مما يوحي باجتيازه مرحلة الغرزمة.

لقد تحدثت حتى الآن عن مضمون شعر عدنان النحوي، وما من شك في أن عنصر الشكل قد تطور في شعره تطوراً واضحاً في خلال رحلته الشعرية الطويلة. فقد كان شعره في الأربعينات يحمل آثار التقليد والمحاكاة للشعراء الفحول، فتحس في قصيدته (عزة الإيمان) روح المتنبي تطل عليك بكل ما فيها من تشاؤم وسوء ظن بالناس، وبكل مافي أسلوبه من جزالة وقوة وميل إلى التصوير وجنوح إلى الحكمة، يقول عدنان :

أرى الليل غارت في السماء كواكبه فغار فؤادي والهموم نوادبه
أنا ابن هموم الدهر حين تمخضت مصائبه عن عسرة ونوائبه
تسربلت جلبابا من الصبر ضافيا وللصبر جلباب تطول ذوائبه

إلى آخر القصيدة......

وحين يكتب عن العيد في فلسطين تلح عليه إلحاحاً شديداً قصيدة المتنبي المشهورة:

عيد بأية حالٍ عدت يا عيد بما مضى أم لأمر فيك تجديد

قال عدنان في قصيدته الأولى عن العيد :

أيها العيد اين منك الوعود طال فيك الرجاء والترديد

ولعلك تلاحظ أن تأثير المتنبي لم يظهر في أسلوبه ورنته التشاؤمية فحسب، بل ظهر في اصطناعه لقافيته أيضاً، أما القصيدة الثانية فقد وضح فيها تأثير المتنبي بصورة أقوى إذ حاكاه النحوي في الوزن والقافية والأسلوب، ومطلع قصيدته :

هل عدت بالأمل المحبوب ياعيد   عود سعيد فهل في العود تجديد

وترى آثار شعراء آخرين تبدو في القصائد الأولى لعدنان النحوي، كأثر أبي فراس الحمداني الذي يتضح في قصيدة (شوق) وأثر أوس بن حجر الذي يبدو في قصيدة (حنين)، وأثر أحمد شوقي في قصيدة كتبها النحوى إلى صديق مطلعها:

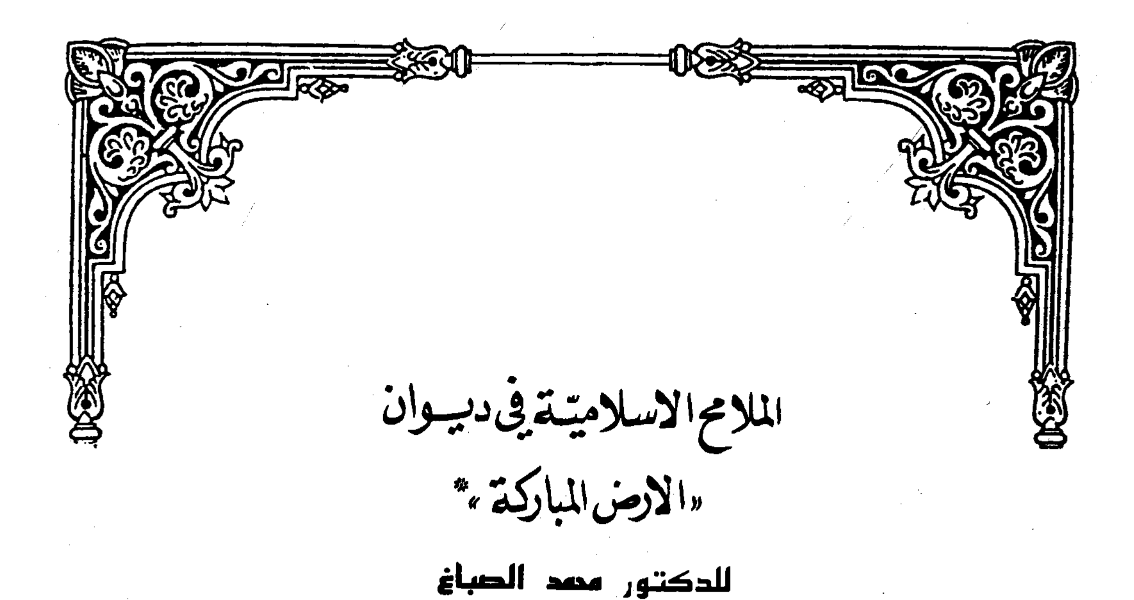
من للفؤاد إذا رَحَلْـ   ـتَ ومن يحن ومن يعينه

فهى محاكـاة واضحة لقصيدة شوقي المشهورة (ياناعما رقدت جفونه) غير أن المحاكاة في هذه الفترة الباكرة من حياة الشاعر أمر طبيعي، وهي أثر من قراءاته في الشعر العربي قديمه وحديثه، وتكاد تكون محصورة في بعض طرق التعبير أو التصـوير، ثم لا يلبث الشاعر أن تتجلى شخصيته في قصائده التى توهج بها وجدانه، فأخذت صوره تدق وتتجلى بتأثير الصدق العاطفي والمعاناة الشعورية، كما ارتفعت لغة شعره وموسيقاه إلى مرتبة سامية من الإحساس وقوة التعبير.

وبعد فهذه ليست دراسة لديوان عدنان النحوي، ولكنها مجرد انطباع سريع آثرت أن أسجله بعد أن قرأت هذا الديوان الذي حمله إلي مشكوراً صديق كريم، فعشت معه ساعات ثرة بالأحاسيس بكل ما يحمل في ثناياه من أمجاد ماضينا الزاهر، وهموم أمتنا الراهنة، والأمل الحلو في المستقبل بقوة الإيمان والصبر.

محمد مصطفى هدارة





الملامح الإسلاميّة في ديوان «الأرض المباركة» *

للدكتور محمد الصباغ

صدر في الأيام الأخيرة ديوان «الأرض المباركة» للشاعر عدنان النحوي، وقد غنّى صاحبه فيه أمانيه وآلامه، ومعظمها يدور حول فلسطين وقد برزت فيه الروح الإسلامية بروزاً واضحاً تلمسه من :

● صدوره في معالجة هذه القضية عن وجهة النظر الإسلامية، لأننا ـ مع الأسف ـ أصبحنا نرى في دنيانا وجهات نظر متعددة تناقش قضايانا المصيرية، ومعظمها تتجاهل الإسلام أو تتجهم له.

● ومن عنوان الديوان الذي يشير إلى الآية الكريمة ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله﴾.

● وتلمسه من افتتاحه بهذا الدعاء:

يارِبِّ! هذا دعائي، كيف أرفعه إليك، وهو على الآثام محمولُ؟
لولا التأمل في رحماك ما انفرجت نفس، ولا كان للملهوف تجميلُ

(*) كلمة أذيعت في برنامج أدبي من إذاعة المملكة العربية السعودية.

- وفي الديوان جوانب عدة تستحق الدراسة :

● منها الجانب الأسلوبي الذي يتصل بالصورة والموسيقى والتركيب.

● ومنها الجانب الاجتماعي الذي يتعلق بدلالة ما جاء في الديوان على العادات الاجتماعية والمآكل الخاصة.. وما إلى ذلك.

● ومنها الجانب التاريخي والسياسي الذي يبحث في الأحداث التاريخية، والمآسي المؤلمة، وهذا الجانب الأخير عني به الأدباء والنقدة والمؤرخون، وأسموه: «رثاء المدن والممالك» ومن أشهر المراثي فيه رثاء ابن الرومي للبصرة، والرندي للأندلس. ولكنني لن أبحث في شيء من ذلك الليلة، وإنما أريد أن أتحدث عن الملامح الإسلامية في هذا الديوان.

- يقرر عدنان فيما يقرر أنّ النكبة الحقة التي نزلت بفلسطين وأهلها هي نجاح الكفار - وا أسفاه - في زلزلة العقيدة عند كثير من أهلها.

وأنّ هذا هو الذي انتهى إلى ضياع البلاد والناس. لقد أعد الكفار الخطط المحكمة لإفساد عقائد أبناء المسلمين على مراحل وفق خطة يمليها المكر الأسود والحقد الدفين، وعندما نجحوا في تخريبهم الفكري استطاعوا بسهولة متناهية أن يطردونا من ديارنا، وأن يذلوا رجالنا، وأن يفرقونا في هذه الدنيا تحت كل نجم ويجعلونا فقراء غرباء، يقول :

لستُ أبكي ترابها ومروجاً نضبت، أو حجارة صمّاءَ
إنما أندب العقيدة تذوي في نفوسٍ تعيسة والإباءَ
ما هجرنا ديارنا، غير أنا قد هجرنا العقيدة السمحاءَ
لفَظتنا الديار إذ ذاك لفظاً وأحالت كرامنا غرباءَ

وهذا حق لا شك فيه، وقد قررته الآية الكريمة ﴿وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون﴾. ويعترف به مفكرو الغرب وإن كان بعض الجهلة من أبنائنا يجادل فيه بلا حجة ولا برهان.

- ويذكر الشاعر أن السبب الأصيل لواقعنا المؤلم هو إعراضنا عن الله، وأعمالنا لمجافية لشرعه، وحياتنا المنحرفة بكل منطلقاتها عن الإسلام، ولذلك فقد أصابنا لذل الذليل، وأصبحنا نعيش على فتات موائد الأعداء، نطلب منهم حقوقنا، ونفرح ونتيه للحقير من العطايا ننالها منهم. يقول:

عجباً! كيف قُطّعتْ أمة العرب وكانت عقيدة وإخاءَ
عجباً! كيف زلزلت أسس الدار وهبّت رياحها هوجاءَ
أفلتت حبلها المتين وأرخت من عراها وبدّلت أهواءَ
وتدنّتْ لتعرق العظم من كفّ غريب يلقي به إلقاءَ
ومضت تطلب الحياة بجيفاتٍ ونتنٍ ذليلة بلهاءَ
ذلّ من يطلب الحياة من الخصم ويرضى من كفه إعطاءَ

- ويصور عدنان الواقع المؤلم الذي كشرت فيه المصائب عن نابها، واستغاث الوطن المنكوب وألحّ في الاستغاثة، فإذا الذي استجاب لصرخاته قاس فاتك. ويلتفت الشاعر عن هذا الواقع المرير ليتساءل: أين حمية المسلم؟ أين كتائب الإيمان تتراكض إلى القتال، والردى يترقب، ونداؤها الحلو الله أكبر؟ أين تلك الكتائب تغيث وطني المسلم وتأسو جراح أهله المكلومين؟ أين الكتائب التي تحرص على الفوز بإحدى الحسنيين؟ يقول:

وطني ذكرتك والمصائب كشرت عن نابها واحمرّ منها المخلبُ
فصرخت مكلوماً: أما من منجد يحنو عليّ ومسعفٍ لا يرهبُ
وأتاك ينقذ من رجوت حنانه فإذا به قاسٍ عليك مجرّبُ
أين الحمية إذْ رآك ممزقاً إرباً وعرضك مستباحٌ يُثْلَبُ
أين الكتائب أقبلت ونداؤها الله أكبر! والردى يترقبُ
ومضوا لإحدى الحسنيين يشدّهم شوقٌ إلى دار الخلود ويجذبُ

- ويقرر عدنان النحوي طريق الخلاص في هذه الأزمة، فيبين أنه العودة إلى الله ليس غير، فهذه العودة تحيي النفوس الخاوية وترد إلى القلوب الطمأنينة وتقيم في الحياة الاستقامة، وتخلصها من دواعي القلق والاضطراب. وهذه العودة إلى الله

هي التي تدفع إلى الجهاد، وترجعُ الأمة إلى سدّة القيادة وتعلي راية الحق، وتنتج للأمة أسباب المجد والعلاء. يقول :

أمتي عودة إلى الله تحيي ميت الأرض والنفوس الخواءَ
أمتي عودة ترد إلى النفس ضياء يمزق الظلماءَ
عودة ترجع الجهاد وتعلي راية الحق واليقين علاءَ

هذه أمثلة تنبىء عما يمتاز به هذا الديوان من الملامح الإسلامية، ولم يكن قصدي الاستقصاء.. وكم نتمنى أن تكثر مثل هذه الدواوين عن فلسطين، قلب أمتنا المكلوم، وأمنيتها المهيضة. وللكلمة سلطان وأي سلطان.

ونختم هذه الكلمة بهذه الأبيات التي وجهها الشاعر لأمة الإسلام :

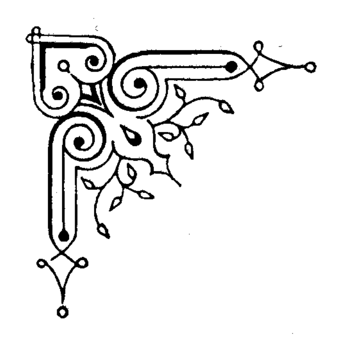
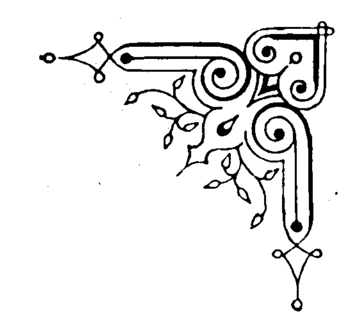
يا أمة الإسلام قد عظم البلا واربّد في ساحاتك الطغيانُ
أفلت حبل الله وارتخت العرى وجرت على ساحاتك القطعانُ
وهجرت قرآناً وسنة أحمد يا ويل من ينأى به الهجرانُ

والسلام عليكم ورحمة الله.

محمد الصباغ

١٨ محرم سنة ١٣٩٨

٢٨ كانون أول سنة ١٩٧٧

كلمة

الدكتور أحمد كمال زكي

منذ قديم يعرف تاريخنا الشعري مُقَصِّدَ القصيدِ المتفرد بفن واحد.. فهو يقصر شعره إما على مديح آل النبي صلى الله عليه وسلم كما فعل الكميت في هاشمياته، وإما على الغزل العفيف كما فعل العباس بن الأحنف، وإما على الزهد كما فعل أبو العتاهية.. وكل واحد من هؤلاء وممن أشبههم لم يُقَصِّرْ قط، ولم يُعْرف عنه إلا الإجادة، بل لقد خيف جانبهم بالرغم من أن تنوّع الفنون عند الشاعر القديم كان قاعدةً نقديةً واردةً في مجال الإجادة.. فقد قرر بشار بن برد أنّ من حسن طالعه أن شَغَلَ السيدُ الحميري نفسه بمدح آل البيت، وقرر أبو الفرجِ أن ابن الأحنفِ زاحم فحولَ عصره في مجلس الخليفة وأنه لما مات أمر هارونُ الرشيدُ ابنه المأمون فسار في جنازته.

وتطرد القاعدةُ ـ بلا استثناءٍ تقريباً ـ في عصرنا هذا، فنجد من الشعراء من يتخصص في فنٍّ واحدٍ لا يجاوزه، ونجد أيضاً أنه قد يحرز قَصَبَ السبْق دون غيره، ودون أن يقع في مغبة التكرار، ثم يُصدر من الدواوين ما لا يمل منها القارىءُ على الإطلاق.

وبين يدي ديوان من هذه الدواوين عنوانه «الأرض المباركة» وصاحبه الشاعر الصَّفَدي عَدْنانُ النَّحْويُّ وقيمةُ هذا الديوان ـ في نظري ـ أنه يصور رحلةَ شاعر

مع الزمن وداخلَ دائرةٍ واحدة هي الوطنيةُ التي تتطور إلى الإنسانيةِ عابرةً بالقومية. وبعبارة أخرى انطلق عدنانُ من منطلق فلسطيني ليعانق الإسلام قوميته وإنسانيته، وكانت البداية ملحميةً.. ففي أوائل الأربعينات ينسف الإنجليزُ داره وفي أواخرها ينسف الصهاينة وطنه وفي الستينات تكون النهاية المأسوية بضياع الضفةِ الغربيةِ والجولان وسيناء.

وبقدرة الشاعر المتمكن يستقطب عدنان مشاعر أمته للعمل من أجل خلاص الأرض المبـاركة، وكان قد نبهها قبلُ عندما رآها تتفرق أيدي سبأ، وذلك في قصيدته التي يقول فيها:

يا أخي هذه يدي وعهودي جمعتنا عقيدةٌ ودروبُ
لا تَذَرْني على الطريق وحيداً فكلانا إذا فعلتَ غريبُ
قم لنبني أمجادَنا عَزَمات صادقاتٍ وهمةً لا تخيب
يُمسك العروة الوثيقة إيما نٌ ووحيٌ من الجهادِ نَجيبُ
حفظ الله أمةً تتآخى من بنيها سواعدٌ وقلوبُ

نبه عدنانُ أمته ذلك التنبيه، ولكن الفُرقة ظلت، فكانت كارثةُ عامٍ سبع وستين وتسعـمائـة وألف.. ويبدو أن الشاعر وقد أعياه البحثُ طويلاً عن حل لتلك المشكلة.. يبدو أنه وَجَدَهُ في العقيدة نفسِها، ورأى أن الإسلام بقواعده هو الدواءُ لتلك الأمة التي طعنت في عزتها فهوتْ تتلمس في الثرى سنداً، ومن ثم انطلق يقول :

لا يستعيد حمى الأوطان غيرُ هدىً من الكتاب وعُبّادٍ له دانوا
تَشَوَّقَتْ لجِنان الخُلْد أنفسُهم فأرعدت في البطاح الحمْرِ فرسانُ

وهو يؤكد ذلك المعنى في إحدى قصائده المتأخرة، أي تلك التي أنشدها سنة أربع وسبعين وتسعمائة وألف بعنوان «عودة لاجىء» ويقول فيها:

وتطلعْتُ والخيامُ حيارى والجراحاتُ حولها والندوبُ

فإذا بالنداءِ صلصلةُ الحقِّ وأنشودةٌ ولحنٌ حبيبُ
من ربى مكةٍ يرجِّعه الأفقُ فتبتلُّ من نداه القلوبُ
رفعتْهُ مآذنٌ وأطلَّتْ بهداهُ مشارفٌ وسهوبُ
وتعالت : الله أكبرُ . . يأوي لِحماها مضيَّع وسروب

وبهذه الروح الإسلامية كتب الشاعر أروع قصائد الديوان وهي «لم يبق في عرفات إلا دمعة» و «دعاء» و «تبسمتَ حين أشرق فجر» في رثاء المرحوم سيد قطب . . وأرى أن الشاعر بهذه الثلاث عرف طريقه ولن يختار سواه[1].

وليس يقتصر الأمر هنا على المضمون فحسب ـ وأنا لم أتعد ذلك حتى الآن وإنما يمتد ذلك إلى الشكل أداء ووقعاً وإيقاعاً وتصويراً. والحق أنني مضطر إلى أن أحمد للشاعر بيانه، فقد فُجعْنَا كثيراً وطويلاً بذلك التسيب اللغوى الذي يصدر أغلب شعراء العصر عنه، بلغة جديدة يختلط فيها الثرى بالثريا، ويمتزج اسفلت الطريق بهالات النور، بجانب اشتقاقاته ومصادر صناعية يعلم الله أنها لا تمت إلى العربية على الإطلاق.

أما عدنان النحوي فمن المتطهرين لغوياً ـ وهو ممن يهتمون بأن للشاعر قاموساً شعرياً ينقيه أو ينخله، بحيث يظل به عصرياً في الوقت الذى يحافظ فيه على لغة القبيلة، وذلك اصطلاح غربي يعنى به الشاعر الناقد الانجليزى توماس اليوت أن يجتهد الشاعر في صنع لغة عصرية دون الخروج عن اصطلاحات اللغة التى وضعت من بعيد لتحترم.

وفي التدليل على ذلك بين يدى القارىء «لم يبق في عرفات إلا دمعة» بالرغم من أنها ليست أحلى قصائده، وهى تذكرنى بخليل مطران في كلمة ألقاها قبل أن ينشد مطولته «نيرون» في حفل تنشيط اللغةَ العربية بالجامعة الأمريكية في بيروت

---

(١) إلى هنا كانت الكلمة التي ألقاها الاستاذ احمد كمال زكى من إذاعة المملكة العربية السعودية في الرياض. ثم تفضل فأتمّ بعد ذلك الكلمة للديوان.

- فقد قال: «إنه.. يقدمها دليلاً على الطاقات الهائلة الكامنة في اللغة العربية حتى وهي تتقيد بتقاليد الشعر العربى الموحد الروى».

وأنا أقدم مطولة عدنان النحوي بالشهادة نفسها وفي أبياتها المائة والثمانية والعشرين تلك السماحة اللغوية التى تتجلّى في ترسلها.

بيد أننا ما دمنا خصصنا هذه المطولة بالذكر فلا بأس من ان نجعلها - نموذجا على فنية الشاعر الرفيعة، وأقول رفيعة وأنا أضع في تقديري الكم النغمي الموفور الذي لا تصدره تفعيلات البحر بقدر ما تصدره تركيباته اللغوية بكل تشكيلاتها المجازية، وفي ذلك يتعانق كل من وقع الكلمة المفردة بما هي صوت، وإيقاع العبارات بما هي صرخات، كدليل على ذلك نقرأ معاً المقطع الذي يبدأ بقوله «دار السلام» وهنا الشاعر يجمع بين شعوب العالم العربي كالعراق ومصر وتونس والأردن وغيرها،وقد رسم به ويمقطع قصير من بعده - بفنية قادرة لبكائيه من أجل الأقصى تفيض صدقاً وعذوبة.

دار السلام وأي لحن لم يكن ... شكوى بدارك إن شدت بغدان
ذكرى لدجلة والفرات وساحة ... غناء تخفق عندها الالحان
تمضي رُبَى الاردن بين مياهها ... ذكرى يعيد رواءها الجريان
ذكرى تمر بكل خفقة موجةٍ ... أو زهرة فاحت بها عمان
ودمشق تطويها الضلوع صبابة ... وتغيب بين جفوني السودان
والمغرب الزاهي أرد لساحه ... طرفي فيهفو للقا إخوان
يا تونس الخضراء عهدي بالهوى ... صاف وعهدي في الرُّبى ريحان
ما بال زهرك لا يرفرف بالندى ... صبحا ولا تضحى به ألوان
حال الهوى عن عهد أحمد وارتخت ... منك العرى وتبدلت أزمان
لولا ندى الإيمان ما حمل الثرى ... نبتاً ولا غنت بك الأفنان
ردي لمصر إذا نظرت لنيلها ... عتبى لمن صرعوا هناك وبانوا
الضفتان رؤى يضم شتاتها ... أيك وتطوي ذكرها الأغصان
ومساجد نض الهوى بقبابها ... جنحيه فانتفضت لها أحزان
الذكريات على رباها زهرة ... فيطيب عند شميمها السلوان

وأما المقطع الذى أوله «ياأمة القرآن ...» فشعر صاف مجنحة ألفاظه، مهوّمة خيالاته، تطغي عليها دائمًا مواقفه الإسلامية الموضوعية .. وفي ظني أن الشاعر يجد دائمًا تناقضاً بين موقفه الفكري ونزوعه العاطفي، وهذا سر تقديمه مجموعة من الصور التقليدية يزجيها من تراثنا لتساعده على أن يكون الشاعر الفحل - ولعلنا لا نستكثر عليه من حيث هو شاعر محافظ - وقوعه في سلسلة من المعارضات غنى بها أوتار المتنبي وشوقي وغيرهما.

وبعد، فمن الصعب تحليل صوره في هذه الصفحات، لكن ما يمكن قوله - مع ذلك هو - أنها تشكيلات شاعر يمكن أن نعده من سلالة عبيد الشعر، وهي جماعة قديمة أخذت نفسها بتنقيح شعرها وتنويعه، لكنها لم تجتمع على أداء فني محدد.

إن عدنان النحوي - بعد كل هذا شاعر مجيد وبأدائه الهادىء الرصين يستطيع أن يقول الكثير ويلفتنا إلى الكثير، وبين هذا وذاك يهيء لنا الجو الذي لا يُهَيِّئه إلا فنان صادق.

الدكتور أحمد كمال زكي




الأرض المباركة (١)

عبد العليم القباني

تمر الأزمنة بما تحمل من سمات خاصة، وبما فيها من اتجاهات فنية تتفق مع التيارات المتجاوبة أو المتعارضة خلالها.

وتتوالى المناهج النقدية المختلفة لهذه الفنون، تحمل من تفسيراتها لها أيضاً، طابع العصور والأمكنة والناس.

وتتصارع الآراء حول توفية أو تقصير هذه المناهج، لما قامت من أجله، لكن هناك قاعدة واحدة تظل فوق هذه القواعد جميعاً، قد تتضاءل عند بعض الناس، وقد تتوهج عند آخرين، ولكنها تظل أبدا خالدة باقية ما بقيت فنون الأدب ومنها - إن لم يكن في مقدمتها - «الشعر».

تلك هي قاعدة التذوق الفطري التلقائي للشعر، سواء أكان مسموعا أو مقروءاً ذلك لما للشعر من مساس مباشر بالعواطف المختزنة أو المتحفزة في جوانح من يستمعون إليه أو يقرأونه.

إن الأساس الأول الذي ينبغي على الناقد أن يطبقه هو تجنب الابتداء بتطبيق

(١) نشرتها مجلة الفيصل في العدد ٥٤، ذو الحجة سنة ١٤٠١هـ

القواعد الجاهزة التي أعدها نقاد آخرون، قد تختلف أذواقهم وأفهامهم، في تذوق هذا الشعر المعروض أمامهم، ومن ثم فهم لا يشعرون إزاءه بما ينبغي الشعور به لو أنهم كانوا على صلة روحية مباشرة به.

صحيح أن التذوق يقوم على الانفعال الشخصي للمتذوق، وأن خطر النقد التذوقي يكمن في أن صاحبه قد يقدم لنا انفعاله هو إزاء العمل الفني وليس القيمة الحقيقية التي يستحقها هذا العمل، وأن على الناقد أن يأخذ بالمقاييس التي وضعها النقاد المتمرسون من قبل إن لم يكن قد أضاف عليها شيئاً من عنده، ذلك حتى يفلت من هذه الهوة.

ولكن المقاييس الجامدة لا تكون - في العادة - مقبولة تماماً في غير العلم المادي حيث يكون الهدف، هو الوصول إلى نتيجة محددة، لا يمكن الوصول إليها إلا من خلال تجارب مقاييس محددة هي الأخرى.

لكن العمل الأدبي قد يختلف باختلاف أذواق مبدعيه وقارئيه وكلاهما لا يمكن - بغير تعسف - فرض القواعد المسبقة على أذواقهم.

ومن هنا يجب أن يكون التذوق - فيما أرى - هو المخبار الأول في النقد، ثم - وهذا في المقام الثاني - الاستعانة بالمقاييس النقدية الجاهزة، مع الدقة اللازمة في اختيار المنهج الذي يلائم الزمان والمكان والظروف المحيطة بالقطعة المراد نقدها.

على أنه - في كل الحالات - لا يجب التجاوز عن القواعد التي اتفق الكل عليها كأساس للعمل الفني، وأهمها - بالنسبة للشعر - سلامة اللغة باعتبارها أداة التعبير، وسلامة الموسيقى، كإطار لا بد أن تتساوق الكلمات من خلاله.

أقول هذا، وقد اتحفني أخي الكريم الأستاذ الدكتور محمد مصطفى هدارة الأستاذ بآداب الإسكندرية، بديوان صديقه، الذي أرجو أن يكون صديقي إن شاء الله، الشاعر عدنان النحوي، - الأرض المباركة - ذلك لأني أردت أن أستعرض ديوانه هذا، على أساس من هذا المنطلق الذي اخترته.

★ ★ ★

والشاعر «عدنان النحوي» كما يقول الدكتور هدارة في المقدمة القيمة التي قدم بها هذا الديوان «نشأ في صفد بأرض فلسطين في أواخر العشرينات، وأخذت أكمام صباه تتفتح في الثلاثينات، وهي فترة كانت تضطرم فيها أحشاء تلك الأرض الطاهرة بالثورة ضد الاستعمار الإنجليزي المتحالف مع الصهيونية العالمية فارتبط «عدنان» منذ صباه الباكر ببلدته ووطنه وأمته ودينه.

وما من شك أن عدنان نشأ مفطوراً على الشعر، ولم يبعد عنه لحظة واحدة حتى عندما اتجه إلى دراسة الهندسة».[1]

ويتابع الدكتور هدارة تأكيده بأن الشعر بالنسبة إلى عدنان «هو نبض وجدانه ومعاناة عاطفته، وفيض مشاعره، وذوب فكره فليس عنه غناء وليس منه بد..».[2]

والحق أن هذا التعريف هو مايخرج به قارىء ديوان «عدنان» بعد أن يستعرض صفحاته جميعاً.

هذا الديوان الذي يضم أربعين قصيدة ومقطوعة تستقي من ستة مناهل غير منفصلة تماماً، بل إنها تمتزج احيانا إلى درجة يصعب معها التفريق بينها.

تلك هي الفلسطينيات والمراثي والوجدانيات والسياسيات والقوميات والإخوانيات وليس للغزل بينها إلا نصيب يمكن إغفاله.

وتحتل فلسطين سواء في القصائد الخاصة بها أو في القصائد الأخرى نصيباً كبيراً وليس ذلك بعجيب. ففلسطين هي الجزء المنتزع من قلب كل عربي. وأول هذه القصائد «نذير» وقد نظمها سنة ١٩٤٣ وتحس فيها بالنغمة الصاخبة الهاتفة التي تتفق في هتافها مع الغرض السياسي المنظومة من أجله.

أنتم تنوحون والأعداء قد بلغت ... منكم وجاست خلال الملك تطوينا
شدوا العزيمة، شقوا الدرب، واخترقوا ... صفَّ العدى عصبة لا تظهروا لينا[2]

---

(١) مقدمة الديوان صفحة ٢١ ـ ٢٢.

(٢) ص ٦٢

ويظل الشاعر يبث الشجون، ويثير العواطف، وكلما مرّ عيد من الأعياد أضاف جرحاً جديداً إلى جراحه فهو يصرخ في وجه العيد.

أيها العيد أين منك الوعود طال فيك الرجاء والترديدُ
أن نرى من شبابنا كل حُرٍّ صاعداً للردى، فـذلك عيـدُ[1]

أو تلسعه دالية «المتنبي» فيتنهد وهو يقول :

ما العيد إلا لحر لم يهن أبدا ولا بدا وهو في الأغْلالِ مصفودُ[2]

وهكذا تتجدد مثيرات مشاعره بتعدد المناسبات المتوالية، وتتركز بصفة خاصة، كلما دار الحديث حول بلد من البلاد التي تربطه بها الأواصِر القريبة من الأسرة أو المولد فهو يناجي «حيفا» من لهفة المحب..

حيفا فديتك ما أبهى مغانيك وكم يطيب الهوى في ظل ناديكِ
ما الحسن إلا كتاب أنت أسطره أو أنه قبـلة قـرت على فيـكِ[3]

وتنفجر الفاجعة فتعصف بكيانه حين تسقط «صفد» بلده الحبيب فيشتعل شعره لظى صارخاً وهو يرى أهله ينزحون عنها :

أنزوح، يا ويحهم، أنزوح ورضيع على الأكف ينوحُ
يبتغي قطرة، وذاك جريح وعجـوز مـروع، وطـريـحُ[4]

وهو يقبس من مصارع الشهداء الجذوات التي ينفثها في عروق الباقين، يستثير فيهم بها روح الكفاح والنضال، ومن قصائده الرائعة في هذا المجال، قصيدته التي

---

(١) ص ٦٧
(٢) ص ٧١
(٣) ص ٧٣
(٤) ص ٨٦.

يرثي بها الشهيد «عبد القادر الحسيني» والتي يختتمها موجها خطابه إلى الشهيد فيقول :

وخضت شرقّيها ترمي بوارجهم بفتية نجب لا جحفل لجبُ
والليل حولك جياش تخوض به كأنما أنت فيه جحفل عجبُ
لم يبق عندك مذخور فتقذفه أو منجد قائم يدنو ويقترب
وانهالت النار فاستقبلت حرتها وأنت في القسطل الحمراء تحتطبُ
حتى قضيت وفي جنبيك أوسمة حمراء لا لؤلؤ فيها ولا ذهبُ[1]

★ ★ ★

على أنه، وهو ينفعل بالأحداث الدامية التي تجري على «الأرض المباركة» فلسطين لا تبتعد أحاسيسه ـ في الوقت نفسه ـ عن الذي يدور في بعض البلاد العربية من كبت وارهاق، وعنت وأحداث، لها في النفس مضاضة ظلم ذوي القربى كما يقول الشاعر القديم[2] . فلقد طغت مراكز القوى في بعض هذه البلاد وساقت إلى السجون والمعتقلات آلافا من الأبرياء. ساقهم أولئك الذين قال فيهم شاعرنا :

لم تجاوز عزة النفس بهم لفظة ماتت على ثغرهم [3]

أو كما يصف الشاعر أحد مجالس القضاء الصوري التي اقيمت في ذلك العهد، وما كانت تقوم به هذه المجالس من انتهاك لأبسط قواعد العدالة وفيها يقول.

ومحاكم التفتيش مد رواقها كف يسيل على جوانبها الدم

---

(١) ص ٧٩ ـ ٨٠.

(٢) طرفة بن العبد حيث يقول:

وظلم ذوي ل القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند

(٣) ص ١٣١.

ومهازل فيها تحاك فأحق يهذي وَحُرٌّ قيدوه وكمموا
ودعوه بين بنادق مصفوفة وقنا محددة وقيل تكلموا
وأخو القضاء أخو هوى وضغينة وجهالة تبدو عليه وترسمُ
ياشعب باسمك كم تباح مظالم والشعب لا يدري ولا هو يحكمُ [1]

وتلاحقه أطياف سوداء من ذلك العهد لا تفتأ ترسم أمام عينيه أعواد المشانق التي ارتقى إليها عدد غير قليل ممن وخزتهم شوكة الحرية. وكان أن نظم سنة ١٩٧٢ قصيدة بالغة الأسى والشجن تقع في اثنين وسبعين بيتاً يرثي بها المفكر الإسلامي سيد قطب والتي نختار منها هذه الأبيات ويقول فيها عن هذا الشهيد.

إنه خفقة اليقين، أمانيُّ .. جهاد، نسائم القرآن
هب - كالليث، والدياجير حمقى جامحات، مفلوتة الأرْسانِ
تنزع الناس، والخلائق حيرى تائهات الأبصار والآذان
كتل كالعبيد ينهبها السوط جنونا تساق كالقطعان
الطريق الطويل شق عليها فهوت في مزالق وهوان
فتنة تُهدر المروءات فيها وتردى كرامة الإنسان
غير أن العبيد قتلها الذ لُ فلم ترتعش لسوط هوان
إيه يا سيد حملت إلى النا س سلاما وروعة من بيان
وأقاموا عليك من ظلمة الليـ ل سجونا مخنوقة الجدران
وأقاموا لك المشانق أعوا دا ومدوا حبائل البهتان
وتبسمت حين أشرق فجر! وأطلّت من الخلود أماني
وتركت الذليل يقتله الحقـ ـد على مرجل من الغليان

ويختتم قصيدته موجهاً للشهيد سؤاله الشامت بهذه العصابة :

أين فرعون والعصابة والسـ ـوط وذلّ الرفاق والأعوان؟
هلكوا في متاهة الشرك أجيا فا وحلّقت في نعيم حاني
فمضيتم معالماً في طريق ومنارا للتائه الحيران [2]

---

(١) ص ١٣٥. (٢) ص ١٣٨.

وتنطلق لواعج «عدنان» من عقالها وتتنقل بحيث تشمل بلاد المسلمين جميعاً وقد راعه أنّ :

أحنت منائرها الهضاب تفجعا	وبكى على فرسانه الميدان
وتشعبت دون الظلام مسالك	شتى وكان سبيلَنا القرآن [1]

ومن ثم نظم أكبر قصائده «لم يبق في عرفات إلا دمعة» في مائة وثلاثين بيتاً بكى فيها واستبكى ووقف في دروبها واستوقف وأنا هنا أنقل بعض أبياتها بلا ترتيب إذ كان هدفي هو الإشارة إلى بعض البلاد الإسلامية أو التي رفرفت عليها راية الإسلام من قبل والتي جمعها في هذه القصيدة :

ردّي روابي (الصين) أين قتيبةُ	والسور تنهد حوله الفرسان
و (السند) ما للداجيات تلفه	والذكريات على ذراه أذان
ردّي روابي (الهند) أين شريعة الرْ	حمن من سلطانها السلطان
(دَار السلام) وأي لحن لم يكن	شكوى بدارك إن شدت (بغدان)
تمضي رُبَى (الأردن) بين مياهها	ذكرى يعيد رواءها الجريان
و (دمشق) تطويها الضلوع صبابة	وتغيب بين جفوني (السودان)
و (المغرب) الزّاهي أردّ لساحه	طرفي فيهفو للّقا إخوان
يا (تونس) الخضراء عهدي بالهوى	صاف وعهدي في الرُّبَى ريحان
ردي (لمصر) إذا نظرت لنيلها	عتبى لمن صرعوا هناك وبانوا
وتلفت (الأقصى) (لمكة) لوعة	أختاه تنهش أضلعي الغربان
أختاه أين المسلمون وحشدهم؟	أين الملايين الغثاء أهانوا؟

يشير في الشطرة الأخيرة وفي كلمة (غثاء) بالذات إلى الحديث الشريف القائل «يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تداعي الأكلة إلى قصاعها، قالوا أو عن قلة نحن يومئذ يارسول الله قال ولا، ولكنكم غثاء كغثاء السيل» أي لا غناء فيهم.

* * *

---

(١) القصيدة كاملة من ص ١٤٤ ـ ١٥٦.

تلك هي ثورة «عدنان» كما قرأناها في قصائده، أما حين يهدأ ـ وقليلاً ما يكون ـ فهو وصاف يتأنق في وصفه فيجيد، وإنك لتجد مثالاً لذلك في هذا المنظر الطبيعي الذي تختاره له من قصيدته «صفد» بلده الحبيب، والتي يناجي فيها بعض تفاصيل هذه الصورة الجميلة بقوله:

يا زهرة اللوز الشُّهي وطلعة النْـ ... نَور البهي وغرسة الأجداد
يا غرسة العناب مدت كفها الـ ... ـمخضوبَ من فرع لها مياد
كالغادة الحسناء خلف خبائها ... دفعت بنانا للمحب الصادي
يا أمسيات في «الرجوم»[1] كأنها ... عطر الشباب وبهجة الأعياد
و «البحرة الزرقاء»[2] دون شعابه ... نزلت فأنزلها سواد فؤاد
نَهَدَتْ بجنبيها الربى وتوثبت ... نهدين مضطربين فوق مهاد
أهدى لها الليل الشجي غلالة ... سمراء تخفق في ظلال سواد
وشت حواشيها النجوم لآلئا ... تطوي وتنشر من بريق هادي
والبدر بين الناهدين كماسة ... موصولة في جيدها بقلاد[3]

★ ★ ★

وصياغة «عدنان» عربية أصيلة، لا نأخذ عليه فيها إلا القليل النادر من مثل استعماله لكلمة عجوز كمرادف لكلمة شيخ في قوله:

وفي جبهة الشيخ العجوز له يد ... وفي قلبه آياته ومآربه[4]

فإن كلمة عجوز لا تطلق على الرجل وفي القرآن الكريم أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً. ولعل كثرة قراءات عدنان فيما نظم الأقدمون هي التي تركت بعض آثارهم تقفز من ذاكرته لتأخذ وضعها في بعض أبياته كقوله:

---

(١) الرجوم مكان يطل على بحيرة طبرية يتنزهون به.

(٢) بحيرة طبرية.

(٣) ص ١١٧ (١٦) ص ١٦٨ (١٧) ص ١٧١

(٤) كلمة عجوز تصح للرجل والمرأة فلا خطأ.

أيتها النفس أجملي جزعا وابتسمي كل فرقة ستهون[1]

فإن صدر هذا البيت هو بذاته صدر مطلع قصيدة لشاعر قديم يقول فيه:

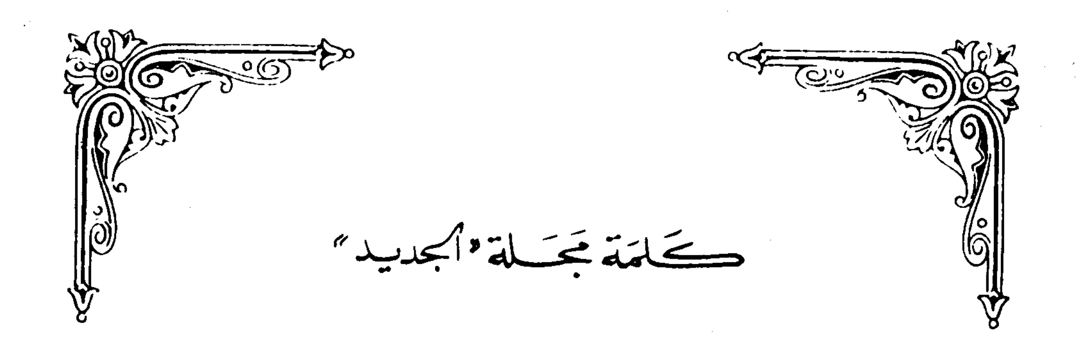
أيتها النفس أجملي جزعاً إن الذي تحذرين قد وقعا

وأخيراً أشكر للصديق الكريم الدكتور محمد مصطفى هدارة مرة أخرى أن أتاح لي هذه المتعة الأدبية التي أمتعت روحي بها بضعة أيام، عشت فيها مع أنغام الشعر الأصيل في زمن قل فيه الشعر.

الاسكندرية
[٣ شارع ابن ملاعب - الحضرة القبلية]

عبد العليم القباني

(١) البيت هو : (إيهِ يانفسُ) ولو كانت (أيّتها) فالبيت يختل وزنه ويصبح الشطران من بحرين مختلفين والبيت في القصيدة مصحح من الخطأ.



شاعر لا يأكل من صحن القضية

بقلم زهير مارديني

نادراً ما كنت تجد إنساناً عربياً لا يتباهى بأنه يحفظ الشعر، ويتغنى به، وينشده.

كان هذا في الماضي القريب، يوم كان الشعر صناجة القضايا العربية، وعودها ونايها. ويوم كان الشاعر العربي يموت ولا يحني هامته.. ويتحدى السلطان الذي يحاول أن ينال من كبريائه. أما الآن فقد تحول الشعر في عصر الجماهير والميكروفونات إلى أرخص أنواع السلع، وذلك حين أصبح للنهد البارز شاعر، وللفخذ البض شاعر، وللخصر وما بين أعلاه وأسفله شاعر من أصحاب الاختصاص.. وأمسى شأن الشاعر يقدر بنوع الورق الفاخر الذي يطبع عليه شعره غير المقفى.. وينحط بمقدار رخص الورق.

ولقد كنا في الزمان الأول نتطلع إلى مضمون الشعر وجودته، أما عهد الانقلابات والثورات والإيديولوجيات، فقد أصبح سعر الشاعر يرتفع وينخفض بمقدار ما ينحني بوز الشاعر ليلامس الأرض وما يسير عليها عادة... لهذا أقسمت بروؤس هوشه منه وكيم إيل سونغ وتشي غيفارا على عدم الاقتراب من ديوان شعر، أو ملامسته سواء بقافية أو بدونها..

أقول قولي هذا وأنا أمسك بيدي، برضائي التام، مستغفراً ربي، ديوان شعر اسمه الأرض المباركة لمؤلفه عدنان النحوي.. أما ناشره فهو الأستاذ زهير شاويش صاحب دار نشر المكتب الإسلامي الذي لا يتسلى عادة في طبع الكتب فكيف إذا كان الكتاب ديواناً للشعر، وفي عام ١٩٧٨.. لقد استغربت أن يقوم رجل بوقار الشاويش على الاقتراب من الشعر الجديد، فلم يسبق له أن تعاطى مثل هذه الأمور، كما أنه لم يعرف عنه الاقتراب، لا في السر ولا في العلن، من شعراء مابعد الانقلابات والثورات.. فالرجل مؤمن يصلي ويصوم ويحج ويزكي، والاقتراب من أمثال شعراء العصر ينقض الوضوء... ولكن بعد أن صليت العشاء وأمسكت بالكتاب الديوان نسيت الشعر والشعراء، ولم أفارقه إلا على مؤذن الفجر وهو يتلو بصوت شجي :

﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله﴾.

عنـدها فقط عرفت سر التسمية بالأرض المباركة، عرفت من خلال قصائد النحوي أنه من هناك من البلد الذي يبكي عقوق الأهل قبل عقوق الأصدقاء، وجحود الأقارب قبل جحود الأعداء..

أنا يا أخت ضائع لست أدري ... أين قومي وأي أرض أجوب
في ضلوعي أسى وفي العين دمع ... يتنزى وفي الفؤاد ندوب
وعلى الوجه بسمة ظللتها ... غبرة الموت واعتراها شحوب
ودبيب الأيام ينزع مني ... نفساً خافقاً وروحاً يغيب

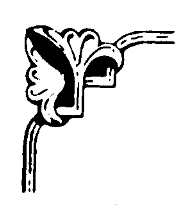
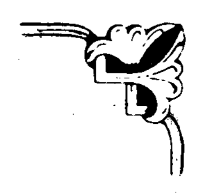
وهو حين يرى الدماء البريئة تنزف ظلما يقول :

أدم يراق وفتية يتساقطو ... ن وعصبة الطاغوت فيهم تحكم
والشعب مسكين يجرد فوقه ... سيف تشل به اليدان ويلجم

لقد أدركت من خلال ما قرأت من شعر أن الشاعر لم يأكل من صحن القضية،

وأنه أكبر من شعره وأنه من أهل النضال العربي والوعي الإسلامي.. وأنه فوق هذا وذاك ملتزم بقضايا بلاده، مؤمن بربه متعلق بدينه وعقيدته... وهذا كله يعتبر الآن رابع المستحيلات إذا أضفنا إليها الغول والعنقاء والخل الوفي.



كلمة جريدة اللواء الأردنية

بإشراف حلمي الأسمر

الشعر ميدان خصب يستطيع فيه الشعراء أن يبثوا من خلاله مشاعرهم، ويشحذوا مشاعر الناس وهممهم، لعلهم يعون واقعهم ويسعون إلى التغيير.

والديوان الذي بين أيدينا هو لواحد من أبناء الأرض المباركة فلسطين، وهو واحد من أبناء صفد، ولد في أواخر العشرينات. ورغم أن ميدانه الدراسي ليس الأدب بل الهندسة، فإن محاولاته في الشعر كانت منذ نعومة أظفاره... وقد نمت هذه الموهبة وصقلت وخرجت في هذا الديوان الذي هو الأول للشاعر.

وقصائد الديوان يطبعها طابع الشعور بالمأساة الفلسطينية وإدراك أن حل هذه المأساة لا يكون إلا بالإسلام، هذا إلى جانب معاناته لأحداث العالم العربي... وقد حفل الديوان بالعديد من القصائد في شتى المجالات فجمع بين الإخوانيات والوطنيات والإسلاميات والرثاء والاجتماعيات.

وقد قدم الدكتور محمد مصطفى هدارة للديوان، فتحدث عن الشاعر وعن الديوان، وتحدث عن اهتمام الشاعر بمدينة صفد ثم بالمدن الفلسطينية الأخرى... وتحدث عن ظاهرة عدم وجود شعر غزل في ديوان الشاعر إلا في مقطوعتين تعبران

عن شوق وحنين في فترة الصبا الباكر. . . وقارن الدكتور بين نماذج من شعر عدنان النحوي وشعر المتنبي وأحمد شوقي.

افتتاح الديوان وعقيدة الشاعر

ونطالع الديوان فنجد أن الشاعر افتتح الديوان بقصيدته الروحانية ـ دعاء ـ ولعل هذا الافتتاح مايدل على عقيدة الشاعر، وإيمانه بأن التوجه إلى الله هو السبيل للخلاص من كل الآلام التي تعاني منها البشرية في العصر الحاضر. . . وهو يصف حاله الذي يمثل حالة المسلمين فيقول:

يارب هذا دعائي كيف أرفعه   إليك وهو على الآثام محمول
لولا التأمل في رحماك ما انفرجت   نفس ولا كان للملهوف تجميل
يارب انت وليي فاهدني سبلا   إلى الرشاد، دعائي فيك مأمول
يارب أنت الذي أرجو معونته   في كل أمري، رجائي فيك موصول

وبعد هذا الدعاء يقدم لنا قصيدة في الرثاء. وأصدق ما يكون الرثاء حين يكون لقريب، وأي قريب هو أشد قرابة من الأم. . . توفيت والدة الشاعر سنة ١٩٥٢ فخاطبها قائلاً :

أماه أطلقها الفؤاد ومازجت   صوت النواح مدامع الأجفان.

وفي هذا البيت نلمح إلى أي مدى وفق الشاعر في المزاوجة بين الأحاسيس التي اشتركت في الحزن، فالفؤاد صرخ أماه، وصوت النواح رافقه الدمع، وهكذا كانت كل الحواس حزينة. . . والقصيدة طويلة إذ جاوزت الثلاثين بيتاً واستوعبت كل مايمكن أن يقوله ابن لأم متوفية. . .

ويحس الشاعر أن أبناء قومه أغراهم الكسل فيخاطبهم قائلاً :

فيا قومي استولى النعاس عليكم ... وغيركم بالدهر يشقى ويتعب
فنالوا منالاً قد رواه جبينهم ... وَأَسَّسَهَ عزم شديد مذرَّب
وأنتم أقمتم في خباء من الكرى ... وقامت بنات الدهر تبكي وتندب
ولم تنهضوا حين استفز شعوركم ... ونبهكم هذا العدو المجرب
بني وطني هبوا فقد طال نومكم ... وباتت عليكم فرصة الدهر تغرب
ألا فُرَصٌ تغدو وتعدو سريعة ... ولست تنال اليوم ما كنت توهب

ويمر العيد على الشاعر، كما يمر على كل أبناء الوطن المشرد، ومع كل عيد يكون هناك أمل ورجاء، وفي أحد الأعياد تذكر الشاعر قصيدة المتنبي الشهيرة التي مطلعها:

عيد بأية حال عدت يا عيد ... بما مضى أم لأمر فيك تجديد.

فنظم قصيدة - عيد في فلسطين - على نفس البحر والقافية وجعل مطلعها :

أيها العيد أين منك الوعود ... طال فيك الرجاء والترديد

وقد كان للشهداء نصيب في ديوان الشاعر.. . فقد رثى الشهيد عبد القادر الحسيني الذي استشهد في معركة القسطل سنة ١٩٤٨ في قصيدة مطلعها :

عاد المزبر فما للقلب يضطرب ... وللعيون وهذا الدمع ينسكب
جاء البشير الينا والنعي معاً ... كلاهما خفقة: فالنصر والحرب

وإن كان الشهيد عبد القادر الحسيني قد سقط دفاعاً عن الأرض، فإن هناك شهيداً آخر استشهد لأنه كان يقول الحق ﴿وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد﴾.. هذا الشهيد هو الشهيد سيد قطب. وقد رثاه الشاعر بقصيدة طويلة جاوزت السبعين بيتاً. تحدث فيها عن الشهيد ومواجهته للإعدام. . . وقد اتبع في القصيدة أسلوب القدماء، فكانت هناك مقدمة ناجى فيها الشاعر الطيور والزهور وكأنه يريد أن يجعل من في الكون كله يشعر بهذا الحدث الجلل.

والمفروض أن لا يكون في الرثاء شعر طبيعة، ولكن يبدو أن الشاعر لا يريد أن يجعل من هذه القصيدة مرثية، بل قصيدة اعتزاز بالشهيد، وإنَّ الشهادة هي خير ما يتمناه الإنسان، وهو لذلك جعل عنوانها ـ وتبسمت حين أشرق الفجر ـ وجعل مطلعها...

غردي يا طيور والتقطي الحـ ـب وطوفي بروضة ومغاني.

ولعل أروع ما في الديوان قصيدته المطولة ـ لم يبق في عرفات إلا دمعة... بدأ الشاعر القصيدة بمناجاة أرض الحرم ووصفه ومباركته، ويتألم على حاضر المسلمين، فيسأل الصين عن قُتَيْبَة بن مسلم الباهليّ ويسأل السند عن الفاتحين، ويسأل دار السلام وتونس والمغرب وباقي الدول العربية... ويفرد للأقصى جزءاً من القصيدة، ويقرن بينه وبين مكة في قوله :

وتلفَّت الأقصى لمكة لوعة أختاه! تنهش أضلعي الغربان
أختاه! أين المسلمون وحشدهم أين الملايين الغثاء! أهانوا؟
أختاه! وانقطعت حبال ندائه واغرورقت من دمعه الأجفان
وهوت معاول كي تدق حياضه وهوت على أمجاده الجدران.

وتحدث عن عرفات بكلام مهذب يسيل رقة وحنانا، ولا يملك من يتأمله إلا أن يبكي فيقول :

عرفات ساحات يموت بها الصدى وتغيب خلف بطاحه الألوان
لم يبق في عرفات إلا دمعة سقطت فبكت حولها الوديان
هي دمعة الإسلام يلمع حولها أمل وتهرق بينها الاحزان.

وبعد هذا الاستعراض السريع للديوان لا نملك إلا أن نسجل الملاحظات التالية :

١ ـ الأسلوب الغالب على لغة الشاعر. هو الأسلوب الكلاسيكي ومحاولة محاكاة القدماء.

٢ ـ للشاعر نفس طويل برز في أكثر من قصيدة، هو يدل على موهبة متوقدة ولا شك أن عنده المزيد.

٣ ـ المزج بين الوطنية والتدين أمر محبوب بلا شك، وإن كان أحياناً يبدو فصل بين القضيتين، لكننا نرى في ـ لم يبق في عرفات إلا دمعة ـ المزج الرائع بين الإسلام وقضية فلسطين.

٤ ـ الألفاظ عموماً سهلة، رغم عدم وجود معجم شعري خاص للشاعر.

٥ ـ اتبع الشاعر وحدة القصيدة لا وحدة البيت مما أضفى على القصائد تماسكاً وارتباطاً.

٦ ـ شكل القصيدة هو الشكل العمودي، ولا توجد أي قصيدة من الشعر الحديث

٧ ـ نجح الشاعر في الموسيقى الداخلية والخارجية في القصائد وإن كان أغلب استعماله للأبحر الطويلة ـ الطويل، البسيط، الكامل ـ ولكنه وفق عموماً في موازنة موضوع القصيدة مع البحر الذي نظمت عليه.

بعد هذا كله نقول: إن محاولة الشاعر هي لبنة جديدة تضاف إلى الأدب الإسلامي الملتزم الذي نأمل أن يزداد أو أن نرى كل يوم ديواناً جديداً لشاعر مسلم ملتزم.

احمد عوض النشاش



الأَرْضُ المُبَارَكَةُ



دعاء

يارَبِّ! هٰذَا دُعَـائِـي كَيْفَ أرْفَـعُـهُ
إلَـيْكَ وَهْـوَ عَلى الآثَـامِ مَحْمُـول

لَوْلاَ الـتَّـأمُّـلُ في رُحْمَـاكَ مَا انْـفَـرَجَـتْ
نَفْس وَلاَ كَانَ لِلْمَـلْهُـوفِ تَجْمِـيلُ

★ ★ ★

يَارَبِّ! أنْـتَ وَلِـيِّي فَاهْـدِنِي سُبُـلاً
إلَى الـرَّشَـادِ، دُعَـائِـي فِيْكَ مَأْمُـول

يَارَبِّ! أنْـتَ الَّـذِي أرْجُـو مَعُـونَـتَـهُ
في كُلِّ أمْـرِي، رَجَـائِـي فِيْكَ مَوْصُـولُ

★ ★ ★

كَمْ دَمْـعَـةٍ سُفِـحَـتْ فِي الـلَّيْلِ سَارِيَـةٍ
وَكَـمْ تَرَدَّدَ فِي جَـنْـبَـيَّ تَعْـلِيْلُ

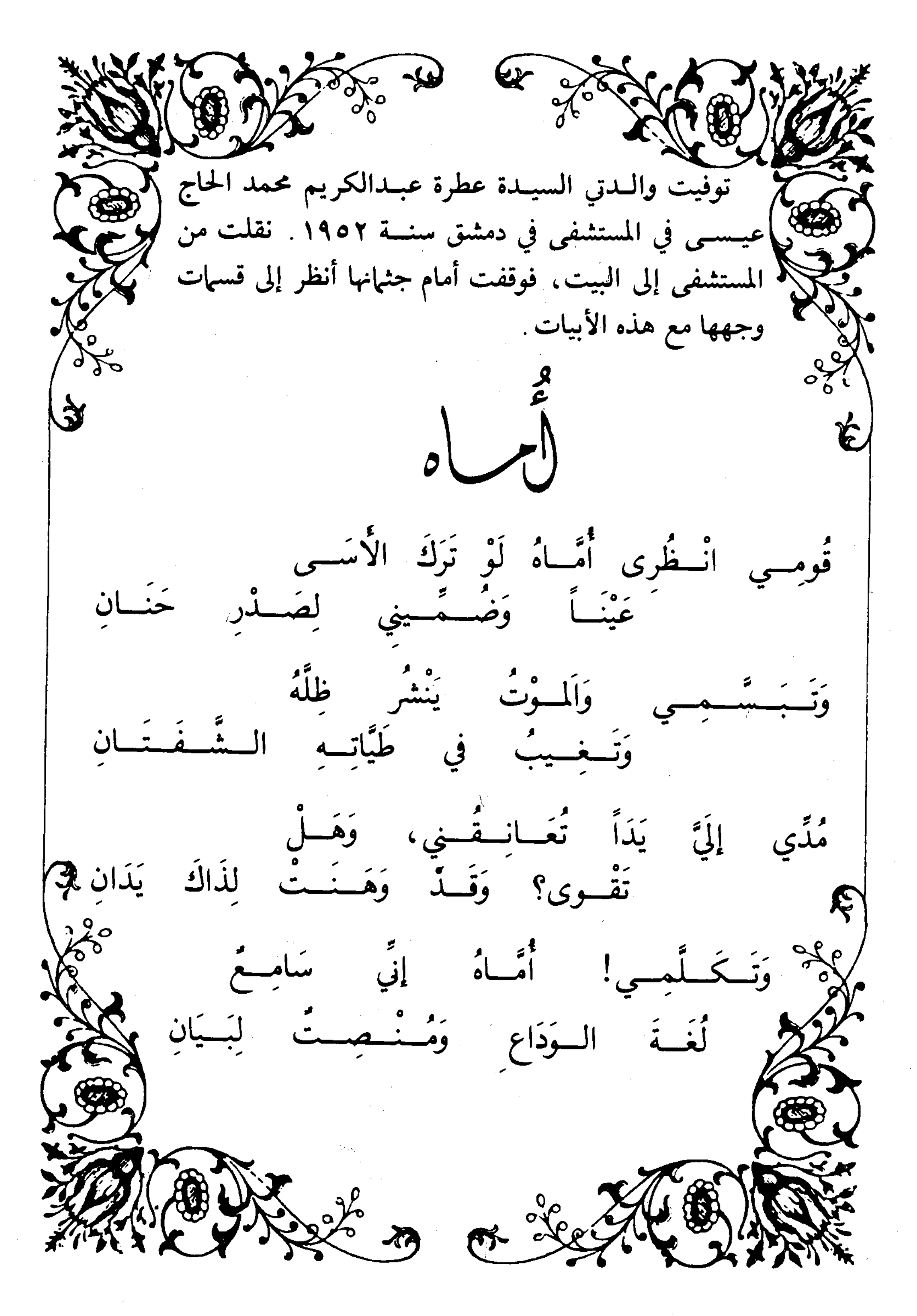
وَكَـمْ تَنَـفَّسَ صُبْـحٌ مَا نَسَـائِـمُـهُ
إلَّا ابْـتِـهَـالٌ إلَى الـرَّحْـمٰـنِ مَتْـبُـولُ

وَمَـا نَدَاهُ سِوَى دَمْـعٍ أُكَـفْـكِـفُـهُ
يَا رَبِّ! عَلَّ دُعَـائِـي مِنْـكَ مَقْـبُـولُ

خَفْـقُ الـقُـلُوبِ دُعَـاءٌ أَنْـتَ تَسْـمَـعُـهُ
وَلِـلْجَـوَارِحِ تَسْـبِـيحٌ وَتَهْـلِيْلُ

★ ★ ★

١٩٦١



توفيت والدتي السيدة عطرة عبدالكريم محمد الحاج عيسى في المستشفى في دمشق سنة ١٩٥٢. نقلت من المستشفى إلى البيت، فوقفت أمام جثمانها أنظر إلى قسمات وجهها مع هذه الأبيات.

أُماه

قُومي انْظُرِى أُمَّاهُ لَوْ تَرَكَ الأَسَى
عَيْناً وَضُمِّيني لِصَدْرِ حَنَانِ

وَتَبَسَّمِي وَالمَوْتُ يَنْشُرُ ظِلَّهُ
وَتَغِيبُ في طَيَّاتِهِ الشَّفَتَانِ

مُدِّي إلَيَّ يَداً تُعَانِقُني، وَهَلْ
تَقْوى؟ وَقَدْ وَهَنَتْ لِذَاكَ يَدَانِ

وَتَكَلَّمِي! أُمَّاهُ إنِّي سَامِعٌ
لُغَةَ الوَدَاعِ وَمُنْصِتٌ لِبَيَانِ

حتَّى سَكَنْتِ إلى الخُلُودِ وَخَالَطَتْ
قَسَماتِ وَجْهِكِ عَبْرَةُ الحَدَثَانِ

وَتَمَثَّلَتْ صُوَرُ المَنِيَّةِ وَانْطَوَى
أَمَلٌ وَغَابَ بِلُجَّةِ الأَحْزَانِ

أُمَّاهُ! أَطْلَقَهَا الفُؤَادُ وَمَازَجَتْ
صَوْتَ النُّوَاحِ مَدَامِعُ الأَجْفَانِ

وَنُقِلْتِ لِلْبَيْتِ الَّذِي غَادَرْتِهِ
حِينَاً! مُحَمَّلَةً عَلَى الأَكْفَانِ

وَقَضَيْتِ فِيهِ لَيْلَةً وَكَأَنَّهَا
عُمْرٌ وَبَعْضُ العُمْرِ لَيسَ بِفَانِي

يُلْقِي عَلَيْكِ بَنُوكِ مِنْ أَكْبَادِهِمْ
قِطَعَاً تَذُوبُ بِمَدْمَعٍ هَتَّانِ

وَأَسَىً إِذَا مَا مَسَّ جَانِبَ صَخْرَةٍ
لأَذَابَهَا فِي ثَوْرَةِ البُرْكَانِ

★ ★ ★

يا أيُّها الجَسَدُ المُسَجَّى أيْنَ مَا
حُمِّلْتَهُ في خَافِقٍ وَجَنانِ

وَجَوارِحٍ بَرَدَتْ وَعَيْنٍ أُغْمِضَتْ
وَفَمٍ يُكَتِّمُ سِرَّهُ وَبَنانِ

أيْنَ الرِّوَايَةُ إذْ تَلَوْتِ فُصُولَهَا
وَطَوَتْ صَحَائِفَهَا يَدُ الأَزْمَانِ

⋆ ⋆ ⋆

يَا ايُّهَا الإخْوَانُ أيْنَ جُمُوعُكُمْ
تَسْعَى تُقِلُّ مُطَيَّبَ الجُثْمَانِ

وَالطَّرْفُ مُنْكَسِرٌ أسىً وَمُبَلَّلٌ
وَالْخَطْوُ فِيهِ تَمَهُّلُ الرُّهْبَانِ

يَا أُمُّ تَبْكِيْكِ الرِّجَالُ كَأَنَّمَا
هُمْ نِسْوَةٌ بَكَتْ عَلى شُبَّانِ

أَلِحُفْرَةٍ يَطْوِي السُّعَاةُ بِسَاطَهُمْ
يَتَسَابَقُونَ فَوارِسَ المَيْدَانِ

مَا لِي عَجِبْتُ وَكَمْ أُوَدِّعُ صَاحِباً
في التُّرْبِ أُوْدِعُهُ بِدَمْعٍ قَانِي

يَا قَبْرُ كَمْ هَطَلَتْ عَلَيْكَ مَدَامِعٌ
سَبَقَتْ وَكَمْ حَرَّكْتَ مِنْ أَشْجَانِ

وَاليَوْمَ أُوْدِعُكَ الأُمُومَةَ إِنَّهَا
دُنْيَا تَنَفَّسُ عَنْ هَوىً وَمَعَانِي

يَغْفُو عَلَيْكَ مِنَ النَّسِيمِ عَلِيْلُهُ
وَيُطِلُّ فَوْقَكَ وَارِفُ الأَغْصَانِ

يَا أُمُّ أَيْنَ مَرَابِعٌ بَسَمَتْ لَنَا
وَمَنَازِلٌ سَعِدَتْ وَطِيْبُ مَكَانِ

كَانَتْ تَهِشُّ إِذَا نَزَلْتِ ظِلاَلَهَا
وَتَمُوجُ في طَرَبٍ وَحُلْوِ أَمَانِي

وَلَكَمْ مَسَحْتِ لِيَ الدُّمُوعَ بِرَاحَةٍ
نَشَرَتْ عَلى خَدَّيَّ ظِلَّ أَمَانِ

فَإِذَا سُرِرْتُ فَبَسْمَتي وَطَلاَقَتي
وَإِذَا شَكَوْتُ فَمَدْمَعِي وَلِسَاني

وَدَفَعْتِني لَمَّا خَشيْتُ وَقُدْتِني
لَمَّا ضَلَلْتُ وزِدْتِ مِنْ إيماني

عَجَباً إِذاً مَنْ لِلْدُمُوع يَرُدُّهَا
يَوْمَ الفِرَاقِ وَمَنْ يُعِيدُ جَنَاني

بِالأَمْسِ أَضْحَكَني وَأَنْسَانِ الأَسَى
أَمَلٌ ذَوى وَالْيَوْمَ قَدْ أَبْكَاني

⋆ ⋆ ⋆

يَا أُمُّ فَكَّ المَوْتُ قَيْداً قَاسِيَاً
وَطَرَحْتِ عَنْكِ غَلاَئِلَ الإِنْسَانِ

وَتَرَكْتِ خَلْفَكِ غَيْرَ آبِهَةٍ لَهَا
دُنْيَا وَآثَرْتِ النَّعِيمَ الثَّاني

١٩٥٢



هدأت الثورة الفلسطينية مع نشوب الحرب العالمية الثانية وفي حدود عام ١٩٤٣ شعرت أن الشكوى أكثر من العمل والتغني بالأمجاد أسلوب القاعدين، وبدأت أفكار بعيدة عن أمتنا غريبة عن عقيدتنا.

نذير

يَا لَلْدِّيَارِ وَيَا لَلْمَـجْـدِ مِنْ زَمَـنٍ
هَاجَـتْ نَوَائِـبُـهُ تَطْوي بَوَادِيْنَـا

شَادَ الأُلَى غَبَرُوا صَرْحَـاً فَقَـامَ لَهُمْ
وَغَـارَ في لَهَوَاتٍ مِنْ تَوَانِـيْنَـا

لَا يَدْفَـعُ الـدَّمْـعُ عَنَّـا أَيَّ نَازِلَـةٍ
وَلَا يُعِـيدُ الـتَّـغَـنِّي زَهْـوَ مَاضِـينَـا

نَرْقَـى إلى المَـجْـدِ إنْ صَحَّـتْ عَزَائِـمُـنَـا
وَبَـارَكَ الـلَّهُ مَا تَبْـنِي مَسـاعِـينَـا

★ ★ ★

مَالي أَرَى الأَرضَ ثارَتْ مِنْ تَقَـاعُـسِـنَـا
وَرَجَّـعَـتْ بَيْنَـنَـا صَوْتَـاً يُنَـادِيْنـا

كَأَنَّمَا اتَّقَدَتْ أَحْشَاؤهَا جَزَعاً
وَوَلْوَلَتْ رَهَباً مِنْ وَاقِعٍ فِينَا

وَهَبَّتِ الرِّيحُ أَنْسَاماً مُعَطَّرَةً
قَدْ دَاعَبَتْ عَبَقَ الْمَاضِي رَيَاحِينَا

وَمَرَّتِ الْيَومَ بِالأَطْلَالِ فَامْتَلأَتْ
شِعَابُهَا مِنْ رُؤى الآتي سَرَاحِينَا

★ ★ ★

قِفْ، حَاسِرَ الرَّأس ، وَاخْشَعْ في مَنَاكِبِهَا
فَكُلّ نَاحِيَةٍ ذِكْرَى أَمَانِينَا

وَامْشِ الْهُوَيْنَا وَنَاجِ الْقَلْبَ في وَلَهٍ
مَا ضَرَّنَا لَوْ حَفِظْنَا الْعَهْدَ وَالدِّيْنَا

هُنَاكَ قِفْ وَتَلَقَّنْ وَامْتَلِئْ شَجَنَا
وَانْشُرْ مَبَادِئَ صِدْقٍ في نَوَادِينَا

هُنَاكَ مِنْهَا تَسَلَّمْ وَحْيَ صَادِقَةٍ
وَحْيَ الْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَاءِ تُحْيِينَا

★ ★ ★

هُبُّوا سِرَاعاً إلَى حَوْمَاتِ مُعْتَرَكٍ
مِنَ الْجِهَادِ يُدَوِّي مِنْ رَوَابِينَا

هَلْ تَحْسَبُونَ بِأَنَّ اللَّيْلَ مُنْعَقِدٌ
فَنِمْتُمُ وَضَلَلْتُمْ في دَياجِيْنَا

الشَّمْسُ وَضَّاحَةٌ في الأُفْقِ فَانْتَبِهُوا
وَسَارِعُوا فَغُرُوبُ الشَّمْسِ داعِينَا

لَا تُذْهِبُوا فُرَصَ الأَيَّامِ عَاطِلَةً
وَقَدْ أَتَتْكُمْ حُلاَهَا مِنْ أَمَانِينَا

وَحَقِّقُوا أَمَلاً في الصَّدْرِ مُضْطَرِماً
لَوْلَاهُ مَا نَبَضَتْ أَعْرَاقُنَا فِينَا

★ ★ ★

مَاذَا يُفِيدُ نُواحٌ فَوْقَ غَالِيَةٍ
مِنَ التُّرَاثِ تَداعَتْ مِنْ تَداعِينَا

أَنْتُمْ تَنُوحُونَ وَالأَعْدَاءُ قَدْ بَلَغَتْ
مِنْكُمْ وَجَاسَتْ خِلاَلَ المُلْكِ تَطْوِيْنَا

شُدُّوا العَزِيمَةَ، شُقُّوا الدَّرْبَ وَاخْتَرِقُوا
صَفَّ العِدَى عُصْبَةً لَا تُظْهِرُوا لِيْناَ

عَلَّ الزَّمَانَ الَّذي غَابَتْ طَلاَئِعُهُ
يَعُودُ يُشْرِقُ شَمْساً في لَيَالِينَا

١٩٤٣





دارنا

كان لنا دار في صفد، نسفها الانكليز خلال اعوام ثورة ١٩٣٦ . وعندما عدنا إليها بعد سنوات كانت أطلالا ، إلا جداراً واحدا بقي شامخاً لم ينهدم. وقفت أمامها مع هذه الابيات سنة ١٩٤٣.

وعندما تلقينا خبر نسف الدار كنّا في دمشق وكنت بحدود الحادية عشرة من العمر. مازلت أذكر مع حداثة السّنّ آنذاك أن والدي رحمه الله سأل عن شيء واحد: «ماذا حدث للمكتبة؟». ولقد كانت عزيزة عليه تحمل ثمرة جهود وتاريخ أجداد وكتبا ومخطوطات. ولما قيل له أخرجها أحد الأصدقاء قبل النسف ونجت المكتبة سُرَّ سروراً عظيًما وحمد الله على فضله. وقد ذكر هذه المكتبة الأستاذ محمد كرد علي في كتابه خطط الشام.





داريّا

مَجْدٌ تَهَدَّمَ إِلَّا حَائِطاً هَرِمَـاً
وَالْمَـجْـدُ أَخْـلَدُهُ مَا عَهْـدُهُ الـقِـدَمُ

وَقَـفْـتُ أَسْـتَـنْـطِقُ الأَحْـجَـارَ أَسْـأَلُهَـا
وَالـصَّـخْـرُ يَتْـلُو حَدِيثـاً كُلُّهُ حِكَـمُ

سَأَلْـتُـهَـا عَنْ بِلَادِي وَهْـيَ نَازِفَـةٌ
عَنِ الـدِّمَـاءِ وَعَـنْ صِيْدٍ وَمَـا رَسَـمُـوا

قَالَـتْ - وَرَدَّدَتِ الأَصْـدَاءَ أَوْدِيَةٌ
وَالسَّـهْـلُ وَالـرَّوْضُ وَالسَّـاحَـاتُ وَالْقِـمَمُ

فِي كُلِّ نَاحِـيَةٍ مِنْ أَرْضِـنَـا عَلَمٌ
بَاقٍ على صُعُـدِ الأَيَّامِ يُسْـتَـلَمُ

★ ★ ★



لَمَّا أَتَوْكِ وفي إِقْبَالِهِمْ صَلَفٌ
وَأَشْعَلُوا النَّارَ وَالبَارُودَ وَانْهَزَمُوا

تَفَرَّقُوا وَكَأَنَّ البِشْرَ ظَنُّهُمُ
بالابْتِسَامَةِ وَجْهٌ مُشْرِقٌ وَفَمُ

وَلَمْ يَبِنْ أَثَرٌ في الدَّارِ أَوْ ضَرَرٌ
كَأَنَّمَا الدَّارُ لِلأَهْوَالِ تَبْتَسِمُ

عَادُوا إِلَيْكِ بِأَحْقَادٍ مُؤَجَّجَةٍ
مَا أُسُّهُ الحَقُّ بَاقٍ لَيْسَ يَنْهَدِمُ

وَكَرَّرُوا فِعْلَهُمْ في كُلِّ نَاحِيَةٍ
حَتَّى غَضِبْتِ وَفَارَتْ دُونَكِ الحِمَمُ

رَشَقْتِهِمْ بِعَظِيمِ الصَّخْرِ يَصْرَعُهُمْ
وَيَصْرَعُ الظُّلْمَ! كَمْ جَارُوا وَكَمْ ظَلَمُوا

★ ★ ★

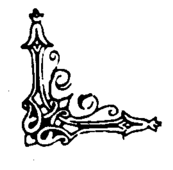
الجَرْمَقُ اليَوْمَ عَنْ بُعْدٍ رَأَى وَبَكَى
طَوْداً أَشَمَّ يُضَاهِيهِ بِهَا الشَّمَمُ

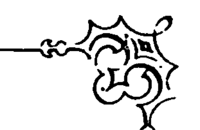
وَسْطَ المَدِينَةِ دَارٌ قَدْ زَهَتْ شَرَفاً
وَزانَهَا الدِّينُ وَالأَخْلَاقُ وَالشِّيَمُ

فِدًى لِدِيني وَأَوْطَـانِي ذَهَـبْـتِ فَلَا
حُزْنٌ عَلَيْكِ وَلَا دَمْـعٌ وَلَا أَلَمُ

★ ★ ★

١٩٤٣





يا قومي

فَيَا قَوْمِيَ اسْتَوْلَى النعَاسُ عَلَيْكُمُ
وَغَيْرُكُمُ بِالدَّهْرِ يَشْقَى وَيَتْعَبُ

فَنَالُوا مَنَالاً قَدْ رَواهُ جَبِيْنُهُمْ
وَأَسَّسَهُ عَزْمٌ شَدِيدٌ مُذَرَّبُ

وَأَنْتُمْ أَقَمْتُمْ في خِبَاءٍ مِنَ الكَرَى
وَقَامَتْ بَنَاتُ الدَّهْرِ تبْكي وَتَنْدُبُ

وَلَمْ تَنْهَضُوا حِيْنَ اسْتَفَزَّ شُعُورَكُمْ
وَنَبَّهَكُمْ هَذَا العَدُوُّ المُجَرِّبُ

أَمَا رَاعَكُمْ صَوْتٌ مِنَ الغَرْبِ نَاعِبٌ
وَمَا هَزَّكُمْ صَوْتٌ مِنَ الدِّينِ يُطْرِبُ

أمـا أضرمـت تلك الـربـوع حماسـة
تجيش بصـدر الحـر، والحـر يغـضـب

أراكـم بلفظٍ تضرم الـنـار فيكـم
وتـذوي سريعـاً بعـد ذاك وتـذهـب

أرى ليد الأحـزاب فيكـم مضـاربـاً
وأيدي الـوئـام الحـر فيكـم تشـذب

فهـذا سنـام الـدهـر صعـب ركـابـه
وكـل عظيم إن أردت سيقـرب

كذلـك من رام المـعـالي مكـانـة
فصـعـب المـطايا والمسـالـك يركـب

فدونـكـم الأيام فاشـقـوا وجـاهـدوا
فما الـعـمـر إلا أن تعـانـوا وتـطلبـوا

★ ★ ★

بني وطـني هبـوا فقـد طال نومـكـم
وبـاتـت عليكـم فرصـة الـدهـر تغـرب

ألا فرص تغـدو وتـغـدو سريعـة
ولـسـت تنـال الـيوم ما كنـت توهـب

١٩٤٤

مرت علينا أعياد في فلسطين ومع كل عيد كان لنا أمل ورجاء، حتى كان عيد ١٩٤٥ فهبت الذكريات وتحركت الشجون.

عيد في فلسطين

أَيُّهَا العِيدُ أَيْنَ مِنْكَ الوُعُودُ
طالَ فِيكَ الرَّجَاءُ والتَّرديْدُ

بَسَمَ الكَوْنُ إِذْ طَلَعْتَ عَلَيْهِ
وَزَهَا في مَديحِكَ التَّغْرِيدُ

كُلَّما أَقْبَلَتْ صُرُوفُ اللَّيَالي
غَرَّرَتْ بالْفُؤَادِ مِنْكَ العُهُودُ

فَهَلِ العيدُ حُلَّةٌ مِنْ حَرير
وَشَبَابٌ يَلْهُو وَلَيْلٌ وَغِيدُ

إِنَّمَا العيدُ أَنْ تُدَوِّي السَّرَايَا
وَتُدَمَّى مِنَ الطِّعَانِ النُّجُودُ

أنْ نرى مِنْ شَبَابِنَا كُلَّ حُرٍّ
صَاعِداً لِلرَّدَى! فَذَلِكَ عِيدُ

★ ★ ★

هَلْ هَفَا القَلْبُ حِينَ مَرَّتْ بِهِ الذِّكْـ
رى وَعَادَ التَّحْنَانُ والتَّغْرِيدُ

هَلْ شَجَاهُ خَفْقُ البُنُودِ إذَا مَا
رَجَّعَتْ خَفْقَهَا هُنَالِكَ بِيدُ

هَلْ شَجَاهُ أَعْطافُ مُلْكٍ تَنَاءَتْ
حِينَ كانَ الإِسْلَامَ مِنْهَا العَمُودُ

هَلْ رَأى المُلكَ حِينَما ثَبَّتَ المُلْـ
ـكَ جِهَادٌ مِنْ أَهْلِهِ مَحْمُودُ

هَلْ بَكَى الرَّوْضَ حِينَما اقْتُطِفَ الزَّهْـ
ـرُ وَلَمَّا قَدْ جَفَّ مِنْهُ العُودُ

هَلْ بَكَى الصَّرْحَ حِينَ أَوْدَى به الدَّهْـ
ـرُ وَأَوْدَتْ بِسَاكِنِيهِ الجُدُودُ

★ ★ ★

ذاكَ عَهْدٌ مَضَى! وَمَا كَانَ فِيْه
مَنْ يُقَاسِي، وَلَا تَأَسَّى شَرِيدُ

حِينَـمَا جَمَّعَ الـعُـرُوبَـةَ دِينٌ
وَدِيَارٌ، فَذَاكَ ثَمَّـةَ عِيدُ

هِيَ ذِكْـرَى بَيْنَ الـفُـرَاتِ وَبَـيْنَ الـنْـ
نِيلِ مِنْهَـا دَمْـعٌ وَنَـوْحٌ شَدِيدُ

هِيَ ذِكْـرَى مَا بَيْنَ أَنْـدَلُسٍ وَالـشْـ
شَرْقِ قَدْ تَمَّ أَمْـرُهَـا الْمَشْـهُـودُ

* * *

أُمَّـةَ الحَـقِّ! مَا دَهَـاكِ وَأَوْهَـى
جَمْعَـكِ الـصَّـدْعُ وَاسْـتَـتَبَّ الجُـمُـودُ

خَدَعَـتْـكُـمْ وُعُـودُهُـمْ! فَلَكُـمْ مِنْـ
ـهُـمْ عُهُـودٌ مِنْ بَعْـدِهَـا وَعُـهُـودُ

كَمْ مَضَـى! كَمْ مَضَـى وَأَنْـتُـمْ أُسَـارَى
فِي حِبَـالٍ قَدْ طَالَ فِيهَـا الـرُّقُـودُ

فِتْـنَـةٌ بَعْـدَ فِتْـنَـةٍ بَعْـدَ أُخْـرَى
وَهِـيَاجٌ مِنْ بَعْـدِهِ تَشْرِيْدُ

فُرِّقَ الأَهْـلُ عَنْ حِمَاهُـمْ فَهـذا
يَتَـأَسَّـى بِغَـيْرِهِ مَنْـكُـودُ

تَسْمَعُ الأَنَّةَ المَرِيرَةَ مِنْهُ
وَتَرَانَا يَرْثِي الشَّهِيْدَ شَهِيدُ

وَاخْتِلافُ الأَحْزَابِ فِي حَلِّ أَمْرٍ
لَيْسَ فِي حَلِّ أَمْرِهِ تَعْقِيدُ

كُلُّنَا يَرْتَجِي خَلاصَ بِلادٍ
هَا لَهَا الخَطْبُ! أَيُّ شَيْءٍ جَدِيْدُ

جَمِّعُوا أَمْرَكُمْ وَهُبُّوا فَمَنْ جَمَّـ
ـعَ أَمْراً تَرْعَى هَوَاهُ الجُدُودُ

★ ★ ★

أَيُّهَا الشِّعْرُ هَلْ مَلَكْتَ زِمَامِي
فَيَطِيبُ الهَوَى وَيَحْلُو النَّشِيْدُ

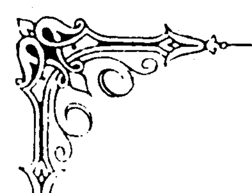
نَفَثُ شَاعِرٌ وَوَحْيٌ كَرِيمٌ
وَفُؤَادٌ مُحَرَّقٌ مَوْقُودُ

فَأَزُفُّ الأَنَّاتِ حَيْرَى لَعَلَّ الْـ
ـقَوْمَ يَصْحُو مِنْ غَفْوَةٍ وَيَعُودُ

فَيَرَى مَا يَحُلُّ بِالْوَطَنِ الغَا
لِي وَكَمْ تَذْوِي مِنْ صَانِعِيْهَا الجُهُودُ

١٩٤٥

★ ★ ★



ما العيد إلا لحرٍ يمن أبدًا

هَلْ عُدْتَ بِالأَمَلِ المحْبُوب ياعِيْدُ
عَوْدٌ سَعِيدٌ فَهَلْ في العَوْدِ تَجْدِيدُ

مَا زِلْتُ أَرْجِعُ لِلْذِّكْرَى فَتُؤْلمُني
وَفي التَّذَكُّرِ تَعْذِيْبٌ وَتَسْهِيدُ

مَا زِلْتُ أَذْكُرُ أَيَّاماً مَضَتْ وَخَلَتْ
وَالعِزُّ فِيْهَا عَلى الأَرْجَاء مَمْدُودُ

قَدْ كانَ يَجْمَعُنَا دِينٌ وَيُسْعِدُنَا
عِيْدٌ وَيَوْمٌ مِنَ الأَيَّامِ مَشْهُودُ

لَمْ يَبْقَ فِيْهِ حَزِيْنٌ في مُلِمَّتِهِ
وَلاَ تَشَتَّتَ في البُلْدَانِ مَنْكُودُ



مَا الـعِـيْدُ إلاَّ إذَا قَامَـتْ دَعَـائِـمُـنَـا
وَفَـوْقَـهَـا عَلَمٌ لِلدِّينِ مَعْـقُـودُ

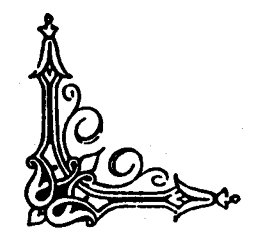
مَا الـعِـيْدُ إلاَّ لِحُرٍّ لَمْ يَهُنْ أَبَـدَاً
وَلاَ بَدَا وَهْـوَ في الأَغْـلاَلِ مَصْـفُـودُ

أَيَّامُ هَارُونَ تَدعُـونِي فَأَنْـدُبُهَـا
وَأَشْـتَـكِـي كَيْفَ أَنَّ الـوَصْـلَ مَحْدُودُ

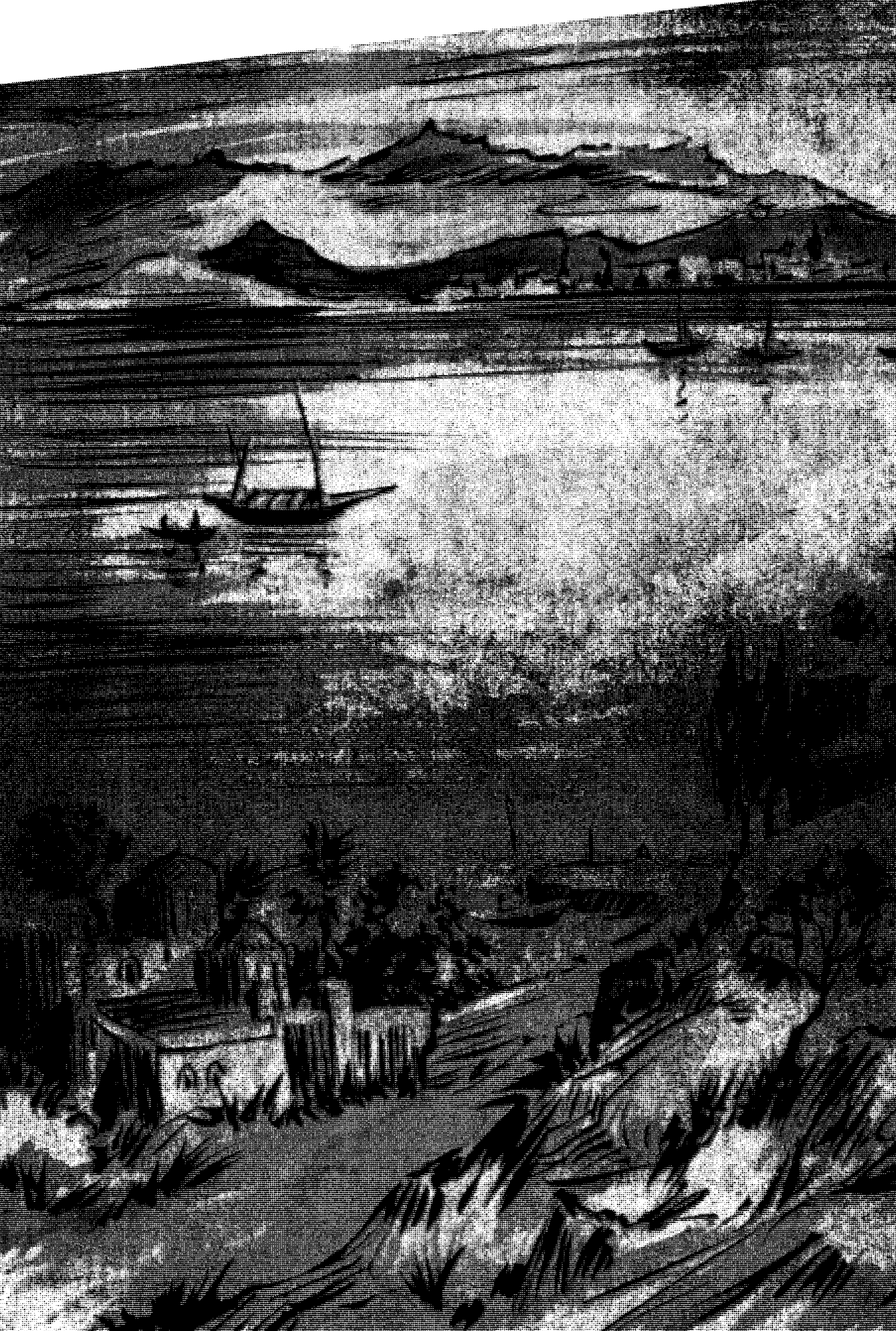
حَدَائِـقُ الـشَّـامِ وَالـفُـسْـطَاطِ أُغْـنِـيَةٌ
وَأَرْضُ أَنْـدَلُسٍ ذِكْـرَى وَتَمْـجِـيْدُ

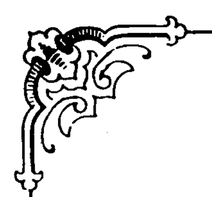
١٩٤٤

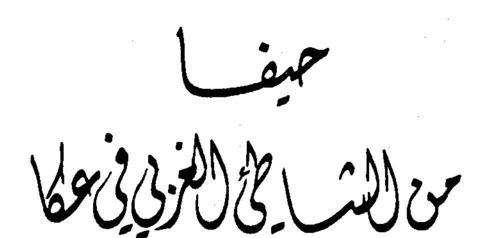
★ ★ ★



حيفا
من الشاطئ الغربي في عكا







حَيْفَا! فَدَيْتُكِ مَا أَبْهَى مَغَانِيْكِ
وَكَمْ يَطِيْبُ الهوى في ظِلِّ نَادِيْكِ

مَا الحُسْنُ إلَّا كِتَابٌ أَنْتِ أَسْطُرُهُ
أَوْ أَنَّهُ قُبْلَةٌ قَرَّتْ عَلى فِيكِ

مَا أَنْتِ إلَّا عَرُوسُ البَحْرِ مِنْ قِدَمٍ
عَلَوْتِ كِبْراً فَمَالَ البَحْرُ يُغْرِيكِ

لَمْ يَهْوَ غَيْرَكِ مِنْ شَتَّى عَرَائِسِهِ
فَخَفَّ نَحْوَكِ فِي هَمْسٍ يُنَاجِيكِ

سعتْ عَرَائِسُهُ تُهْدِي تَهَانِيهَا
وَمَا عَرَائِسُهُ إلَّا جَوَارِيكِ

هلاَّ رَضِيتِ! فَكَمْ أَلْقَى جَواهِرَهُ
عَلَيْكِ لَيْلاً وَكَمْ شَعَّتْ لآلِيكِ

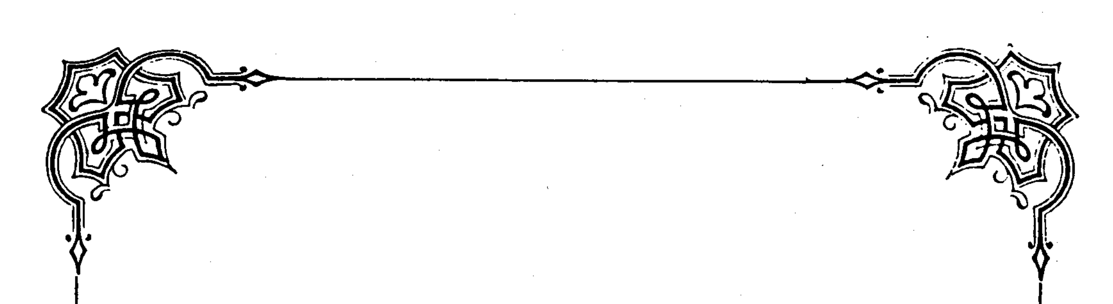
حَبَاكِ مِنْ قَلْبِهِ حَبَّاتِهِ كَرَماً
وَلَمْ يَنَلْ غَيْرَ لَثْمٍ مِنْ أَيادِيكِ

تُبْدِينَهَا في الدُّجى وَاللَّيْلُ لَيْلُ هَوَى
لَيْسَتْ لَيالِي الهَوَى إلاَّ لَيالِيكِ

وَبِتِّ حالِمَةً! إنَّ الهَوَى حُلُمٌ
وَقُمْتِ ناطِقَةً رَقَّتْ مَعَانِيكِ

١٩٤٦

★ ★ ★



الربيع في عمان

رَقَّ الهَـوى وَسَـعَـى إلَـيْك بِمَـنْـظَرٍ
عَجَـبٍ، فَقَـدْ وَرَدَ الـرَّبِـيعُ وَلاَحَـا

وزَكَـتْ خَمَائِـلُهُ وفَـوَّحَ عُودُهُ
وَغَـدَا عَلى هَذِي الـرُّبُـوعِ وَرَاحَـا

فَانْـظُرْ لِزَهْـرٍ قَدْ تَمَايَلَ عِطْفُـهُ
بَيْنَ الـنَّـسيمِ وَطَـائِـرٍ قَدْ صَاحَـا

الـطَّيْرُ فَوْقَ غُصُـونِهِ صَدّاحَـةٌ
وَالـرِّيحُ أَوَّدَ عِطْفَـهُ وَأَبَـاحَـا

حَتَّـى إذَا ثَمِـلَ الـنَّـسِيمُ فَلَمْ يَعُـدْ
مُتَـكَـتِّماً بِهَوَى الـزُّهُـورِ فَبَـاحَـا

وَيُقيمُ عَهْدَ الوُدِّ طِيلَةَ لَيْلِهِ
وَيَحُولُ عَنْ عَهْدِ الوِدَادِ صَبَاحَا

هَذِي الدُّمُوعُ تَرَقْرَقَتْ بِجُفُونِهَا
لَمَّا تَحَوَّلَ عَنْ هَوَاهُ وَفَاحَا

مَا زَالَ يَخْدَعُهَا النَّسِيمُ بِحُبِّهِ
وَيُذِيقُهَا الأَحْزَانَ وَالأَفْرَاحَا

فَاحْمَرَّ مَا صَبَغَ الحَيَاءُ جَبِينَهُ
وَازْرَقَّ مَا لَطَمَ الخُدُودَ وَنَاحَا

وَاصْفَرَّ مَا كَتَمَ الهَوى بِفُؤَادِهِ
وَجْداً وَمَالَ عَلى الثَّرَى أَشْبَاحَا

١٩٤٥

★ ★ ★

إستشهد القائد عبد القادر الحسيني في ٨ نيسان ١٩٤٨ في معركة القسطل بعد أن عاد من دمشق دون أن تمده اللجنة العسكرية بالسلاح اللازم لتلك المعركة. خاضها بما لديه من رجال وسلاح واستشهد.

الشهيد عبد القادر الحسيني

في القسطل

عَادَ الهِزَبْرُ فَمَا لِلْقَلْبِ يَضْطَرِبُ
وَلِلْعُيُونِ وَهَذَا الدَّمْعُ يَنْسَكِبُ

جَاءَ البَشِيرُ إِلَيْنَا وَالنَّعِيُّ مَعاً
كِلاهُمَا خَفْقَةٌ فَالنَّصْرُ وَالْحَرَبُ

لَمْ يَقْبَلِ القَلْبُ غَيْرَ البِشْرِ مِنْ خَبَرٍ
وَلَمْ يَرَ النَّعْيَ إِلَّا وَهُوَ يَقْتَرِبُ

قَالُوا: الرَّصَاصُ يُحَيِّي بِشْرَ عَوْدَتِهِ
وَهَذِهِ القُدْسُ خَفَّتْ نَحْوَهُ تَثِبُ

عَلى الأَكُفِّ مُسَجًّى في مَهَابَتِهِ
وَحَوْلَهُ ثُلَّةٌ أَوْ فِتْيَةٌ نُجُبُ

لَمْ يَعْلَمِ النَّاسُ هَلْ حَيٌّ يَقُودُهُمُ
إلى المَعَارِكِ؟ أَمْ مَوْتٌ وَمُحْتَرَبُ

لَمْ يَلْمَسُوا فِيهِ إلَّا أَنَّهُ بَطَلٌ
حَيٌّ يَقُودُ وَلَا يُثْنَى لَهُ أَرَبُ

فَلَيْسَ مِنْ عَجَبٍ أَنْ قَالَ قَائِلُهُمْ :
مَوَاكِبُ النَّصْرِ فِيهَا المَنْظَرُ العَجَبُ

لَا يَبْلُغُ الفِكْرُ مَا جَازَ المَماتُ بِهِ
وَلَا يَرَاهُ خَيَالٌ وَهُوَ يَحْتَجِبُ

★ ★ ★

وَيْحِي! أَهَذَا جِدَارٌ كَيْفَ يَنْزِلُهُ
ضِيقاً وَكَانَ يَضِيقُ المَنْزِلُ الرَّحِبُ

كَأَنَّمَا بَاتَ يَرْمِي مِنْ مَرَاقِدِهِ
على العدى فأتاه البِشْرُ والغَلَبُ

أَمْسِ الَّذِي مَاتَ قَدْ أَحْيَيْتَهُ أَبَداً
نُوراً يُضِيءُ وَأَمْجَاداً لَها نَسَبُ

★ ★ ★

قَدْ كُنْـتَ في «الشَّـام» لا تُلْهيكَ بَانَـتُهَـا
عَنْ هِمَّةٍ ورَعَـاكَ الـنَّـجْـمُ يَرْتَـقِـبُ

سَأَلْـتَـهُـمْ مَدْفَـعَـاً يَا لَيْتَـهُـمْ دَفَـعُـوا
عَنْـكَ الـرَّدَى وَأَجَـابُـوا غَيْرَ مَا طَلَبُـوا

لَا يَبْـذُلُـونَ عَنِ الـتَّـقْـصِـيرِ مَعـذِرَةً
وَلَا يَقُـومُ عَلَى تَسْـوِيغِـهِـمْ سَبَـبُ

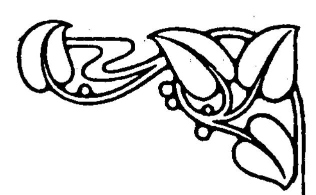
فَما هُمُ غَيْرَ آلاتٍ تُحَرِّكُـهَـا
سِيَاسَـةٌ كَيْفَ مَا مَالُـوا أَوِ انْـقَـلَبُـوا

كَذَاكَ عُدْتَ سَرِيعـاً لَا تُبَـادِلُهُمْ
سُوءاً بِسُـوءٍ وَلَمْ تَغْـضَـبْ كَمَا غَضِـبُـوا

لَكِـنَّـهَـا عِزَّةٌ لَيْسَـتْ عَلَى حَمَقٍ
حُمِّلْتَـهَـا وَكَـذاكَ الـفِـتْـيَةُ الـنُّـجُـبُ

حَلَفْـتَ بِالـلَّه أَنْ تَغْـدُو بِكَـوْكَـبَـةٍ
فِي رَبْـوَةِ الـقَـسْـطَلِ الهَـوْجَـاءِ تَحْتَـطِبُ

تَرَكْـتَ «مُـوْتْـزَا» تُدَاوي الـنَّـارُ أَنَّـتَـهَـا
وَبَـاتَ يُشْرِقُ في الـكَـسَّـارَةِ الـلَّـهَـبُ



بَعَثْتَ مِنْ «كـامـلٍ» سَهْمَ القَضَاءِ لَهُمْ
وَذَا «أَبُـو دِيَّةٍ» في ساحِـهِ يثِـبُ

كِلاَهُمَـا أَمَـلٌ في الْحَـرْبِ ذُو ثِقَـةٍ
وَمِـنْ مَوَالِـيدِهَـا يُدْنِـيهِمَا الـنَّسَـبُ

وَخُضْـتَ شَرْقِـيَّهَـا تَرْمِـي بَوَارِجَـهُـمْ
بِفِـتْـيَةٍ نُجُـبٍ! لاَ جَحْـفَـلٌ لَجِبُ

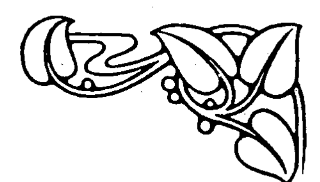
خَمْسٌ وَعِشْرُونَ لَمْ تُنْـجِـدْ مَطِيَّتَـهُـمْ
مَدَافِـعٌ وَسِـوَاهُـمْ مَعْـقِـلٌ أَشِـبُ

وَالـلَّيْلُ حَوْلَـكَ جَيَّاشٌ تَخُوضُ بِهِ
كَأَنَّـمَا أَنْـتَ فِيهِ جَحْـفَـلٌ عَجَـبُ

دَخَـلْتَ حَامِـيَةً فِيهَـا فَمَا عَرَفُـوا
غَيْرَ الـرَّصَـاصِ طَعَـامـاً مِنْـك أَوْ شَرِبُـوا

لَمْ يَبْـقَ عِنْدَكَ مَذْخُـورٌ فَتَـقْـذِفَـهُ
إلا فتـىً صَابـــرٌ لله مُحْتَـسِـبُ

وَانْهَالَـتِ الـنَّـارُ فَاسْـتَـقْـبَـلْتَ حَرَّتَهَـا
وَأَنْـتَ في الـقَـسْـطَلِ الحَـمْـرَاءِ تَحْتَـطِبُ

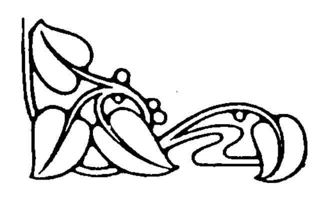


حَتَّـى قَضَـيْتَ وَفِي جَنْـبَـيْكَ أَوْسِـمَـةٌ
حَمْرَاءُ لَا مَاسَـةٌ فِيهَـا وَلَا ذَهَـبُ

فَخْـرٌ! فَمَا جَادَ فِي تَعْـلِيقِـهَـا أَحَـدٌ
يَلْهُـو وَلَا هِيَ نِيْشَـانٌ وَلَا لَقَـبُ

١٩٤٨

★ ★ ★





بعد النزوح وآمال العودة بدأت تذوي والحسرة تشتد.

وطن يضيع

وَطَـني ذَكَـرْتُـكَ وَالـقَـنَـا طَعَّـانَـةٌ
وَجَمـيلُ سَاحِـكَ بِالـدِّمَـاءِ مُخَضَّـبُ

فَإِذَا شَكَـوْتَ تَهُبُّ دُونَـكَ عُصْبَـةٌ
وَإِذَا رَغِـبْـتَ فَفـي عَلَائِـكَ نَرْغَـبُ

عِشْرُونَ عَامَـاً أَوْ تَزِيدُ قَضَـيْتَـهَـا
وَالـنَّـارُ تَخْطَفُ وَالـدِّمَـاءُ تَسَرَّبُ

وَأَبَـى شَبَـابُـكَ أَنْ تَلِينَ قَنَـاتُـهُـمْ
فَغَـدَوْا لُيُوثَـاً فِي الحِـمَـى تَتَـوَثَّـبُ

وَسَـقَـوْكَ مِنْ مَاءِ الحَـيَاةِ حَيَاتَـهُـمْ
لَمَّا ظَمِئْـتَ وَقَـدْ يَعِـزُّ المَشْرَبُ

وَسَعَوا إلَيْكَ عَلى الأَكُفِّ مِنَ النَّدَى
مُهَجُ الكُمَاةِ وَأَنْفُسٌ لَكَ تُوهَبُ

وَثَبُوا عَلى دُهْمٍ فَشَقَّ ظَلاَمَهَا
وَمْضُ العَزِيمَةِ وَالبَرِيقُ المُلْهِبُ

وَمَدَافِعٌ كَمْ وَلْوَلَتْ أَنْغَامُهَا
فَيُجِيبُهَا نَغَمٌ أَشَدُّ وَأَعْذَبُ

وَمِنَ الحُسَيْنِيِّ الغَضَنْفَرِ ضَرْبَةٌ
حَمْرَاءُ تَعْمَلُ في الظُّهُورِ وَتَنْشُبُ

سَوَّى بُرُوجَهُمُ وَمُنْبَسِطَ الثَرَى
وَبَنَى القُبُورَ فَهَلْ يَحِنُّ وَيَغْضَبُ

لَكِنَّهُ قَدَرٌ خَضَعْتَ لأَمْرِهِ
فَحَلَلْتَ في الأَقْصَى يَحِنُّ وَيَحْدُبُ

وَأَخُوكَ[1] جَرُّوا خَلْفَهُ أَشْلاَءَهُمْ
فَكَأَنَّهُمْ وَرَقٌ يَسِيرُ فَيُشْذَبُ

لَمَّا تَرَكْتَ أَخَاكَ حَرَّكَهُ الهَوَى
فَسَلاَهُ عَنْكَ هَوًى أَرَقُّ وَأَقْرَبُ

(١) الشيخ حسن سلامة.

وأَتــى قَضَــاءُ الــلَّهِ يَحْكُــمُ فِيكُــمَا
وَدَعَــاكُــما وَطَــنٌ يَئِــنُّ وَيَنْــدُبُ

كَيْما تَدُومَــا في هَوَاهُ لأَنَّــهُ
عَرفَ الأَحِــبَّــةَ جُلُّهُــمْ فَتَــذَبْــذَبُــوا

لَوْلاَ الحَــيَاءُ لَقُــلْتُ تِلْكَ جَرِيمَــةٌ
وَإِذَا يَئِــسْــتُ أَقُــولُ : هَذَا المُــذْنِــبُ

لكِــنْ بَقِــيَّةُ مَأْمَــلٍ وَتَــعَــلُّلٍ
قَطَعْــتُ جَهِــيرِيَ ما أَلُــومُ وَأَشْــجُــبُ

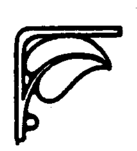
فَكَــأَنَّهَا ضَوْءٌ يَكَــادُ يُذِيبُــهُ
نَوْءُ الــظَّلاَمِ وَحُــلْكَــةٌ تَتَــسَــعَّــبُ

★ ★ ★

وَطَــنِي ذَكَــرْتُــكَ وَالمَــصَــائِــبُ كَشَّرَتْ
عَنْ نَابِهَــا وَاحْمَــرَّ مِنْهَــا المِــخْــلَبُ

وَوَقَــعْــتَ تَدْمَــى في عِرَاكِــكَ بَعْــدَ مَا
ذَهَــبَ الــنَّــصِــيرُ وَسَــاءَكَ المُــتَــقَــلِّبُ

فَصَرَخْــتَ مَكْــلُومَــاً أَمَــا مِنْ مُنْــجِــدٍ
يَحْنُــو عَلَيَّ وَمُــسْــعِــفٍ لاَ يَرْهَــبُ



فَهْـيَ الجَـحَـافِـلُ أُطْـبِـقَـتْ! لا نَارُهَـا
نَارٌ! وَلَا فِتْـيَانُهَا تَتَسَرَّبُ

وَأَتَـاكَ يُنْـقِـذُ مَنْ رَجَـوْتَ حَنَـانَـهُ
فَإِذَا بِهِ قَاسٍ عَلَيْكَ مُجَرَّبُ

أَيْنَ الحَـمِـيَّةُ إِذْ رَآكَ مُمَزَّقـاً
إِرَبـاً وَعِـرْضُـكَ مُسْـتَـبَـاحٌ يُثْـلَبُ

أَيْنَ الـكَـتَـائِـبُ أَقْـبَـلَتْ وَنِـدَاؤُهَـا
الـلَّهُ أَكْـبَرُ، وَالـرَّدَى يَتَرَقَّـبُ

وَمَـضَـوْا لإِحْـدَى الحُـسْـنَـيَيْنِ يَشُـدُّهُـمْ
شَوْقٌ إِلَى دَارِ الخُـلُودِ وَيَجْـذِبُ

فَإِذَا هُـمُ، وَالـنَّصْرُ لَاحَ بَشَـائِـرَاً
تَهْفُـو، وَصَـفَّـقَ مَشْرِقٌ أَوْ مَغْـرِبُ

شَدَّ الـطِّعَـانَ عَلَيْهِـمُ فِي ظَهْـرِهِـمْ
رَحِـمٌ وَمَـزَّقَـهُـمْ قَرِيبٌ أَكْـذَبُ

وَيَسُـوقُـهُـمْ لِلْسِّـجْـنِ! إِلَّا أَنَّهُمْ
سَيْفٌ يُرَقَّـقُ نَصْـلُهُ وَيُجَـرَّبُ

وَإذَا شُمُــوعُ الــلَّيْلِ تَذْوي وَالْمــنَــى
تَضْــوِي وَأَحْــلَامٌ هُنَــالِــكَ تَذْهَــبُ

١٩٤٨





سقوط صفد

في ١٣ ايار ١٩٤٨

دَمْعَةٌ حَرَّقَتْ مِنَ الأَجْفَانِ
وَزَفِيرٌ تَبُثُّهُ الشَّفَتَانِ

وَفُؤَادٌ يَثُورُ كالْبُرْكَانِ
وَنِدَاءٌ يَضِجُّ في الآذانِ
صَفَدُ! حَدِّثي بِغَيْرِ لِسَانِ

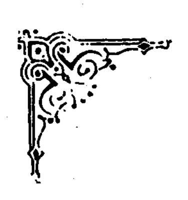
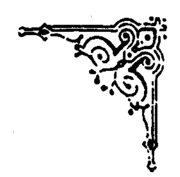
★ ★ ★

كَيْفَ تَهْوِي مَعَاقِلُ الأَبْطَالِ
وَتَموتُ الرِّجَالُ دُونَ قِتَالِ

لاَ ضَحَايَا هَوَتْ عَلى الأَطْلاَلِ
أَوْ دِمَاءٌ زَكِيَّةٌ في الجِبَالِ
فَجَّرتْ نَبْعَةً مِنَ الإِيمَانِ

★ ★ ★

بَلْ شَرِيدٌ لَمْ يَعْتَصِمْ بِبِنَائِهْ
مُرْغَمٌ لِلْنُّزُوحِ عَنْ أَرْجَائِهْ

خَلَّفَ الـدَّمْـعَ جَارِيَاً فِي فِنَـائِـهْ
جَرَّدُوهُ وَأَخْـرَسُـوا مِنْ نِدَائِـهْ
سَحَبُـوهُ مِنْ غَمْـرَةِ المَيْدَانِ

★ ★ ★

اتْـرُكُـوه تَرَوْا بَلاَءً أَكِـيدَاً
وَرَدَىً يَخْطَفُ الـنُّـفُـوسَ مُبِـيدَا

فِتْـيَةٌ أُغْـضِـبُـوا فَكَـانُـوا أُسُـودَا
أُلْهِـبُـوا فَانْـبَرَوْا رَدَىً وَوَقُـودَا
إِنْ قَضَوا خَلَّدُوا هَوَى الأَوْطَانِ

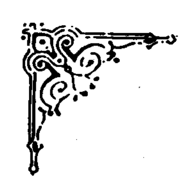
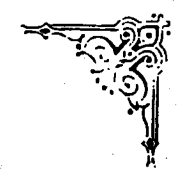
★ ★ ★

أَنُـزُوحٌ! يَا وَيْحَـهُـمْ أَنُـزُوحُ
وَرَضِـيعٌ عَلَى الأَكُـفِّ يَنُـوحُ

يَبْـتَـغِـي قَطْرَةً وَذَاكَ جَرِيحُ
وَعَـجُـوزٌ مُرَوَّعٌ وَطَـرِيحُ
بَيْنَ وَادٍ وَهَـضْـبَـةٍ أَوْ جِنَـانِ

★ ★ ★

ذِكْـرَيَاتٌ وَرَاءَهُـمْ كَيْفَ تُمْحَـى؟
وَهِـيَ تُدْمِـي الجِـرَاحَ جَرْحَـاً فَجَـرْحَـا

وَعَـذَابٌ يَنِـزُّ فِي الـقَـلْبِ قَرْحَـا
كَيْفَ أَلْـقَـى عَلَى رُبُـوعِـكِ صَفْـحَـا
أَنْ طَوَيْنَـا القَنَـا وَحُمْـرَ السِّنَانِ

★ ★ ★

مُصْـحَـفٌ مزَّقَـتْـهُ أَيْدِي الـبُـغَـاةِ
وَأَهَـانُـوا مَرَابِـعَ المـكْـرُمَـاتِ

ورَضِـيعٌ يُنَـاشُ بَيْنَ الـكُـمَاةِ
وَاسْـتَـهَـانُـوا بِعِـزَّةِ الـفَـتَـيَاتِ
أَيَّ هَـوْنٍ مِنْ بَعْـدِ ذَاكَ الهَوانِ

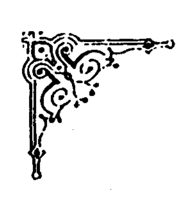
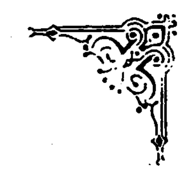
★★★

كُلُّ هَذَا مُؤَامَـراتٌ تُحَاكُ
وَخِـدَاعٌ وَغَـفْـلَـةٌ وَعِـرَاكُ

وَكَـرَاسٍ تَزَاحَمَـتْ وَشِرَاكُ
نَصَـبُـوهَـا وَهَـذِهِ أَشْـوَاكُ
ثُمَّ قَالُـوا سِيرُوا بِكُـلِّ أَمَـانِ

★ ★ ★

لَمْ يُطفْ فِي الـفُـؤَادِ غَيْرُ خَيَالٍ
لِمثَـالٍ مِنَ الـتُّـقَـى وَالجَـلَالِ

وَجِـهَـادٍ لَمْ يَتَّـصِـفْ بِكَـلَالِ
إِنَّـهُ سَيِّدُ الـبِـلَادِ الـغَـالِي
وَأَمِـينٌ مُسْـتَعْصِمٌ بِأَمَـانِ

★ ★ ★

هَذِهِ بَلْدَتِي يَضِـجُّ نِدَاهَـا
صَرْخَـةٌ رُدِّدَتْ وَهَـذِي صَدَاهَـا

وَفِـلَسْـطِينُ رُوِّعَـتْ مِنْ رَدَاهَـا
كُلُّنَـا! كُلُّنَـا! فِدَاهَـا فِدَاهَـا
اخْرَسُوا لَنْ يُفِيدَ رَجْعُ الحَنَانِ

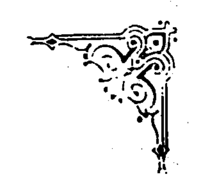
★ ★ ★

أَفِـلَسْـطِينُ! هَلْ جَفَـاكِ بَنُـوكِ
حَمَلًا لِلْذِّئَـابِ هَلْ تَرَكُـوكِ

فِي غِمَارِ الجِـهَـادِ هَلْ خَذَلُـوكِ
حَدِّثِـي إِنَّـمَا أُولَئِـكَ فُوكِ
نَـاطِقٌ فِي رُبَىً وَفِي وِدْيَـانِ

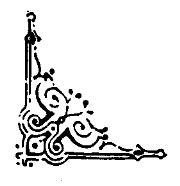
★ ★ ★

مِنْ شَبَـابٍ كَالـنَّـارِ حِينَ تَمُدُّ
وَاقْـتِـحَـامِ الـطُّوفَـانِ حِينَ يَشُـدُّ

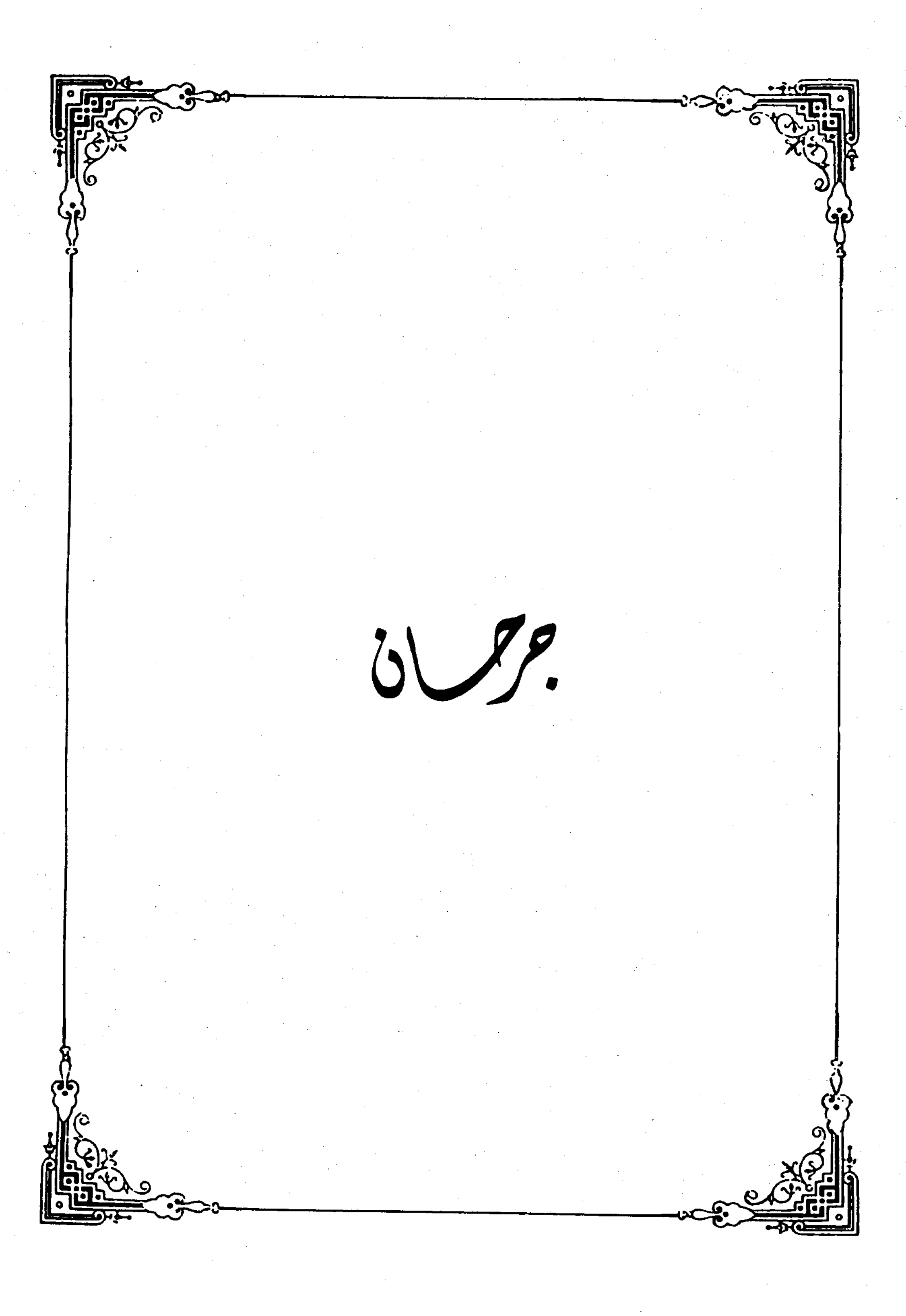


قَدْ أَبَــوْا ذِلَّــةً فَثَــارُوا وَجَــدُّوا
وَسَــقَــوْا تُرْبَهَــا فَذَلِــكَ مَجْدُ
ثَــابِتٌ فَوْقَ مَصْـرَعِ الشُّبَــانِ

١٥ أيار ١٩٤٨







جرجان



أرسل صديق لي من الأردن رسالة سنة ١٩٤٩م بعد انقطاع طويل، فأجبته بأبيات من الشعر، زدت عليها أبياتاً أخرى سنة ١٩٦٤.

جرحان

يَا طَائِرَ الأُرْدُنِّ حَرَّكَهُ
شَجْوٌ فَأَسْمَعَ صَوْتَهُ بَرَدَى

يَا طَيْرُ قَصَّ جَنَاحَهُ زَمَنٌ
كَمْ قَصَّ أَجْنِحَةً وَشَلَّ يَدَا

لَا تَحْسَبَنَّ مَوَارِدِي عَذُبَتْ
أَسْعَى لَدَى لَذَّاتِهَا رَغَدَا

فَدِمَشْقُ جَنَّاتٌ تَرِفُّ بِهَا
حُورٌ تَمِيسُ وَمَاؤُهَا بَرَدَا

طَابَتْ لِمَنْ يَسْعَى لِطَيِّبِهَا
وَقَسَتْ إِذَا مَا هَمُّهُ انْعَقَدَا

لَا مَاؤُهَا يُطْفِي لَنَا ظَمَأً
أَوْ حَبُّهَا يَجْرِي رِضىً وَنَدَى

يُذْكِي الحَنِينُ إلَى الطُّلُولِ أَسىً
عَصَرَ الضُّلُوعَ وَمَزَّقَ الكَبِدَا

جُرْحَانِ : نَحْمِلُ مِنْ نَزِيفِهِمَا
أَلَماً يَجُذُّ الرُّوحَ وَالْجَسَدَا

جُرْحَانِ : يَعْتَصِرُ الأَسَى بِهِمَا
عُمْرَ الفَتَى وَالشَّيْخَ وَالوَلَدَا

جُرْحَانِ : جُرْحٌ غَارَ فِي جَسَدٍ
رَوَّتْ دِمَاهُ مَرَاقِدَ الشُّهَدَا

وَكَذَاكَ جُرْحٌ غَارَ فِي شَرَفٍ
وَيَدُ النُّزُوحِ تَدُورُ فِيهِ مُدَى

* * *

عَجَباً! أَيَغْدُرُ صَاحِبٌ بِأَخٍ
وَيَسُوقُهُ لِمَهَالِكٍ وَرَدَى

وَيَشُدُّهُ عَبْرَ الحُدُودِ أَخٌ
الصَّدْرُ رَحْبٌ وَاليَدَانِ نَدَى

وَتَسِيرُ قَافِلَةُ النُّزُوحِ رُؤىً
مَوْصُولَةً فَتَقَطَّعَتْ بَدَدَا

الطِّفْلُ وَدَّعَ مِنْ مَلَاعِبِهِ
ظِلّاً وَهَاجَ حَنَانُهُ وَبَدَا

يُلْقِي بِأَنْظَارٍ مُمَزَّقَةٍ
لَمْ يَدْرِ مَا أَبْقَى وَمَا فَقَدَا

تَحْنُو الأُمُومَةُ وَهْيَ ذَابِلَةٌ
شَدَّتْ لِثَدْيَيْهَا هَوىً وَدَدَا

يَتَلَمَّسُ المِسْكِينُ قَطْرَتَهَا
جُوعاً! فَتَعْصِرُ مِنْ أَسىً كَبِدَا

تَغْذُوهُ مِنْ أَمَلٍ يُخَالِطُهَا
وَهَوىً وَتَرْقُبُ فِي العُيُونِ غَدَا

الشَّيْخُ مَرَّ عَلَى مَدَامِعِهِ
بِيَدٍ وَأَفْلَتَ لِلْزَّمَانِ يَدَا

ثِقَلُ السِّنِينَ يَشُدُّ كَاهِلَهُ
وَهْناً، وَتَدْفَعُهُ المُنَى صُعُدَا

وَخُـطىً تَدِبُّ مَضَتْ مُوزَّعَـةً
لِتَشُـقَّ مِنْ أَحْلَامِـهَـا جُدُدَا

يَطْوي الشَّبَابُ ضُلُوعَهُمْ أَسَفَـاً
أَنْ لَمْ يَكُـونُـوا دُونَ ذاكَ فِدَا

أَلْقَـىٰ السِّـلَاحَ وَفي جَوَارِحِـهِ
أَمَـلُ! سَأَرْجِـعُ لِلْجِـهَـادِ غَدَا

هٰذي أُخُـوَّةُ أَحْمَـدٍ سَبَقَـتْ
عَهْـداً لِتُـطْلِقَ دُونَـنَـا المَـدَدَا

مَا كُنْـتُ أَتْـرُكُ مِدْفَـعِـي وَدَمِـي
يَجْرِي وَزَغْـزَعَـةُ الجَـلَادِ نِدَا

وَالـرَّايَةُ الحَـمْـرَاءُ خَافِـقَـةُ
نَصْراً تَضُـمُّ مَوَاكِـبَ الـشُّـهَدَا

فَمَـضَـى! وَتَـلْتَـفِـتُ الـدِّمَـاءُ شَجَـىً
وَتُـطِلُّ في الـصُّـبْـحِ الـبَـلِيلِ نَدَى

أَطْـيَافُ قَافِـلَةٍ مُمَزَّقَـةٍ
غَابَـتْ تَشُـقُّ مَسَـالِـكَـاً وَمَـدَى

الأُفْــقُ يَطْوي مِنْ مَعَــالِمِــهَــا
ذِكْــرَى وَيَرْجِــعُــهَــا إِلَــيكَ صَدَى

★ ★ ★

يَا خَيْمَــةً مَفْــجُــوعَــةً طُعِــنَــتْ
تَطْوي الأَنِــينَ وَتُــفْــرِدُ الــسَّــهَــدَا

نَزَّ الــنَّــجِــيعُ عَلى جَوَانِــبِــهَــا
وَالــنَّــصْــلُ غَارَ وَمَــزَّقَ الجَــسَــدَا

تمَضِي الــسِّــنُــونَ تَهُزُّ مِنْ طُنُــبِ
وَالــشَّــوْقُ هَاجَ وَزَعْــزَعَ الــوَتَــدَا

يَا أُمَّــةً طُعِــنَــتْ بِعِــزَّتِهَــا
فَهَــوَتْ تَلَمَّسُ فِي الــثَّــرَى سَنَــدَا

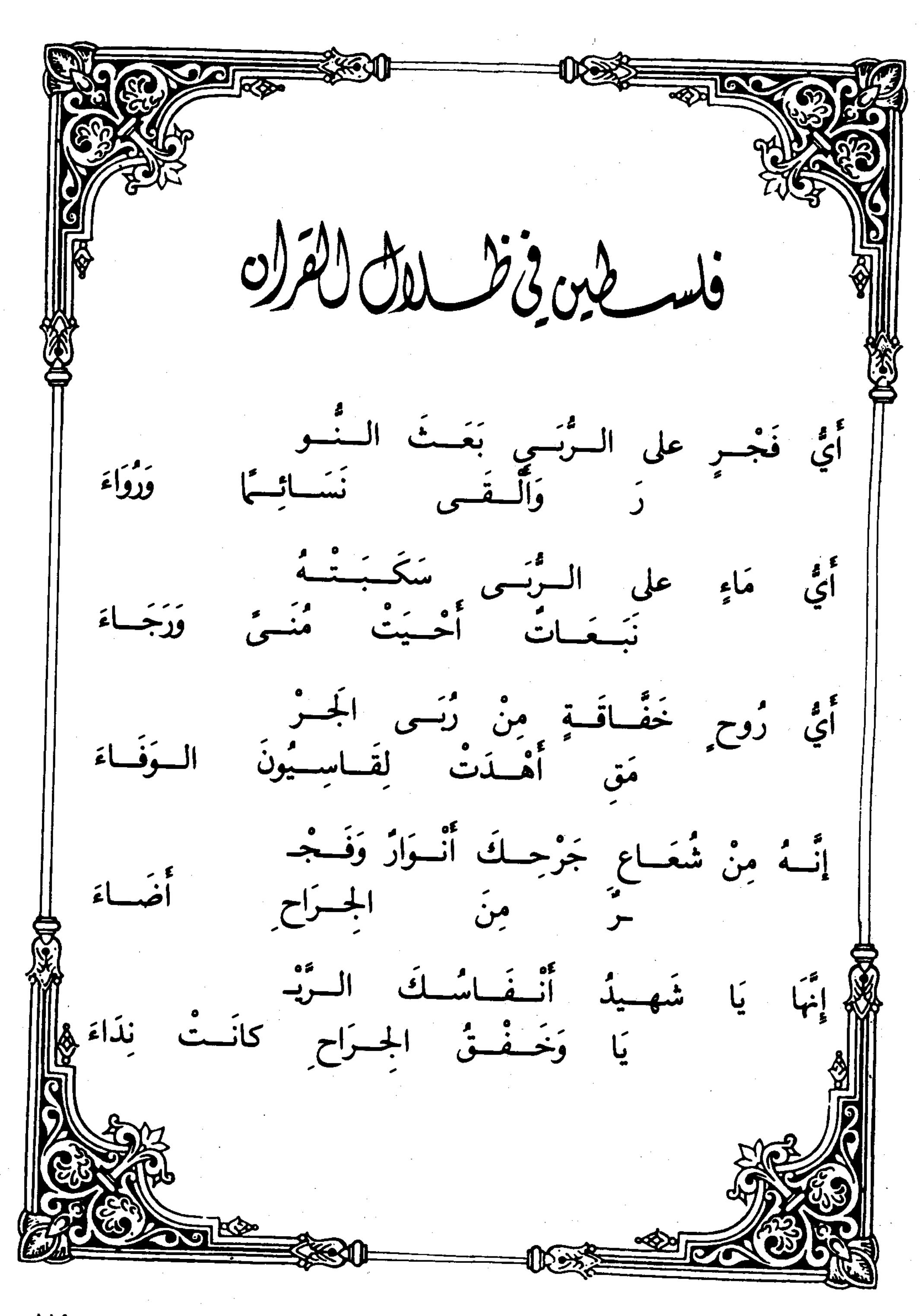
تَهْوِي وَيَهْــوِي مِنْ شَوَامِخِــهَــا
قُلَلٌ وَيَذْرُوهَــا الــنَّــوَى بَدَدَا

تَهْوِي تَعَــفَّــرُ فِي مَذَلَّــتِــهَــا
وَالــرِّيحُ تُعْــوِلُ وَالــطُّلُولُ صَدَى

١٩٦٤

★ ★ ★





فلسطين في ظلال القرآن

أَيُّ فَجْرٍ على الرُّبَى بَعَثَ النُّو
رَ وَأَلْقَى نَسَائِمًا ورُوَاءَ

أَيُّ مَاءٍ على الرُّبَى سَكَبَتْهُ
نَبَعَاتٌ أَحْيَتْ مُنًى وَرَجَاءَ

أَيُّ رُوحٍ خَفَّاقَةٍ مِنْ رُبَى الجَرْ
مَقِ أَهْدَتْ لِقَاسِيُونَ الوَفَاءَ

إِنَّهُ مِنْ شُعَاعِ جَرْحِكَ أَنْوَارٌ وَفَجْـ
رٌ مِنَ الجِرَاحِ أَضَاءَ

إِنَّهَا يَا شَهِيدُ أَنْفَاسُكَ الرَّيْـ
يَا وَخَفْقُ الجِرَاحِ كَانَتْ نِدَاءَ

مَا رَأَيْنَـا على مُحَيَّاكَ إلَّا
قَبَسَ الَمـجْـدِ مُلْهِـمَاً وَضَّـاءَ

أُمَمَـاتٌ يُعْطِـي الَحـيَاةَ وَفَـقْـدٌ
مَنَـحَ الُخَــلْدَ! ما أَجَـلَّ الـعَـطَاءَ

مَا تَقُـومُ الَحـيَاةُ إلَّا لِتَـتْـلُو
آيَةً أَوْ بُطُولَـةً شَمَّاءَ

كُلُّ مَا في الَحـيَاةِ يَقْـبِسُ مِنْ نُو
رِكَ نُوراً وَمِــنْ سَنَـاكَ سَنَـاءَ

هَكَــذَا تَمْنَـحُ الـعَـقِـيدَةُ مَنْ مَا
تَ : حَيَاةً وَجَـنَّـةً وَرِضَـاءَ

هَكَــذَا أُمَّــة تُرِيدُ حَيَاةً
في ظِلَالِ الـقُـرْآنِ تُعْـلِي الـبِـنَـاءَ

★ ★ ★

كَمْ دَفَـعْـتَ الُخـطَى يُسَـابِـقُـهَـا الـعَـ
ـزْمُ وَتَمْضِي إلَى الجِـهَـادِ مَضَـاءَ

لَفَّـكَ الـلَّيْلُ، وَالأَمَـانِيُّ تَحْدُو
كَ، وَآمَـالُـكَ الـكِـبَـارُ تَرَاءَى

وَعَلَى جَانِبَيْكَ إِخْوَانُكَ الغُرْ
رُ تَنَادَوْا لَهَا فَلَبُّوا نِدَاءَ

وَسِلاَحُ يَشُقُّ مِنْ ظُلْمَةِ اللَّيْـ
ـلِ دُرُوبَاً مَمْدُودَةً حَمْرَاءَ

وَمَضَى...! وَالقُلُوبُ تَهْفُو لِلُقْيَا
كِ، فَلَسْطِينُ! مَا أَعَزَّ اللِّقَاءَ

هَلَكَ الشَّوْقُ نَفْسَهُ فَتَرَاهَا
فَجَّرَتْ شَوْقَهُ عَلَيْهَا دِمَاءَ

لَمْ يُطِقْ أَنْ يَعُودَ بَعْدَ لِقَاءٍ
دِينُنَا عَلَّمَ الرِّجَالَ الوَفَاءَ

فَانْحَنَى! ثَغْرُهُ يُقَبِّلُ تُرْبَاً
وَعَلَتْ رُوحُهُ تَضُمُّ السَّمَاءَ

★ ★ ★

يَا شَهِيداً تَضُمُّهُ مُهَجَاتٌ
وَحَنَانٌ يُلْقِي عَلَيْكَ الرِّدَاءَ

أَيُّ غُصْنٍ يُظِلُّ فَوْقَكَ مَيْمُو
نَاً وَيُرْخِي ظِلاَلَهُ إِرْخَاءَ

هَمَسَاتٌ لَهُ تُدِيرُ حِكَايَا
تٍ وَتُحْيِي مِنْ ذِكْرِهِ إِحْيَاءَ

زَقْزَقَاتُ الطُّيُورِ تَنْقُلُ عَنْهُ
نَفَحَاتٍ تُلَقِّنُ الأَبْنَاءَ

رَفْرَفَاتُ النَّسِيمِ تَغْفُو على قَبْـ
ـرِكَ وَلْهَى وَتَنْشُرُ الأَنْدَاءَ

حَمَلَتْ مِنْ رُبَى فِلَسْطِينَ آمَا
لًا فَكَانَتْ مِنَ اللُّحُودِ نِدَاءَ

وَسَرَتْ فِي دُنَا العُرُوبَةِ تُحْيِيـ
ـهَا فَكَانَتْ عَوَاصِفاً هَوْجَاءَ

إِيه يَا قَبْرُ! كَمْ وَقَفْنَا عَلَيْهِ
أَعْيُناً وَدَّعَتْ بِكَ الرُّفَقَاءَ

غَيْرَ أَنِّي وَقَدْ ضَمَمْتَ شَهِيداً
لَا أَرُدُّ الدِّمَاءَ فِيكَ بُكَاءَ

لَسْتُ مِنْ يَنْدُبُ الشَّهِيدَ وَلَكِنْ
هُوَ حَقٌّ أَنْ نَنْدُبَ الأَحْيَاءَ

★ ★ ★

يَا فِلَسْطِينُ وَالرُّبَى حَانِيَاتٌ
وَثَنَايَاكِ خَافِقَاتٌ رَجَاءَ

مُهَجٌ فِي ظِلَالِ وَادِيكِ أَرْجَعْـ
ـتِ هَوَاهَا وَخَفْقَهَا أَصْدَاءَ

وَسُفُوحٌ يَلُفُّهَا الأَمَلُ الحُلْـ
ـوُ فَتَمْتَدُّ فِي الزَّمَانِ رِضَاءَ

كَمْ دَرَجْنَا عَلَى رُبُوعِكِ نَلْقَى
ظِلَّهَا أَوْ مُرُوجَهَا الخَضْرَاءَ

كَمْ زَرَعْنَا بِأَرْضِهَا غَرَسَاتٍ
وَسَقَيْنَاكِ بِالدِّمَا كُرَمَاءَ

أَيْنَ «كَنْعَانُ» مُلْتَقَى الأُفُقِ الوَا
سِعِ وَالمَجْدُ فِي ذُرَاهُ أَفَاءَ

أَيْنَ يَا مَرْبَعَ الصِّبَا دَرَجَتْ فِيْـ
ـهِ طُفُولَاتُنَا عُلاً وَإِبَاءَ

وَنَشَرْنَا مِنَ الشَّبَابِ جَنَاحَيْـ
ـنِ عَلَيهِ فَرَفْرَفَا أَنْدَاءَ

وَنَزَلْنَا على «الطَّوَاحِين»[(١)] نَجْنِي
ثَمَرَاتٍ وَنَصْعَدُ «الحَمْرَاءَ»[(٢)]

صَفَدٌ مُهْجَةُ الحَيَاةِ، عَرُوسٌ
تَتَجَلَّى جَوَاهِراً وَسَنَاءَ

أَيْنَ مِنِّي ذُرَاكَ يَا جَبَلَ الكَرْ
مِلِ قَامَتْ تَسْتَنْهِضُ الأَبْنَاءَ

وَظِلَالٌ مِنَ الصَّنَوْبَرِ أَلْقَتْ
في رُبَاهُ غِلَالَةً سَمْرَاءَ

أَيْنَ يَافَا يَضُمُّهَا شَاطِئُ البَحْـ
ـرِ حَنَانَاً وَرِقَّةً وَغِنَاءَ

كُلَّمَا ضَمَّهَا الدجى وَهَبَتْهُ
مِنْ حُلَاهَا نُجُومَهُ الزَّهْرَاءَ

إيه يَا قُدْسُ! مَهْبِطَ الوَحْيِ! هُبِّي
نَفَحَاتٍ وَأَشْرِقِي أَضْوَاءَ

وَالنُّبُوَّاتُ في رِحَابِكِ تَسْعَى
وَهِيَ تَتْلُو آيَاتِهَا العَصْمَاءَ

---

(١)، (٢) الطواحين والحمراء مكانان مشهوران بجمال المناظر الطبيعية، يرتادهما الناس للنزهة.

وَالنَّبيُّ العَظِيمُ يَعْرُجُ مِنْهَا
قَبَساً يَمْلأُ الزَّمَانَ ضِيَاءَ

أَيْنَ يا غَزَّةَ الجِهَادِ أَطِلِّي
أَيْنَ أَلْقَى الخَلِيلَ أَوْ عَكَّاءَ

★ ★ ★

لَسْتُ أَبْكِي تُرَابَهَا وَمُرُوجَاً
نَضَبَتْ أَوْ حِجَارَةً صَمَّاءَ

إِنَّمَا أَنْدُبُ العَقِيدَةَ تَذْوِي
في نُفُوسٍ تَعِيسَةٍ وَالإِبَاءَ

مَا هَجَرْنَا دِيَارَنَا غَيْرَ أَنَّا
قَدْ هَجَرْنَا العَقِيدَةَ السَّمْحَاءَ

لَفَظَتْنَا الدِّيَارُ إِذْ ذَاكَ لَفْظاً
وَأَحَالَتْ كِرَامَنَا غُرَبَاءَ

قُلَلٌ، أَمْسِ! مَا عَهِدْنَاكِ إِلاَّ
شَامِخَاتٍ تُعَانِقُ الجَوْزَاءَ

ما دَهَاهَا فَرَدَّتِ الطَّرفَ عَنَّا
وَتَوَارَتْ عَنِ العُيُونِ حَيَاءَ

وَبَنُوهَا تَقَاذَفَتْهُمْ بِطَاحٌ
وَرِيَاحٌ وَزَمْجَرَتْ أَنْوَاءَ

وَأَيَادٍ تَمُدُّهُمْ بِكِسَاءٍ
وَالْوِكَالاَتُ أَلْقَمَتْهُمْ غِذَاءَ

خِيَمٌ مَا تَضُمُّ إِلاَّ بَقَايَا
تِلكَ يَا شَعْبُ رُضَّعاً وَنِسَاءَ

وَشَبَاباً تَحَفَّزَتْ قَدَمَاهُ
لِوُثُوبٍ وَزَمْجَرَتْ كِبْرِيَاءَ

* * *

عَجَباً! كَيْفَ قُطِّعَتْ أُمَّةُ الْعُرْ
بِ وَكَانَتْ عَقِيدَةً وَإِخَاءَ

عَجَباً! كَيْفَ زُلْزِلَتْ أُسُسُ الدَّا
رِ وَهَبَّتْ رِيَاحُهَا هَوجَاءَ

أَفْلَتَتْ حَبْلَهَا المَتِينَ وَأَرْخَتْ
مِنْ عُرَاهَا وَبَدَّلَتْ أَهْوَاءَ

وَتَدَنَّتْ لِتَعْرِقَ الْعَظْمَ مِنْ كَفْـ
ـفِ غَرِيبٍ يُلْقِي بِهِ إِلْقَاءَ

وَمَضَتْ تَطْلُبُ الحَيَاةَ بِجِيفَا
تٍ وَنَتْنٍ ذَلِيلَةً بَلْهَاءَ

ذَلَّ مَنْ يَطْلُبُ الحَيَاةَ مِنَ الخَصْـ
ـمِ وَيَرْضَى مِنْ كَفِّهِ إِعْطَاءَ

فِئَةٌ مِنْ بَنِي العُرُوبَةِ ضَلَّتْ
وَتَمَادَوْا بِغَيِّهِمْ جُبَنَاءَ

وَفِلَسْطِينُ لَمْ تَعُدْ غَيْرَ لَفْظٍ
لَمْ تُجَاوِزْ شِفَاهَهَا الخَرْسَاءَ

أَوْ شِعَارٍ يَسُوقُهُ مَهْرَجَانٌ
أَوْ أَغَانٍ تَهُزُّهَا خُيَلَاءَ

★ ★ ★

أُمَّتِي! هَبَّتِ السَّوَافِي غِضَاباً
وَجُنُوناً مُرَوِّعاً وَفَنَاءَ

حَمَلَتْ فِي عَجَاجِهَا الدَّارَ وَالأَهْـ
ـلَ وَأَيْكاً وَالغَرْسَةَ الخَضْرَاءَ

وَالشَّبَابَ النَّدِيَّ وَالأَمَلَ الحُلْـ
ـوَ وَخَلَّتْ وَرَاءَهَا الأَصْدَاءَ

وَالخَـرِيفَ الـكَئِيبَ وَالـوَرَقَ الـيَا
بِسَ وَالـدَّوْحَ خَلَّفَـتْـهُ هَبَـاءَ

★ ★ ★

أُمَّـتِي عَوْدَةً إلَى اللهِ تُحْيِي
مَيِّتَ الأَرْضِ وَالـنُّفُـوسَ الخَـوَاءَ

أُمَّـتِي! عَوْدَةً تَرُدُّ إلَى الـنَّـفْـ
ـسِ ضِيَاءً يُمَـزِّقُ الـظَّلْمَاءَ

أُمَّـتِي! عَوْدَةً تَرُدُّ إلَى الأَيْـ
ـكِ رُؤَاهُ وَلِـلغُـصُـونِ المَـاءَ

تَرْجِـعُ الـبُـلْبُـلَ الـصَّـدُوحَ يُغَـنِّي
مُطْمَئِـنَّـاً وَالـدَّوْحَـةَ الـغَـنَّـاءَ

عَوْدَةً تَرْجِـعُ الجِـهَـادَ وَتُـعْـلِي
رَايَةَ الحَـقِّ وَالـيَقِـينَ عَلَاءَ

★ ★ ★

يَا فِلَسْـطِينُ هَذِهِ سُبُـلُ الـنَّـصْـ
ـرِ فَهُـبِّـي وَرَدِّدِيهَـا نِدَاءَ

يَا فِلَسْـطِينُ! أَقْبِـلِي! عَانِـقِـي رَا
يَةَ نَصْرٍ وَهَـلِّلِي كِبْرِيَاءَ

عَانِقِي رَايَةً وَضُمِّي حَنَانَاً
مُهَجاً فَجَّرَتْ عَلَيْكِ الدِّمَاءَ

عُصْبَةُ الحَقِّ مَا تَزَالُ تُدَوِّي
وَتَمُدُّ الكَتِيبَةَ الخَضْرَاءَ

★ ★ ★

يَا فَلَسْطِينُ! كَمْ ضَمَمْتِ شَهِيداً
وَرُبَى الشَّامِ فَوَّحَتْ أَشْذَاءَ

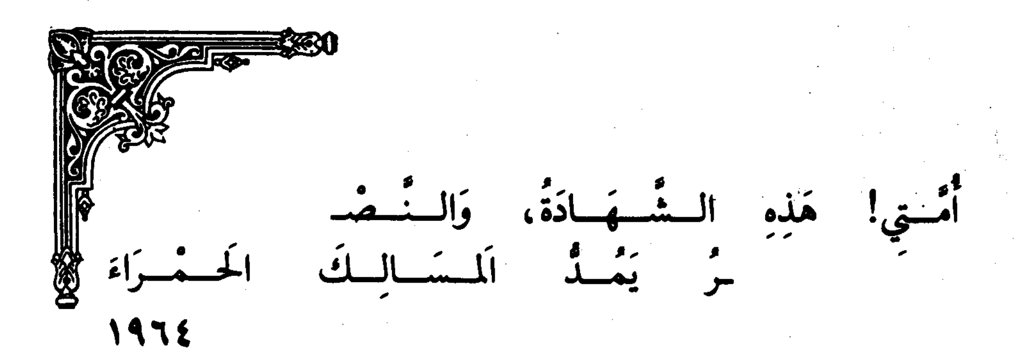
فَعَلَى كُلِّ رَبْوَةٍ زَهَرَاتٌ
كَمْ حَسِبْنَاكَ قَبْلَ ذَا أَشْلاَءَ

هَكَذَا! أُمَّةٌ تُرِيدُ حَيَاةً
فَهِيَ يَرْثِي شَهِيدُهَا الشُّهَدَاءَ

حَمَلَتْ فِي فُؤَادِهَا آيَةَ اللَّـ
ـهِ يَقِينَاً وَفِي اليَدَيْنِ مَضَاءَ

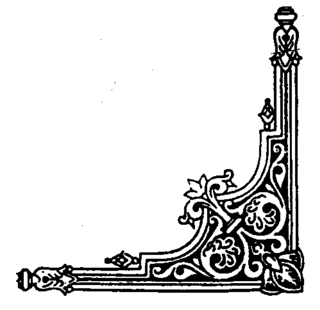
وَمَضَتْ تَدْفَعُ الكَتَائِبَ لِلْمَجْـ
ـدِ وَتُعْلِي رَايَاتِهَا إِعْلاَءَ

فِي ظِلاَلِ القُرْآنِ يَهْدُرُ زَحْفٌ
مَلأَ الأَرْضَ وَاسْتَظَلَّ السَّمَاءَ



أُمَّـتِي! هَذِهِ الـشَّـهَـادَةُ، وَالـنَّـصْـ
ـرُ يَمُدُّ المَسَـالِـكَ الحَـمْـرَاءَ

١٩٦٤



رجل فلسطين، مفتيها وقائد جهادها الحاج محمد أمين الحسيني توفي في ٥ تموز سنة ١٩٧٤ في بيروت. علم من أعلام العقيدة والجهاد في تاريخ هذه الأمة.

دمعة على رجل

هَلْ غَبَّرَ الأُفْقَ فُرْسَانٌ وَرُكْبَانُ
أَمْ رَوَّعَتْهُ مِنَ الأَنْبَاءِ أَشْجَانُ

أَمْ حَيَّرَ الدَّمْعَ في العَيْنَيْنِ نَازِلَةٌ
فَاغْرَوْرَقَتْ مِنْهُ أَهْدَابٌ وَأَجْفَانُ

الدَّارُ، وَالأَهْلُ كَمْ فَاضَتْ مَحَاجِرُهُمْ
مِنَ الأَسَى وَبَكَى فِي الحَيِّ خِلَّانُ

وَالأُفْقُ وَالرَّوْضُ وَالسَّاحَاتُ وَاجِفَةٌ
وَالطَّيْرُ لَوَّتْ عَلَى جُنْحَيْهِ أَحْزَانُ

وَغَصَّةُ المَسْجِدِ الأَقْصَى وَصَخْرَتُهُ
وَعَبْرَةٌ نَزَفَتْهَا دُونَهُ البَانُ

وَالظِّلُّ مِنْ شَجَرِ الزَّيْتُونِ مُنْحَسِرٌ
وَالغُصْنُ وَاهٍ كسِيفُ البَالِ حَيْرَانُ

أَيْنَ اخْضِرارُكَ يَا زَيْتُونُ وَارِفَةً
أَغْصَانُهُ وَيَحُوطُ السَّاحَ أَلْوَانُ

يَحْنُو على ذِكْرَيَاتٍ في مَرَابِعِهِ
مِنَ الدَّمِ الحُرِّ : أَشْوَاقٌ وَتَحْنَانُ

ثوى هُنَالِكَ أَبْطَالٌ غطارِفَةٌ
وَرَجَّعَ الذِّكْرَ وُدْيَانٌ وَشُطْآنُ

هَذِي فِلسطِينُ كَمْ حَنَّتْ مَرَابِعُهَا
إلى ابْنِهَا البَرِّ يُذْكِي الشَّوْقَ حِرْمَانُ

كَمْ هَاجَهَا الشَّوْقُ لِلُّقْيَا تُرَجِّعُهُ
على الرُّبَى زَقْزَقَاتُ الطَّيْرِ وَالبَانُ

كَمْ زَيَّنَتْ مِنْ رَوَابِيهَا مُعْطَرَةً
وَفَوَّحَتْ بَحَنَانِ الشَّوْقِ وُدْيَانُ

حَتَّى أَتَى النَّعْيُ! مَا أَخْلَفْتَ مَوْعِدَهَا
وَلاَ تَدَنَّى لَهُ جُهْدٌ وَإِيمَانُ

نَزَلْتَ في القَبْرِ جُثْمَاناً وَقُمْتَ لَهَا
رُوُحًا، فَحَفَّ لَهُ رَوْضٌ وَبُسْتَانُ

وَحَفَّتِ الحُورُ أَتْرَابَاً تَزفُّ لَهُ
بُشْرَى وَيَخْفِقُ في جَنْبَيْهِ رِضْوَانُ

لُقْيَا...! وَمَا تَشْتَهِي نَفْس أَعَزَّ وَلاَ
أَحْلَى وَقَدْ حَفَّهَا رَوْحٌ وَرَيْحَانُ

أَرْخَى جِهَادُكَ أَفْيَاءً لَهَا وَمَضَتْ
يَهُزُّهَا بِالنَّدَى صَبْرٌ وَإِيمَانُ

وَحَوْلَكَ الشُّهَدَاءُ الصَّادِقُونَ على
وُجُوهِهِمْ فَرَحَاتُ البِشْرِ إِخْوَانُ

★ ★ ★

يَا أَيُّهَا الجَسَدُ الثَّاوِي على شَرَفٍ
أَكْبَادُنَا لِشَهِيدِ الحَقِّ أَكْفَانُ

تُرْخِي عَلَيْكَ حَنَاناً مِنْ جَوَارِحِنَا
ظِلًّا وَتَسْكُبُ قَطْرَ الغَيْثِ أَجْفَانُ

يَجْرِي النَّسِيمُ عَلَيْهِ مِنْ صَبَابَتِهِ
طِيبَاً وَيَنْشُرُ مِنْهُ الطِّيبَ عِرْفَانُ

يَظَلُّ قَبْرُكَ يَرْوي كُلَّما وَقَفَتْ
أَمَامَهُ خَاشِعَاتِ الطَّرْفِ أَزْمَانُ

يَرْوي صَحَائِفَ أَمْجَادٍ مُعَطَّرَةٍ
لَهَا مِنَ الخُلُقِ المَيْمُونِ عُنْوَانُ

★ ★ ★

سِتُّونَ عَامَاً وَمَا لاَنَتْ شَكِيمَتُهُ
وَلاَ اسْتَكَانَ، وَهَذَا العُودُ رَيَّانُ

عَطَاؤهُ مِنْ ثَنَايَا القَلْبِ يُفْرِغُهُ
وَجُودُهُ الصِّدْقُ إِيفَاءٌ وَإِحْسَانُ

أَوْقَدْتَ مَعْرَكَةً لِلْحَقِّ صَابِرَةً
تَقُودُهَا، وَيُنِيرُ الدَّرْبَ قُرْآنُ

دَوَّى الأَذَانُ مِنَ الأَقْصَى وَرَدَّدَهُ
مِنَ الكَتَائِبِ عُبَّادٌ وَفُرْسَانُ

وَأَقْبَلَتْ مِنْ جِبَالِ النَّارِ زَاخِرَةً
كَتَائِبٌ وَرَصَاصُ المَوْتِ أَلْحَانُ

وَالشَّاطِئُ الأَزْرَقُ الغَافِي اسْتَحَالَ إِلى
مَوْجٍ، كَأَنَّ عَظِيمَ المَوْجِ بُنْيَانُ

كَأَنَّمَا اللَّيْلُ أَلْقَى فَوْقَهُ قِطَعاً
أَوِ احْتَوَى جَوْفَهُ نَارٌ وَبُرْكَانُ

رُبَى الجَلِيلِ أَضَاءَتْ مِنْ مَشَارِفِهَا
دَرْبَ الجِهَادِ وَشَقَّ الدَّرْبَ فِتْيَانُ

وَغَزَّة! أَطْلَقَتْ أُنْشُودَةً وَمَضَتْ
يَهُزُّ شُطْآنَهَا صِيدٌ وَمُرَّانُ

كَمْ أَطْلَقَ البَطَلُ القَسَّامُ غَضْبَتَهُ
وَزَمْجَرَتْ دُونَهُ بِيدٌ وَكُثْبَانُ

رَدَّ الحُسَيْنِيُّ وَجْهَ الكُفْرِ مُنْدَحِراً
يَجُرُّهُمْ مِنْ نَوَاصِي الذُّلِّ خُسْرَانُ

وَضَمَّخَ الأَرْضَ مِنْ عِطْرِ الدِّمَا أَرَجٌ
وَزَيَّنَ الأَرْضَ يَاقُوتٌ وَعِقْيَانُ

وَأَقْبَلَ النَّصْرُ خَفَّاقاً على أَمَلِ
يَحُوطُهُ مِنْ بَدِيعَ الدُّرِّ تِيجَانُ

حَتَّى أَتَتْ مِنْ سَوَادِ اللَّيْلِ دَاهِيَةٌ
وَأَطْبَقَتْ مِنْ دِيَارِ الغَرْبِ غِرْبَانُ

وَاسْتَنْفَرَتْ مِنْ عَوَادِي الشَّرِّ عُصْبَتَهَا
بَنُو الْيَهُودِ وَقَادَ الأَمْرَ طُغْيَانُ

وَزَيَّفَ الحَقَّ عَنْ إِشْرَاقِهِ دُوَلٌ
وَشَوَّهَتْهُ أَكَاذِيبُ وَبُهْتَانُ

وَهَانَ حَوْلَكَ مَنْ تَرْجُو مَعُونَتَهُ
وَغَابَ فِي ظُلْمَةِ الأَرْزَاءِ جِيرَانُ

وَقُمْتَ وَحْدَكَ تَدْعُو، لَا تَلِينُ وَلَا
يَرُدُّكَ الْيَأْسُ أَوْ يَثْنِيكَ خِذْلَانُ

وَأَقْوَتِ الدَّارُ لَا أَهْلٌ بِسَاحَتِهَا
وَلَا أَطَلَّتْ عَلَى وَادِيكِ أَفْنَانُ

تَجَرَّدَتْ مِنْ بَنِيهَا فَهِيَ خَاوِيَةٌ
كَمَا تَجَرَّدَ دُونَ الأَيْكِ أَغْصَانُ

مُصِيبَةٌ لَا يُحِيطُ الْقَلْبُ صُورَتَهَا
وَقَصَّرَتْ عَنْ مَدَى الأَرْزَاءِ أَذْهَانُ

★ ★ ★

يَا أَيُّهَا الجَسَدُ الثَّاوِي وَقَدْ سَكَنَتْ
مِنْكَ الجَوَارِحُ : هَلْ وَعْظٌ وَتِبْيَانُ

فَنُورُ وَجْهِكَ آيَاتٌ مُعَبِّرَةٌ
كَأَنَّهُ مِنْ بَهَاءِ النُّورِ يَقْظَانُ

يَكَادُ يَنْطِقُ مِنْكَ الثَّغْرُ حِكْمَتَهُ
كما تَعَوَّدَهَا شِيبٌ وَشُبَّانُ

يَكَادُ يَنْطِقُ وَالخِلَّانُ خَاشِعَةٌ
فَهَلْ وَعَتْ مِنْكَ مَا قَدْ قُلْتَ آذَانُ

نَصَحْتَ قَوْمَكَ أَنْ لَا يَشْتَرُوا عَرَضاً
وَقَدْ شَرَى مِنْهُمُ الأَرْوَاحَ رَحْمَانُ

لَا يَرْتَضِي الوَطَنُ الغَالِي مُسَاوَمَةً
وَلَا تَقُومُ عَلى التَّقْسِيمِ أَوْطَانُ

مَنْ يَقْسِمِ القَلْبَ تَجْرِي مِنْهُ أَوْرِدَةٌ
وَيَحْمِلُ الدَّمَ فِي الأَوْصَالِ شِرْيَانُ

* * *

وَاهاً فِلَسْطِينُ! تَدْمِيكِ الجِرَاحُ أَسىً
وَيَدْفَعُ الدَّمْعَ فِي العَيْنَيْنِ هِجْرَانُ

تَنَاوَشَتْهَا ذِئَابُ الحَيِّ عَاوِيَةً
وَأَطْبَقَتْ فَوْقَهَا رُخْمٌ وَعُقْبَانُ

رُبَى الخليل تُنَادِي وَهِيَ نَازِفَةٌ
وَالمِنْبَرُ الحُرُّ قَدْ نَاشَتْهُ نِيرانُ

وَصَعَّدَ الكَرْمِلُ المحْزُونُ صَرْخَتَهُ
وَرَدَّدَ الصَّرَخَاتِ الحُمْرَ «كَنْعَانُ»

نَادَتْ، وَقَدْ رَدَّدَ الأَصْدَاءَ أَوْدِيَةٌ،
أَبَا صَلَاحٍ! طَغَى زَيْفٌ وَعُدْوَانُ

تَكَادُ تَنْهَضُ كَي تَمضي لِمَعْرَكَةٍ
وَيَحْتَوِيكَ مِنَ السَّاحَاتِ مَيْدَانُ

مَا كُنْتَ تَتْرُكُ مَيْدَانَ القَنَا وَهَنَاً
لَكِنَّهُ قَدَرٌ يُمضِيهِ رَحْمَانُ

لَا يَسْتَعِيدُ حِمَى الأَوْطَانِ غَيْرُ هُدَىً
مِنَ الكِتَابِ وَعُبَّادٍ لَهُ دَانُوا

تَشَوَّقَتْ لِجِنَانِ الخُلْدِ أَنْفُسُهُمْ
فَأَرْعَدَتْ فِي البِطَاحِ الحُمْرِ فُرْسَانُ

١٩٧٤

خرج هذا اللاجىء من فلسطين سنة ١٩٤٨ وأخذ يتلمس المعاني التي غناها في طفولته وفي صباه وهو ينتقل في العالم العربي.

ومن بين الخيام والدماء أخذ ينظر للمستقبل ولطريق العودة . . .

عودة لاجئ

سَأَلْتَ مَنْ تُرَاهُ ذَاكَ الغَرِيبُ
مَنْ هُوَ الشَّاعِرُ الحَزِينُ الكَئِيبُ

وَمَنِ البُلْبُلُ الصَّدُوحُ الَّذِي قَصْـ
ـصَ جَنَاحَيْهِ صَاحِبٌ وَقَرِيبُ

يَنْقُلُ الخَطْوَ، يَبْعَثُ النَّغَمَ البَا
كِي، وَيَشْكُو جِرَاحَهُ وَيَنُوبُ

حَمَلَ الزَّهْرُ مِنْ مَدَامِعِهِ القَطْـ
ـرَ، وَمِنْ جُرْحِهِ خِضَابٌ وَطِيبُ

★ ★ ★

أَنَــا يَا أُخْــتُ ضَائِــعٌ لَسْــتُ أَدْرِي
أَيْنَ قَوْمِــي وَأَيَّ أَرْضٍ أَجُــوبُ

فِي ضُلُوعِــي أَسَــىً! وَفِي الــعَــيْنِ دَمْــعٌ
يَتَــنَــزَّى وَفِي الــفُــؤَادِ نُدُوبُ

وَعَــلى الــوَجْــهِ بَسْــمَــةٌ ظَلَّلَتْــهَــا
غَبْرَةُ المَــوْتِ وَاعْــتَرَاهَــا شُحُــوبُ

وَدَبِــيبُ الأَيَّامِ يَنْــزِعُ مِنِّي
نَفَــسَــاً خَافِــقَــاً وَرُوحَــاً يَغِــيبُ

حَيْثُــمَا مِلْتُ أَدْبَــرُوا وَأَشَــارُوا
بِيَدٍ وَانْــطَوَوا وَقَــالُــوا غَرِيبُ

لَاجِــىءٌ! أَطْــعِــمُــوهُ كِسْرَةَ خُبْــزٍ
وَدَعُــوهُ إِذَا بَدَا مَا يَرِيبُ

وَضَــعُــوهُ فِي خَيْمَــةٍ كُلَّما حَنْـ
ـنَ إِلى الــدَّارِ طَرْفُــهُ وَالــوَجِــيبُ

وَاتْــرُكُــوهُ إِلى الــوَكَــالَــةِ يَغْــذُو
شَفَــتَــيْهِ لِبَــانُهَا وَالحَــلِيبُ

كُلَّما أَقْبَلَتْ ضُلُوعِيَ بالحُبْـ
ـبِ أَشَاحَتْ وجُوهُهُمْ وَالقُلوبُ

أَنَا يَا أُخْتُ غَيْرُ مَا كُنْتُ بِالأَمْـ
ـسِ فَلِلأَمْسِ مِنْ صِبَانَا نَصِيبُ

وَأَمَانٍ على جَنَاحَيْ شَبابِي
وَظِلالُ الصِّبا وَعُودٌ رَطِيبُ

ظَلَّلَتْنِي مَرَابِعٌ وَسَقَتْنِي
حَانِيَاتٌ مِنَ السُّفُوحِ تَطِيبُ

سَكَبَتْ فِي دَمِي العَقِيدَةَ وَالدِّيـ
ـنَ فَطَابَ الهوى وَطَابَ النَّسِيبُ

طَلْعَةُ النُّورِ عَلَّمَتْنِي مَعَانِيْـ
ـهِ وَحَقْلٌ وَمَشْرِقٌ وَغُرُوبُ

خُضْرَةُ الوَادِ، أَمْ جَدَاوِلُهُ الزُّرْ
قُ، أَمِ الزَّهْرُ مُورِقٌ وَسَلِيبُ

حَيْثُمَا مِلْتُ طَالَعَتْنِيَ آيا
تٌ فَآبَتْ بَصَائِرٌ وَقُلُوبُ

★ ★ ★

كانَ في غَفْـوَةِ الـطُّفُـولَـةِ لي دا
رٌ وَسَـفْـحٌ وَكَـرْمَـةٌ وَقَـرِيبُ

كانَ لي زَهْـرَةٌ يَفُـوحُ شَذَاهَـا
وَبِـسَـاطٌ مُنَـمَّـقٌ وَعَـشِـيبُ

كانَ لي بُلْبُـلٌ يُغَـنِّي على الـغُـصْـ
ـنِ وَيَنْـأَى عَنْ عُشِّـهِ وَيَؤُوبُ

كَمْ حَلا شَدْوُهُ فَغَـنَّـتْ دِمَـشْـقٌ
وَسَـعَـتْ مِصْرُ كُلَّمَا فَاحَ طِيبُ

كَمْ زَكَـا رَوْضُـهَـا فَأَقْـبَـلَ مِنْ دِجْـ
ـلَةَ شَادٍ وَسَـامِـرٌ وَنَـجِـيبُ

وَحَـنَـا ظِلُّهَـا فَمَالَـتْ إِلَـيْهِ
وَاسْـتَـحَـنَّـتْ مِنَ الهَـوَاجِـرِ نِيبُ

وَسَـعَـى مَرْجٌ عَامِـرٌ يَتَـثَـنَّـى
ضَمَّـهُ شَاهِـقٌ وَوَادٍ خَصِـيبُ

جَمَعَـتْـهُـمْ رِحَـابُ أَحْمَـدَ في الأَقْـ
ـصَـى فَخَـفَّـتْ رِجَـالُهُـمْ وَالـرُّكُـوبُ

★ ★ ★

كُنْتُ في غفْوَةٍ فلَمّا صَحَا الجفْـ
ـنُ بكَى! أيْنَ مَلْعَبي وَالدُّرُوبُ

أيْنَ رَوْضِي وَأَيْنَ وَادٍ ظَلِيلٌ
ضَمَّنَا! أيْنَ ماؤُهُ المَسْكُوبُ

لَمْ أَجِدْ غيْرَ خَيْمَةٍ في ثَنَايَا
هَا رَضِيعٌ وَنِسْوَةٌ وَالشِّيبُ

وَشَبَابٌ! بَقِيَّةٌ مِنْ شَبَابٍ
يَتَلوَّى وَجُرْحُهُ المَخْضُوبُ

نَزَّ مِنْهَا النَّجِيعُ طِيباً كما نَزْ
زَ مِنَ الوَرْدِ عِطْرُهُ المَحْبُوبُ

خِيَمٌ تَنْبُتُ الأمَانِيُّ فِيهَا
وَيَضُمُّ الوَلِيدَ صَدْرٌ حَدُوبُ

★ ★ ★

كُنْتُ في غفْوَةٍ فَلَمّا صَحَا القَلْـ
ـبُ دَعَا! أيْنَ مُصْرِخٌ أوْ مُجِيبُ

أيْنَ قَوْمِي! وَضَاعَ صَوْتي كَأَنْ لَمْ
يَكُ في الدَّارِ صَاحِبٌ أوْ عَرِيبُ[1]

---

(١) أي ليس فيها أحد

شَغَلَتْهُمْ لَعَاعَةٌ وَرَمَاهُمْ
شَرَرٌ وَاسْتَحَرَّ فِيهِمْ لهِيبُ

بَدَّلُوا مِنْ هَوَاهُمُ فَاسْتَدَارَتْ
بَيْنَ أَحْنَائِهِمْ قَنَاً وَكُعُوبُ

أَسْلَمَتْهُمْ إِلَى الضَّلَالَةِ أَوْثَا
نٌ فَهَاجَتْ نَوَائِبٌ وَكُرُوبُ

نَحَرُوا دُونَهَا «الأَمَانَةَ» قُرْبَا
نَاً فَسَالَتْ أَنْصَابُهَا وَالدُّرُوبُ

* * *

وَتَلَفَّتُّ... أين غابت أناشيـ
ـدُ صِبَانَا ولحنُها المَشْبُوبُ

أين أُنْشُودَةٌ عَنِ العُرْبِ هَزَّتْ
مِنْ رُبَانَا وَهَزَّنَا التَّشْبِيبُ

وَتَلَاشَتْ... وغَابَ مِنْهَا صَدَاهَا
وَطَوَاهَا مِنَ الطُّلُولِ جَدِيبُ

لَمْ أَجِدْ غَيْرَ خَيْمَةٍ تَتَلَوَّى
مَزَّقَتْهَا الرِّيَاحُ وَالشُّؤْبُوبُ

* * *

وَتَطَلَّعَتْ وَالخِيَامُ حَيَارَى
وَالجِرَاحَاتُ حَوْلَهَا وَالنُّدُوبُ

فَإِذَا بِالنِّدَاءِ صَلْصَلَةُ الحَقْـ
ـقِ وَأُنْشُودَةٌ وَلَحْنٌ حَبِيبُ

مِنْ رُبَى مَكَّةٍ يُرَجِّعُهُ الأُفْـ
ـقُ فَتَبْتَلُّ مِنْ نَدَاهُ القُلُوبُ

رَفَعَتْهُ مَآذِنٌ وَأَطَلَّتْ
بِهُدَاهُ مَشَارِفٌ وَسُهُوبُ

وَتَعَالَتْ اللَّهُ أَكْبَرُ يَأْوِي
لِحِمَاهَا مُضَيَّعٌ وَسَرُوبُ

وَحَنَا ظِلُّهَا عَلَيْنَا فَآوَا
نَا وَأَرْخَى مِنَ الشَّذَا مَا يَطِيبُ

يَقْرَعُ القَلْبُ كُلَّمَا مَالَ بِالقَلْـ
ـبِ هَوَاهُ وَأَغْلَقَتْهُ الذُّنُوبُ

دَعْوَةٌ لَمْ تَزَلْ تُقَارِعُ وَالأَيْـ
ـيَامُ فِي النَّاسِ دُوْلَةٌ وَنَصِيبُ

سُنَّــةُ الــلَّهِ غَيْرَ أَنَّ لِجُنْـدِ الـلَّـ
ـهِ وَعْـدَاً مُصَـدَّقَـاً لاَ يَرِيبُ

مَعْـرَكٌ تَرْفُـدُ المَـلاَئِـكُ فِيهِ
خَاطِـرَاتٍ طِعَـانُهَا لاَ يَخِيبُ

مِنْ ذُرَى الـصِّـينِ صَيْحَـةٌ وَمِـنَ الهِـنْـ
ـدِ نِدَاءٌ مَعَ الـدِّمَـاءِ مَشُـوبُ

وَمِـنَ الـنِّـيلِ أَنَّـةٌ وَمِـنَ الـشَّـا
مِ جِرَاحٌ وَغَـصَّـةٌ وَكُـرُوبُ

وَمِـنَ المَـغْـرِبِ المُـنَـوَّرِ بالـزَّهْـ
ـرِ رَوَابٍ مَصْـبُـوغَـةٌ وَكَـثِـيبُ

سَاحَـةُ الحَـقِّ! كُلُّ حَبَّـةِ رَمْـلٍ
مِنْ دِمَـانَـا مِسْـكٌ يَفُـوحُ وَطِـيبُ

هَذِهِ يَا أُخَـيَّةُ الـيَوْمَ دَارِي
دَارَ فِيهَـا الـقَـنَـا وَجُـنَّ الـقَـضِـيبُ

جَمَعَـتْـنَـا عَقِـيدَةٌ يَرْجِـعُ الـدَّهْـ
ـرُ صَدَاهَـا وَجَمَّـعَـتْـنَـا خُطُوبُ

هَذِهِ دَارُنَا نَفِيءُ إِلَيْهَا
وَفِلَسْطِينُ رَوْضُهَا وَالشُّبُوبُ

جَمَعَتْ فِي رِحَابِهَا قَبَسَ الوَحْـ
ـيِ فَشَعَّتْ نُجودُهَا وَالشُّهُوبُ

فَمِنَ الصِّدْقِ أَنْ نُغَنِّي هَوَاهَا
وَمِنَ الحَقِّ أَنْ تَرِفَّ القُلُوبُ

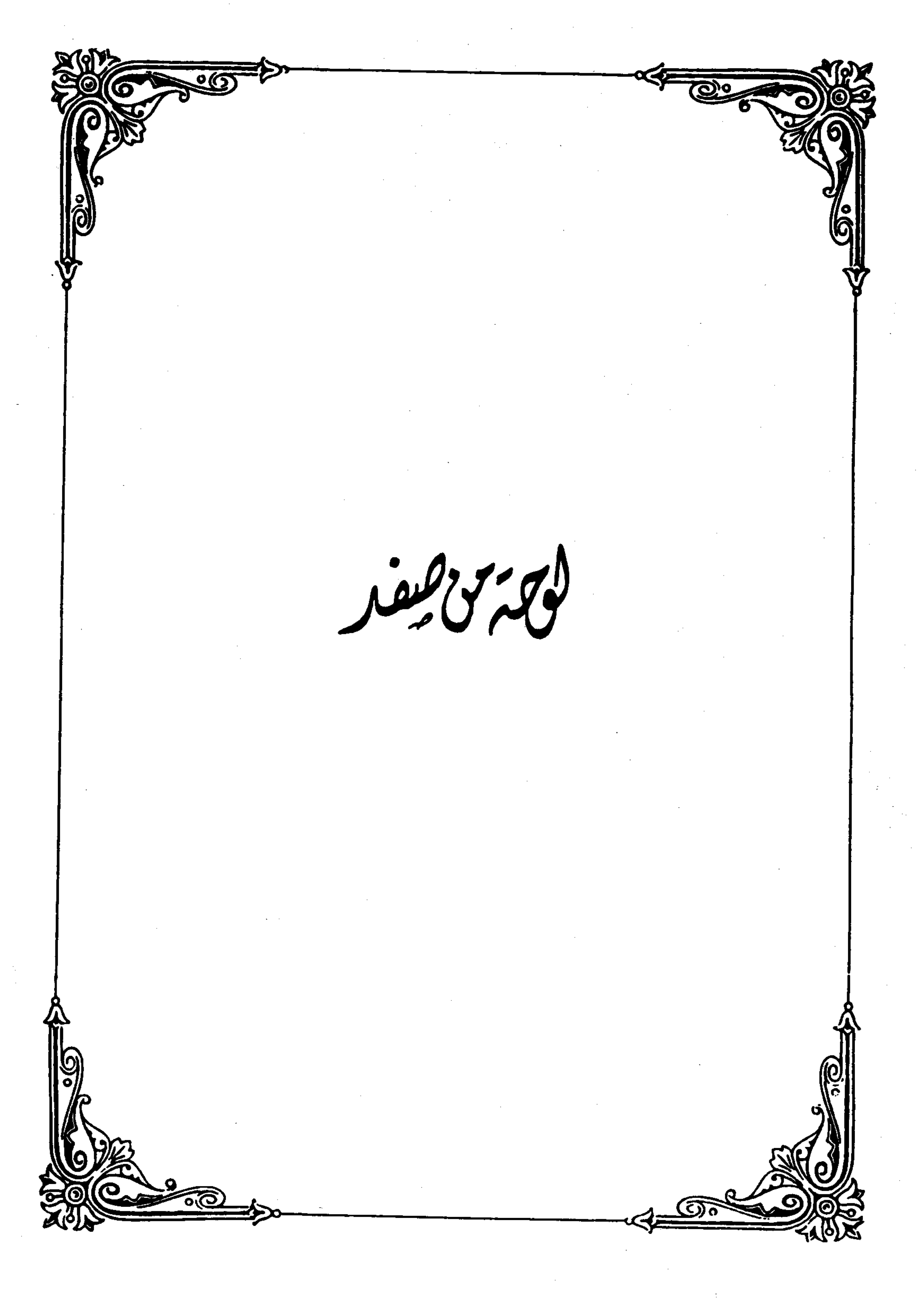
وَجُنُودُ الرَّحْمٰنِ يُبْرِقُ مِنْهَا
خَاطِفٌ مُلْهِبٌ وَنَصْرٌ قَرِيبُ

١٩٧٤

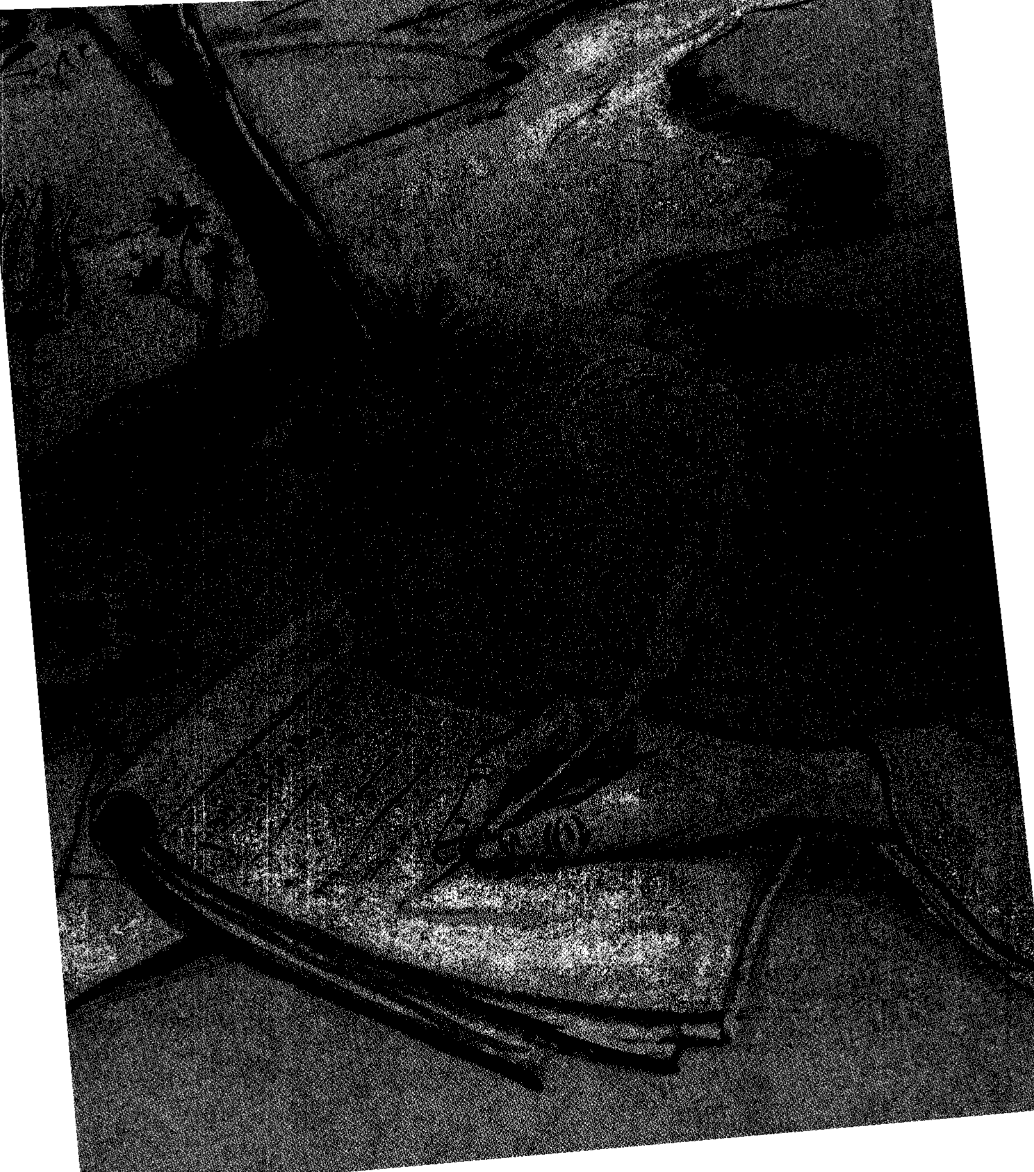
★ ★ ★

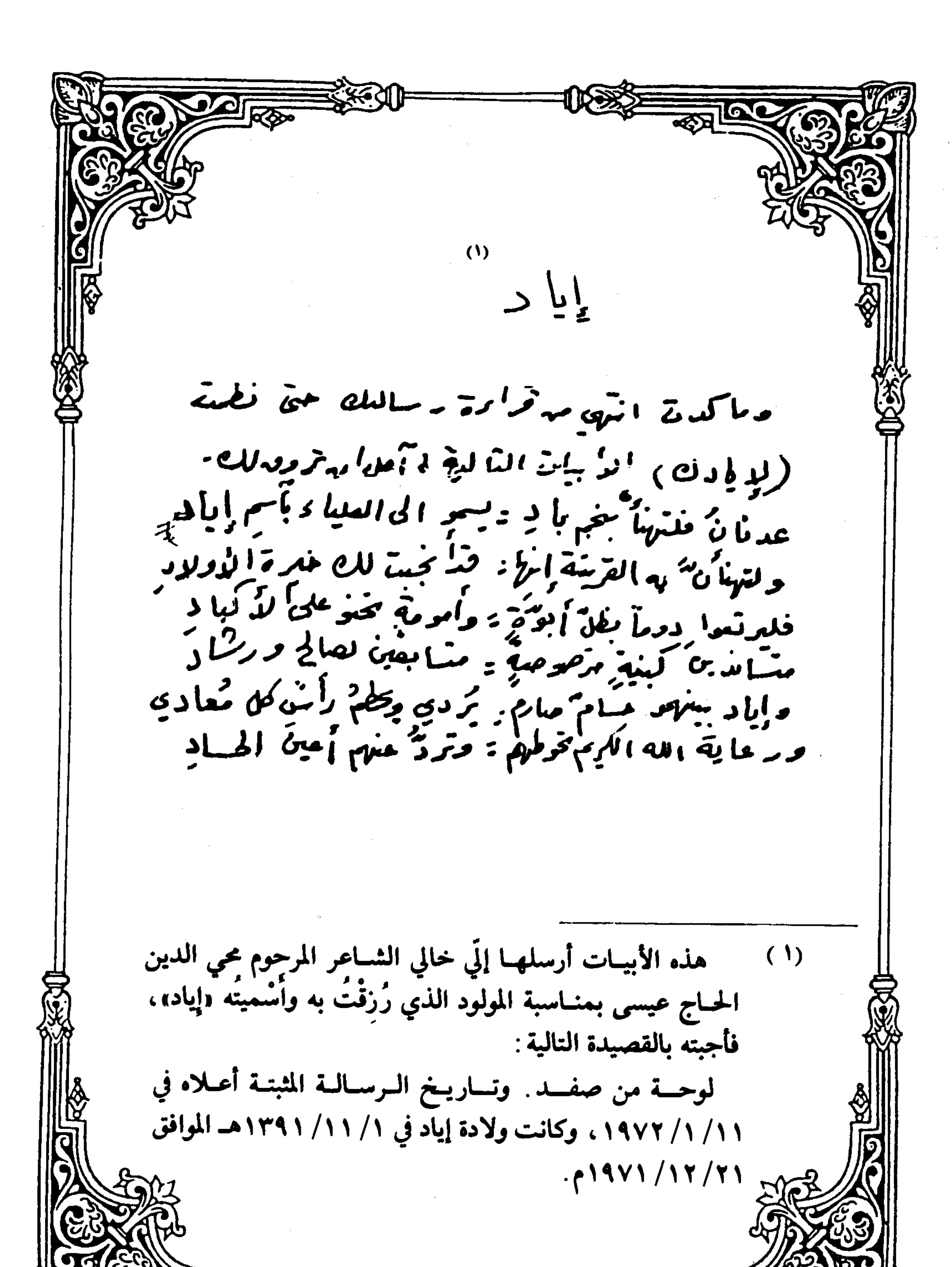






لوحة من صفد





إياد [1]

وما كدت انتهي من قراءة رسالتك حتى نظمت (للإياد) الأبيات التالية لم أعدلها بروية لك.

عدنانُ فلتهنأ بنجمٍ بادِ ... يسمو إلى العلياء باسم إيادِ

ولتهنأنَّ به القرينة إنها ... قد أنجبت لك خيرة الأولادِ

فليرتعوا دوماً بظل أبوّةٍ ... وأمومةٍ تحنو على الأكبادِ

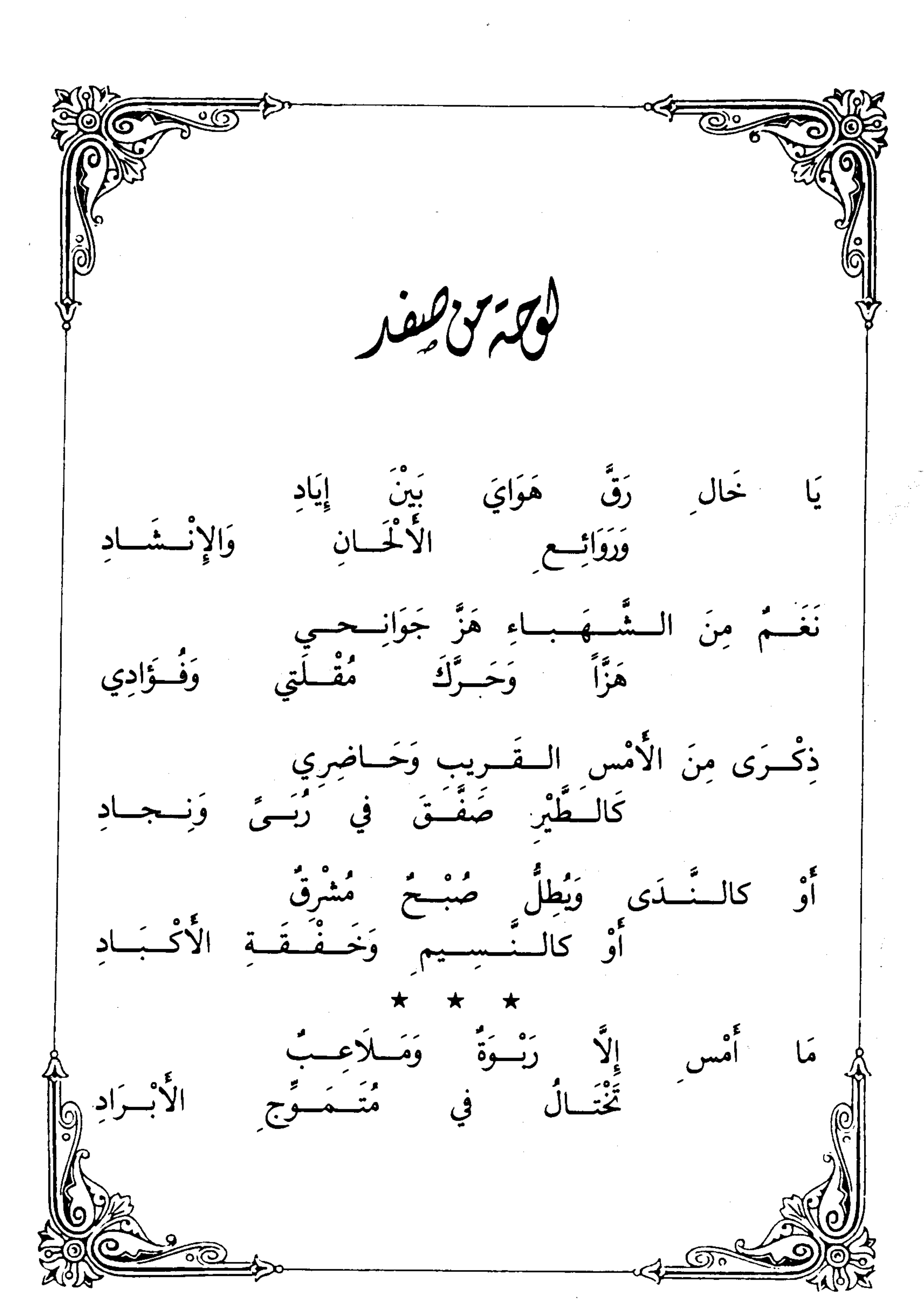
متساندين كبنيةٍ مرصوصةٍ ... متسابقين لصالحٍ ورشادِ

وإياد بينهم حسامٌ صارمٌ ... يُردي ويحطمُ رأسَ كل مُعادي

ورعاية الله الكريم تحوطهم ... وتردُّ عنهم أعينَ الحسادِ

(1) هذه الأبيات أرسلها إلي خالي الشاعر المرحوم محي الدين الحاج عيسى بمناسبة المولود الذي رُزقتُ به وأسميتُه «إياد»، فأجبته بالقصيدة التالية:

لوحة من صفد. وتاريخ الرسالة المثبتة أعلاه في ١١/ ١/ ١٩٧٢، وكانت ولادة إياد في ١/ ١١/ ١٣٩١هـ الموافق ٢١/ ١٢/ ١٩٧١م.



لوحة من صفد

يَا خَالِ رَقَّ هَوَايَ بَيْنَ إِيَادِ
وَرَوَائِـعِ الأَلْحَـانِ وَالإِنْـشَـادِ

نَغَـمٌ مِنَ الـشَّـهَـبَـاءِ هَزَّ جَوَانِـحِـي
هَزًّا وَحَـرَّكَ مُقْـلَتِي وَفُـؤَادِي

ذِكْـرَى مِنَ الأَمْسِ الـقَـرِيبِ وَحَـاضِرِي
كَالـطَّيْرِ صَفَّـقَ فِي رُبَـىً وَنِـجَـادِ

أَوْ كَالـنَّـدَى وَيُطِلُّ صُبْـحٌ مُشْرِقٌ
أَوْ كَالـنَّـسِـيمِ وَخَـفْـقَـةِ الأَكْـبَـادِ

★ ★ ★

مَا أَمْسِ إِلَّا رَبْـوَةٌ وَمَـلَاعِـبٌ
تَخْتَـالُ فِي مُتَـمَـوِّجِ الأَبْـرَادِ

يَغْفُو على «كَنْعَانَ»[1] حُلْمُ صَبَابَتِي
كالطِّفْلِ في أُرْجُوحَةٍ وَتَهَادِي

يَصْحُو على البَرْقُوقِ[2] في جَنَبَاتِهِ
فَيَلُمُّهُ وَيَلُمُّ بَعْضَ الزَّادِ

مِنْ عُشْبَةٍ خَضْرَاءَ تُلْقِي دُونَهُ
بُسُطاً مُنَمَّقَةً وَطِيبَ وِسَادِ

«العِلْتُ»[3] «وَالعَكُّوبُ» بَيْنَ صُخُورِهِ
وَالزَّهْرُ بَيْنَ تِلَاعِهِ وَوِهَادِ

وَالتِّينُ وَالزَّيْتُونُ تَحْتَ ظِلَالِهِ
نَغْدُو وَنَمْرَحُ في هَنَاءٍ بَادِي

وَعلى غُصُونِ التُّوتِ نَبْنِي عُشَّنَا
وَنُعِيدُ زَقْزَقَةَ الهَزَارِ الشَّادِي

---

(١) كنعان: جبل يطل على جبال سوريا ولبنان والأردن، ويشرف على سهل الحولة وبحيرة الحولة وبحيرة طبريا.

(٢) البرقُوق: زهر أحمر.

(٣) العلت والعكوب: نباتان يستخدمان للطبخ والطعام مشهوران في صفد.

يَا زَهْرَةَ اللَّوْزِ الشَّهِيِّ وَطَلْعَةَ النْـ
ـنُورِ البَهِيِّ وَغَرْسَةَ الأَجْدَادِ

يَا غَرْسَةَ العِنَّابِ مَدَّتْ كَفَّهَا الـ
ـمَخْضُوبَ مِنْ فَرْعٍ لَهَا مَيَّادِ

كَالغَادَةِ الحَسْنَاءِ خَلْفَ خِبَائِهَا
دَفَعَتْ بَنَاناً لِلْمُحِبِّ الصَّادِي

يَا أُمْسِيَاتٍ فِي «الرُّجُوم»[1] كَأَنَّهَا
عِطْرُ الشَّبَابِ وَبَهْجَةُ الأَعْيَادِ

وَ«البَحْرَةُ الزَّرْقَاءُ»[2] دُونَ شِعَابِهِ
نَزَلَتْ فَأَنْزَلَهَا سَوَادَ فُؤَادِ

نَهَدَتْ بِجَنْبَيْهَا الرُّبَى وَتَوَثَّبَتْ
نَهْدَيْنِ مُضْطَرِبَيْنِ فَوْقَ مِهَادِ

أَهْدَى لَهَا اللَّيْلُ الشَّجِيُّ غِلاَلَةً
سَمْرَاءَ تَخْفُقُ فِي ظِلاَلِ سَوَادِ

---

(١) الرجوم: مكان تقوم فيه نزهة الشباب وقريباً منه احتفالات الأعياد. ويطل على بحيرة طبريا

(٢) البحرة الزرقاء: بحيرة طبريا.

وشَّتْ حَوَاشِيَهَا النُّجُومُ لآلِئاً
تَطْوِي وَتَنْشُرُ مِنْ بَرِيقٍ هَادِي

حَتَّى أَزَاحَ اللَّيْلَ صَبٌّ وَانْثَنَى
يَنْسَابُ مِنْهُ نُورُهُ الْمُتَهَادِي

نَزَعَ الغِلالَةَ وَاسْتَقَرَّ بِصَدْرِهَا
وَهْجٌ يُبَدِّلُ وَجْدَهُ بِوِدَادِ

وَالبَدْرُ بَيْنَ النَّاهِدَيْنِ كَمَاسَةٍ
مَوْصُولَةٍ فِي جِيدِهَا بِقِلادِ

★ ★ ★

وَالجَدْوَلُ الرَّقْرَاقُ وَالرُّمَانُ وَالْـ
ـكَرْمُ النَّدِيُّ على ضِفَافِ الوَادِي

تَخْتَالُ فِي أَعْطَافِهِ الغَادَاتُ وَالْـ
أَنْسَامُ بَيْنَ رَوَائِحٍ وَغَوَادِي

وَالطَّيْرُ بَيْنَ غُصُونِهِ أُنْشُودَةٌ
وَالمَاءُ رَجَّعَ خَفْقَةَ الأَعْوَادِ

★ ★ ★

أَيْنَ «الصَّوَاوِينُ» الَّتِي أَلْقَيْتُ فِي
سَاحَاتِهَا كَرَّاسَتِي وَعَتَادِي

مَعْ صِبْيَةٍ أَرْخَى الزَّمَانُ عِنَانَهُ
لَهُمُو فَضَجُّوا في رَكَائِبِ حَادِي

وَعَلَى مَدَارِجِهَا جَلَسْنَا صِبْيَةً
نُمْلِي الْحُرُوفَ بِرِيشَةٍ وَمِدَادِ

وَبِلَثْغَةٍ نَشْوَى وَسِحْرِ بَشَاشَةٍ
كالنُّورِ بَيْنَ شَقَائِقِ الأَنْجَادِ

ضَاقَتْ بِنَا حُجَرُ الدُّرُوسِ وَصَفَّقَتْ
عِنْدَ السَّرَاحِ مَلاَعِبٌ وَنَوَادِي

عُلِّمْتُ فِيهَا الحَرْفَ آياً مُحْكَماً
فَمَلَكْتُ مِنْ رَحْلِي زِمَامَ قِيَادِي

★ ★ ★

أَيْنَ المَنَازِلُ رَدَّدَتْ في سَاحِهَا
بِيضُ الحَمَائِمِ أُغْنِيَاتِ بِلاَدِي

أَيْنَ العَصَافِيرُ الَّتِي نَزَلَتْ بِهَا
عُشّاً لِتَأْمَنَ طَلْقَةَ الصَّيَّادِ

وَالْحَبُّ مَنْثُورٌ عَلى أَعْطَافِهَا
وَالزَّهْرُ فَوَّاحُ الشَّذَا مُتَهَادِي

★ ★ ★

يَا مَنْقَلاً لِلنَّارِ حَلَّقَ حَوْلَهُ
أَهْلِي وَمَدُّوا فَوْقَهُ بِأَيَادِي

يُعْطِيكَ مِنْ خَلَلِ الرَّمَادِ عَطَاءَهُ
كالشَّمْسِ يَحْجُبُهَا سَحَابٌ غَادِي

وَالرَّكْوَةُ الصَّفْرَاءُ مِنْ أَنْفَاسِهَا
سَمَرُ الخَلِيِّ وَنَشْوَةُ السُّهَّادِ

يَنْسَابُ مِنْ رَشَفَاتِهِ الفِنْجَانُ في
أُقْصُوصَةِ السُّمَّارِ وَالعُوَّادِ

★ ★ ★

صَفَدُ! عروسَ الدَّهْرِ! دُونَكِ فَانْظُرِي
هَذِي وُفُودُ حَوَاضِرٍ وَبَوَادِي

تَسْعَى إِلَيْكِ من الشآم شَوَامِخٌ
وَجِبَالُ لُبْنَانٍ عَلى مِيْعَادِ

وَالسَّهْلُ وَالنَّهْرُ البَدِيعِ وَخُضْرَةٌ
أَلْقَتْ كَأَسْوِرَةٍ لَهَا بِزِنَادِ

وَالجَرْمَقُ الخَفَّاقُ لُؤْلُؤَةٌ على
تَاجٍ وَدُرَّةِ قَدِّكِ المَيَّادِ

يَا خَفْقَةَ الأَبْنَاءِ! يَا دَمْعَ الحَيَا
يَا مُهْجَةَ الآبَاءِ وَالأَحْفَادِ

صَفَدٌ! وأَنْتِ مَعَ العُلاَ في مَوْعِدٍ
مَوْصُولَةُ الأَمْجَادِ بالأَمْجَادِ

★ ★ ★

تَتَلَفَّتِينَ وَبَيْنَ عَيْنَيْكِ الهَوى
لِمَرَابِعٍ مَمْدُودَةٍ وَوِهَادِ

فَالْقِي دِيَارَ الشَّامِ عِطْفَةَ جِيدِهَا
نُعْمَى السَّمَاءِ وَلَفْتَةَ الآبَادِ

فَرُبَى الخَلِيلِ يُطِلُّ في جَنَبَاتِهَا
وَحْيٌ يُوَشِّيهَا وَرُوحٌ هَادِي

أَهْدَى لَهَا الرَّحْمٰنُ طِيبَ خَلِيلِهِ
نَفْحَ الحَنِيفَةِ عَاطِرَ الإِمْدَادِ

وَالمَسْجِدُ الأَقْصَى عَلَى سَاحَاتِهِ
وُلِدَ الزَّمَانُ فَعَزَّ بِالْمِيلاَدِ

جُمِعَتْ بِسَاحَتِهِ النُّبُوَّةُ وَالتَقَتْ
بِالْغَيْبِ فِيهِ مَعَالِمُ الأَشْهَادِ

أَلْــقَــتْ لأَحْــمَــدَ بالإِمَــامَــةِ فَارْتَــقَــى
سَبْــعــاً بِوَمْــضَــةِ بَارِقٍ صَعَّــادِ

فَإِذَا رُبَــاكِ جَمِيعُــهَــا مَجْلُوَّةٌ
بِالــنُّــورِ في عُرْسٍ وَفي أَعْــيَادِ

أَهْــدِيتِ للإِسْــلَام مُلْكــاً خَالِــصَــاً
يَلْقَــاكِ في بِشْرٍ وَفي إِسْــعَــادِ

مَنْ ذَا يُنَــازِعُــهُ وَمَــهْــرُكِ في الــوَرَى
غَالٍ وَدُونَــكِ حَوْمَــةُ الآسَــادِ

تَسْــعَــى إِلَــيْكِ على الــزَّمَــانِ كَتَــائِــبٌ
نَفَــحَــتْ على عِطْفَــيْكِ عِطْرَ جِهَــادِ

وَفَــوَارِس لَمَعَ الــقَــنَــا بِيَمِــينِهَــا
فَانْــشَــقَّ لَيْلُكِ عَنْ جَمَالٍ بَادِي

فَجُــنُــودُ أَحْــمَــدَ أَرْعَــدَتْ عَطَّافَــةً
تَخْتَــالُ بَيْنَ طَوَارِفٍ وَتِــلَادِ

وَتَــصُــوغُ مِنْ مُهَــجَــاتِهَــا لَكِ خَاتَمــاً
مَهْــرَ الهَــوَى وَقَــلَائِــدَ الأَجْــيَادِ

رَصَّعْتِهَا بِدَمِ الشَّهِيدِ لآلِئاً
فَتَوَهَّجَتْ في لَيْلِكِ الوَقَّادِ

دَفَعَتْ على كَفَّيْكِ أَغْلَى جَوْهَرٍ
فَنَثَرْتِهِ في زَاهِرِ الأَبْرَادِ

وَعَلى جَبِينِكِ مِنْ أَسَاكِ مُلاَءَةٌ
فَرَفَعْتِهَا لِلْفَارِسِ الرَّعَادِ

وَتَعَطَّرَتْ دُنْيَا المُرُوءاتِ الَّتي
أَغْنَيْتِهَا بِمَكَارِمٍ وَأَيَادِ

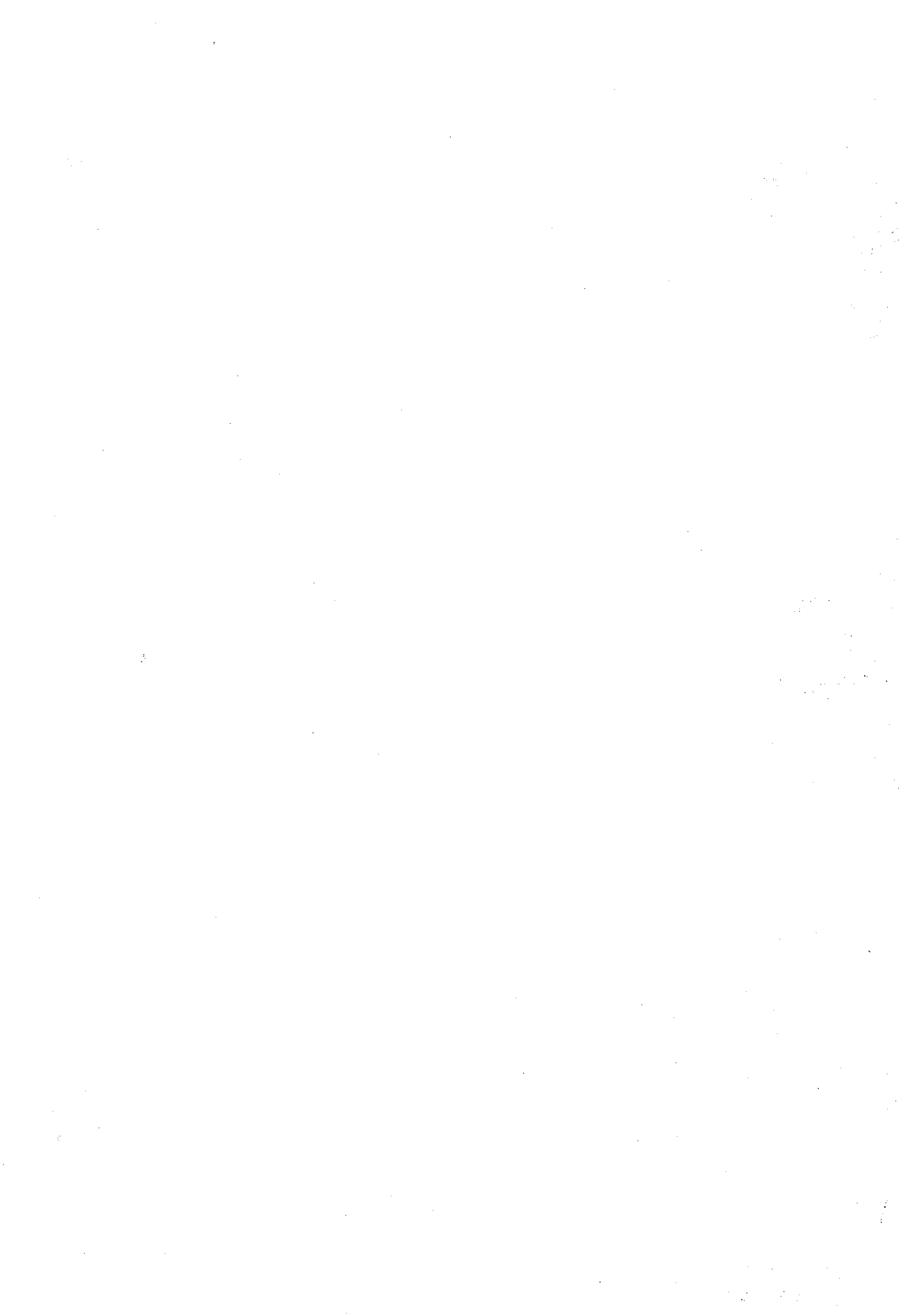
لِتَرُدَّ عَنْكِ أَذى العُدَاةِ وَتَجْتَلي
مِنْ نَاظِرَيْكِ رِضَىً وصِدْقَ وِدَادِ

وَتَرُدَّ مِنْ دَنسِ اليَهُودِ وَتَغْتَلي
بِالطُّهْرِ وَالإِيمَانِ أَيَّ نِجَادِ

وَتَعُودُ آيَاتُ الكِتَابِ وَنُورُهَا
أَلَقَ الرُّبَى وَنَضَارَةَ العُبَّادِ

١٣٩٢هـ.
١٠/٢/١٩٧٢م.

★ ★ ★



كلمات قليلة إلى هذه الأمـة التي تمزقت كيف تتـآخى وتلتقي...... عقيدة وجهاد، سواعد وقلوب.

سواعد وقلوب

يَا أَخِـي هَذِهِ يَدِي وَعُـهُـودِي
جَمَعَـتْـنَـا عَقِـيدَةٌ وَدُرُوبُ

لَا تَذَرْنِي على الـطَّرِيقِ وَحِـيدَاً
فَكِـلَانَـا، إذا فَعَـلْتَ، غَرِيبُ

قُمْ لِنَـبْـنِي أَمْجَـادَنَـا عَزَمَـاتٍ
صَادِقَـاتٍ وَهِمَّـةً لَا تَخِيبُ

يُمْـسِـكُ الـعُـرْوَةَ الـوَثِـيقَـةَ إِيْمَا
نٌ وَوَحْـيٌ مِنَ الجِـهَـادِ نَجِـيبُ

حَفِظَ الـلَّهُ أُمَّـةً تَتَـآخَـى
مِنْ بَنِـيهَـا سَوَاعِـدٌ وَقُـلُوبُ

١٩٦٦



أخي [1]

أخِـي! لاَ تُبَـالِ إذا مَا افْـتَرَقْـنَـا
سَيَجْـمَـعُ مِنْ أَمْـرِنَـا الـرَّائِـدُ

فَلَسْـنَـا على الـبُـعْـدِ إلاَّ جَنَـاحَيْـ
ـنِ مُدًّا وَخَـفْـقُـهُـمَا وَاحِـدُ

يَمُـدُّ الـلَّيَالي بِنُـورِ الْهُـدى
إذَا جَالَ فِيهَـا الـفَـتَـى المَـاجِـدُ

وَيَمْضِي سَنَـا بَرْقِـهِ خَاطِـفـاً
لِيَرْتَـاعَ مِنْ بَرْقِـهِ الحَـاقِـدُ

★ ★ ★

أخِـي! لاَ تُبَـالِ إذَا مَا افْـتَرَقْـنَـا
هُنَـاكَ سَنَـلْقَـى الـرِّضـا وَالحَـنَـانْ

---

(١) ألقيت في ندوة شعرية في رابطة الطلاب الفلسطينين في القاهرة.

عَلى أُفُقٍ مُشْرِقٍ بالدِّمَا
وَفَجْرٍ عَقَدْنَا عَلَيْهِ السِّنَانْ

فَتَزْكُو الرَّوَابي بأَنْفَاسِهِ
وَتُزْهِرُ تَحْتَ نَدَاهُ الجِنَانْ

وَتَحْلُو هُنَالِكَ أُنْشُودَةٌ
تُرَجِّعُ خَفْقَ القَنا وَالطِّعَانْ

★ ★ ★

أَخِي! إنْ عَدَا الظُّلْمُ في دَرْبِنَا
هُنَالِكَ مَيْدَانُنَا الأَوْسَعُ

لَنَا عُرْوَةٌ لا انْفِصَامَ لَها
وَحَبْلٌ مِنَ الله لا يُقْطَعُ

فَصَبْرُكَ دُنْيَا أَزَاهِيرُهَا
أَنِينُكَ والشَّوْقُ وَالأَدْمُعُ

وَصَبْرُكَ دُنْيَا تَنَفَّسُ عَنْهُ
ضُلُوعٌ وَتَنْشُرُهُ الأَرْبُعُ

★ ★ ★

أخِي! لَا تُبَالِ فَهَذِي القُلُوبُ
وَهَذِي السَّوَاعِدُ ثَارَتْ مَعَكْ

فَلَا ظُلْمَةَ السِّجْنِ تَخْشَى وَلا
جُنُونَ اَلسِّيَاطِ بَرَى أَضْلُعَكْ

وَلا الْقَيْدَ حَطَّمَهُ كِبْرِيَا
ؤُكَ! قَطَّعْتَهُ دُونَ أَنْ يَقْطَعَكْ

وَجَلَّادُكَ الْوَحْشُ أَذْلَلْتَهُ
وَقَدْ كَانَ يَبْغِي هُنَا مَصْرَعَكْ

★ ★ ★

أَخِي! كم طَليقٍ، حَبيس الدَّنَايَا
وَعَبْدٍ تَلَبَّسَ أَثْوَابَ حُرّ

وَكَمْ مِنْ سَجِينٍ بِإِشْرَاقِهِ
غَدَتْ ظُلْمَةُ آلسِّجْنِ إِشْرَاقَ فَجْرِ

فَقُلْ لِلْعُتَاةِ وَأَحْشَادِهِمْ
وَمَنْ أَعْمَلَ آلسَّوْطَ فِي كُلِّ ظَهْرِ

تَنَالُونَ أَضْلُعِي آلْبَالِيَاتِ
وَأَحْيَا بِإِيمَانِي الْمُسْتَقِرِّ

★ ★ ★

أَخِي! فَرَّقَتْنَا يَدُ الْمُعْتَدِينَ
وَجَمَّعَنَا الحقُّ، وَالحَقُّ أَقْدَرْ

غداً نَلْتَـقِـي فِي فِلَسْـطِينَ أَوْ في الـ
ـجَـزَائِـرِ جُنْـدَ ٱلْـسَّـلَامِ ٱلْمُـؤَزَّرْ

يُدَوِّي هُنَـالِـكَ صَوْتُ الـدُّعَـاةِ
يُرَدِّدُهُ الـكَـوْنُ : الـلَّهُ أَكْـبَرْ

هُنَـالِـكَ زُلْـزِلَ جَمْعُ الـطُّغَـاةِ
وَرُوِّعَ جَيْشُ الـنِّـفَـاقِ وَأَدْبَـرْ

★ ★ ★

أَخِـي في الجَـزَائِـرِ يَا ابْـنَ الـبُـطُو
لَةِ أَوْ في ٱلْـقَـنَـالِ وَفي بُورْ سَعِـيدْ

أَخِـي في فِلَسْـطِينَ كم أَشْرَقَـتْ
بِكَ الـدَّاجِـيَاتُ فَنِـعْـمَ الـشَّـهِـيدْ

هُوَ الـدَّهْـرُ مَرَّ بِأَحْـدَاثِـهِ
تُلَقِّـنُـهُ أَنْـتَ مَعْـنَـى الخُـلُودْ

تُرَوِّي الـثَّـرَى بِطَهُـورِ الـدِّمَـاءِ
وَتَـبْـعَـثُ في الأُفْـقِ فَجْـراً جَدِيدْ

★ ★ ★

أَخِـي لَا تُبَـالِ إِذَا مَا افْـتَرَقْـنَـا
فَبَـيْنِي وَبَـيْـنَـكَ عَهْـدٌ وَثِـيقْ

تَشُدُّ الضَّحَايَا عُرَاهُ، وَثَكْلَى
وَطِفْلٌ مَعَ الدَّمِ مُلْقَى غَرِيقْ

فَقُلْ لِبِرِطَانْيَا وَأَحْلَافِهَا
وَمَنْ ظَنَّنَا سِلْعَةً أَوْ رَقِيقْ

هُنَا أُمَّةٌ دَفَعَتْهَا الحَيَاةُ
وَخَطَّ لَهَا اللَّهُ هَذَا آلْطَّرِيقْ

★ ★ ★

فَمِنْ خَلْفِ أوراس نُوْرُ الحَيَاةِ
يَشِعُّ بِهِ دَمُكَ آلْطَّاهِرُ

ضَحَايَا فِدَاءُ العَقِيدَةِ مَرَّتْ
شَهِيدٌ يُعَانِقُهُ آخَرُ

فَقُلْ لِفَرَنْسَا وَقَدْ سَاقَهَا
إلَى حَتْفِهَا رَجُلٌ فَاجِرُ

رُوَيْدَكِ يَا ابْنَةَ نَعْلِ الغُزَاةِ
مَتَى كَانَ فِيكِ فَتَىً طَاهِرُ

★ ★ ★

وَأَنْتَ أَخِي يَا ابْنَ دَارِ السَّلَامِ
سَلَامٌ عَلَى رُوحِكَ ٱلْمُشْرِقِ

سَلَامٌ على الجُرْحِ أَنْفَاسُهُ
شُوَاظُ اللَّهِيبِ، فَثُرْ وَاخْفِقِ

وَخَلِّ دِمَاءَكَ مَاءَ الحَيَاةِ
تَفِيضُ على نَهْرِكَ المُغْدِقِ

لِتَجْرِفَ نُورِي وَأَحْلافَهُ
وَتُلْقِي بِمُسْتَعْمِرٍ أَخْرَقِ

* * *

أَخِي! دَرْبُنَا الشَّوْكُ كم مِنْ شَهِيدٍ
تَرَدَّى عَلَيْهِ وَمَا اسْتَسْلَمَا

وَلَيْلٍ بَهِيمٍ نَثَرْنَا عَلَيْهِ
لَدَى الرَّوْعِ قَطْرَ الدِّمَا أَنْجُمَا

دُعَاةً إِلَى اللَّهِ لَا نَنْثَنِي
وَقَلْبَاً إلى اللَّهِ قَدْ أَسْلَمَا

تَهُبُّ الرَّوَائِحُ مِنْ جَنَّةٍ
لِيَعْبَقَ مِنْهَا زَكِيُّ الدِّمَا

* * *

تَقَدَّمْ أَخِي! إِنَّ هٰذِي المَشَانِـ
ـقَ كَمْ كُنْتَ قَبَّلْتَ أَعْوَادَهَا

تَقَـدَّمْ! فَتِـلْكَ دُرُوبُ الجِـهَـادِ
تُشِـيدُ بِبَـذْلِـكَ أَمْجَـادَهَـا

فَدُنْـيَا الـبُـطُولاَتِ مَنْ ذا لَهَا!
سِوَاكَ يُجَدِّدُ أَعْـيَادَهَـا

تَمُرُّ الـلَّيالي بأَشْـوَاقِـهَـا
تُحَلِّي بِذِكْـرَاكَ أَجْـيَادَهَـا

★ ★ ★

وأقْـبِـلْ على الـلَّهِ يَوْمَ الجِـهَـادِ
أَخـاً صَدَقَ الـلَّهَ مَا عَاهَـدَهْ

فَذَلِـكَ خَاضَ غِمَارَ الحِـمام
وَآخَـرُ مَدَّ لَهُ سَاعِـدَهْ

وَحَـوْلَهُـمَا إِخْـوَةٌ أَقْـبَـلُوا
على الـلَّهِ بِالأَنْـفُسِ الـعَـابِـدَهْ

هُوَ الـدَّهْـرُ مَرَّ بِسَـاحَـاتِهِـمْ
يُلَقِّـنُ بِالـدَّعْـوَةِ الخَـالِـدَهْ

★ ★ ★

أَخِـي! مَنْ يَكُـنْ هَمُّهُ يَوْمَـهُ
يُرَدَّى مَعَ الـغَـدِ في قَبْرِهِ

وَمَـنْ كانَ مِثْـلَكَ يَبْـني الحَـيَاةَ
يَشِـعُّ الخُـلُودُ عَلى فَجْـرِهِ

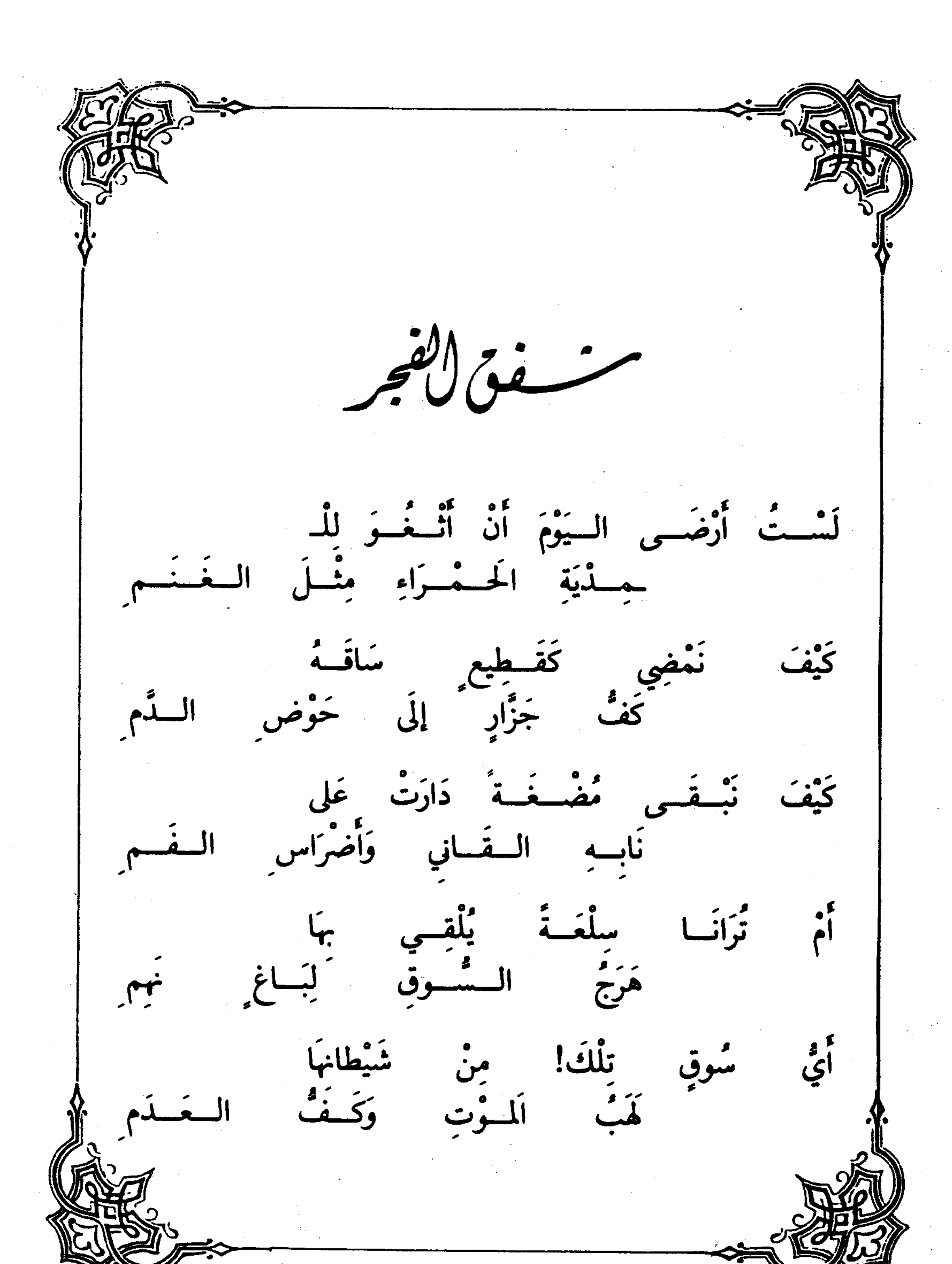
أَخِـي! أَنْـتَ حُمِّلْتَ هِذِي الأَمَـانـ
ـةَ تَقْضِي عَلى الـظُّلْمِ فيَ وَكْـرِهِ

كَتـائِـبُ يَضْـحُـو على زَحْـفِـهَـا
أَخُـو غَفْـلَةٍ ذَلَّ في كِبْرِهِ

١٩٥٧

* * *





شفق الفجر

لَسْتُ أَرْضَى الـيَوْمَ أَنْ أَثْغُوَ لِلْـ
ـمِدْيَةِ الحَمْرَاءِ مِثْلَ الغَنَمِ

كَيْفَ نَمْضِي كَقَطِيعٍ سَاقَهُ
كَفُّ جَزَّارٍ إلَى حَوْضِ الدَّمِ

كَيْفَ نَبْقَى مُضْغَةً دَارَتْ عَلى
نَابِهِ القَانِي وَأَضْرَاسِ الفَمِ

أَمْ تُرَانَا سِلْعَةً يُلْقِي بِهَا
هَرَجُ السُّوقِ لِبَاغٍ نَهِمِ

أَيُّ سُوقٍ تِلْكَ! مِنْ شَيْطانِهَا
لَهَبُ المَوْتِ وَكَفُّ العَدَمِ

يَدفَـعُ اَلمـوْجُ عَلى سَاحَـاتِهَـا
أُمَـاً تَدْفَـعُ حِقْـدَ الأُمَـمِ

تَلْتَـقـي في خَطْفَـةِ اَلمـوْتِ عَلى
مِرْجَـلٍ مِنْ نَارِهَـا اُلمـضْـطَرِمِ

فَإِذَا الـدُّولَار قَيْدٌ مُطْبِـقٌ
مُمْعِـنٌ في عُنُـقٍ أَوْ مِعْـصَـمِ

أُمَّـتِي! تِلْكَ هِيَ الـسُّـوقُ إِذَا
كُنْـتِ تَرْضِـيْنَ بِذُلِّ اَلمـغْـنَـمِ

يَدْفَـعُ الشَّرَّ حُثَـالَاتٌ مَضَـتْ
تَبْـتَـنِي أَمْجَـادَهَـا في مَأْتَـمِ

كَكِـلَابٍ لَمْ تَعُـدْ نَابِـحَـةً
إِنْ يَجُدْ بِالْـعَـظْمِ كَفُّ الـكَـرَمِ

لَمْ تُجَاوِزْ عِزَّةُ الـنَّـفْسِ بِهِمْ
لَفْـظَةً مَاتَـتْ عَلَى ثَغْـرِهِـمِ

لَم تَكُـنْ حُرِّيَةٌ مَا زَعَـمُـوا
غَيْرَ قَيْدٍ مُطْبِـقٍ أَوْ لُجُمِ

وَسُـجُـونٍ زُحِمَـتْ أَبْـوَابُـهـا
وَرَصَـاصٍ عَاصِـفٍ مُحْتَـدِمِ

إِنَّهُمْ لَيْسُـوا إِذَا هَمَّ الـوَغَـى
غَيْرَ سَيْفٍ وَاجِـفٍ مُنْهَـزِمِ

عُصْبَـةَ الحُـكَّـام جُوري رُبَّـمَا
لَمْ يَطُلْ عَهْـدُكِ! جُورِي وَاظْـلِمِـي

لَسْـتِ فِي تَارِيخِـنَـا الـصَّـاعِـدِ إِلْـ
ـلَا بَقَـايَا حُلُمٍ لَمْ يَدُمِ

★ ★ ★

إِيهِ يَا مِصْرُ! فَما أَطْـهَـرَهَـا
نَفْـحَـةً مِنْ دَمِـكِ المُـضْـطَرِمِ

حُمْرَةٌ فَوْقَ رُبَـاكِ الخُضْرِ مِنْ
شَفَـقِ الـفَـجْـرِ فَسِيري وَاقْـحَـمِـي

وَاعْـصِـفِـي مِنْ دَمِـكِ الـثَّـائِـرِ فِي
أَنْـفُسٍ تَرْقُـدُ نَهْبَ الـسَّـأَمِ

★ ★ ★

مَا لِمِصْرٍ أَيقَـظت فِرْعَـوْنَهَا
فِي لَيَالٍ حَالِـكَـاتِ الـظُّلَمِ

أيقَـظَتْـهُ كَفُّ وَاشِـنْـطُنَ مِنْ
نَوْمِـه الهَـادِئِ تحْتَ الهَـرَمِ

هَبَّ مِنْ رَقْـدَتِـه طَيَّ الـبِـلاَ
وَانْـثَـنَـى حَيّاً كَأَنْ لَمْ يَنَـمِ

لَمْ تَزَلْ عَادَتُـهُ أَنْ يَفْـتَـدِي
بِضَـحَـايَا الـنِّيلِ فَيْضَ الـنِّـعَـمِ

لَمْ يَعُـدْ رُوَّادُكِ الـيَوْمَ سِوَى
مُخْرِجٍ يَنْـقُـلُ حُرَّ الـقَـدَمِ

لَمْ تَعُـدْ أَرْضُـكِ إلَّا مَسْرَحَـاً
أَخْـرِجَـتْ فِيهِ مَآسِي الـنِّـقَـمِ

أَيْنَ «دِي مِيلُ» وَقَـدْ حَاكَ بِهَا
قِصَّـةً نَشْـهَـدُهَـا لَمْ تُخْتَـمِ

★ ★ ★

يَا شَهِـيداً ضَمَّـخَ الـتُّرْبَ شَذَا
وَدَمَـاً سَالَ بِسَـفْـحِ الهَـرَمِ

لَمْ يَكُـنْ طَوْقُـكَ إلَّا زَهْـرَ الـ
ـغَـارِ في رَيْعَـانِـهِ فَابْـتَـسِـمِ

إِخْـوَةٌ! مَدُّوا عَلى رَاحَـاتِهِـمْ
رُوحَـهُـمْ فِي كِبْرِيَاءِ الْمُـسْـلِمِ

فَاضَـتِ الـرُّوحُ وَفِي أَفْـوَاهِـهِـمْ
دَعْـوَةٌ لِلْحَـقِّ لَمْ تَنْهَـدِمِ

إِخْـوَةٌ يَرْبِـطُهُـمْ حَبْـلُ الـرَّدَى
فِي سَبِـيلِ الـلَّهِ لَمْ يَنْـفَـصِـمِ

طَلَعَ الـصُّـبْـحُ وَهُـمْ فِي أُفْـقِـهِ
كَوْكَـبٌ يَهْدِي سَبِـيلَ الأُمَـمِ

* * *

مِصْرُ! تِيهِـي بِضَـحَـايَا فَتَـحَـتْ
سُبُـلَ الْمَـجْـدِ، فَتِـيهِـي وَاسْـلَمِـي

وَتَـلَقَّـيْ مِنْ رُبَـى الأُرْدُنِّ نَفْـ
ـحَـةَ رُوَّادِ الْمُـنَـى الْمُـبْـتَـسِـمِ

وَالـفُـرَاتِ الـعَـذْبِ أَشْـوَاقَ رِضَـىً
لَمْ تَكُـنْ إِلاَّ عَبِـيرَ الـعَـنْـدَمِ

وَمِـنَ الـشَّـامِ وَمَـا أَنْضَرَهَـا
وَمِـنَ الـقُـدْسِ وَبَيْتِ الْحَـرَمِ

وَرُبَى لُبْنَانَ مِنْ أَمْجَادِهَا
نَفْحَةَ الأَرْزِ وَحُلْوَ النَّسَمِ

★ ★ ★

أُمَّتي! تِيهِي بِمَا حَطَّمْتِ مِنْ
صَنَمٍ أَوْ شِدْتِهِ مِنْ عَلَمِ

في رُبَى الشَّرْقِ وفي سَاحَاتِهِ
تَلْمَحُ العَيْنُ بَرِيقاً مِنْ دَمِ

في سَبِيلِ اللهِ مَا يَلْقَى جِهَا
دُكَ يَا شَعْبُ فَقُمْ وَاقْتَحِمِ

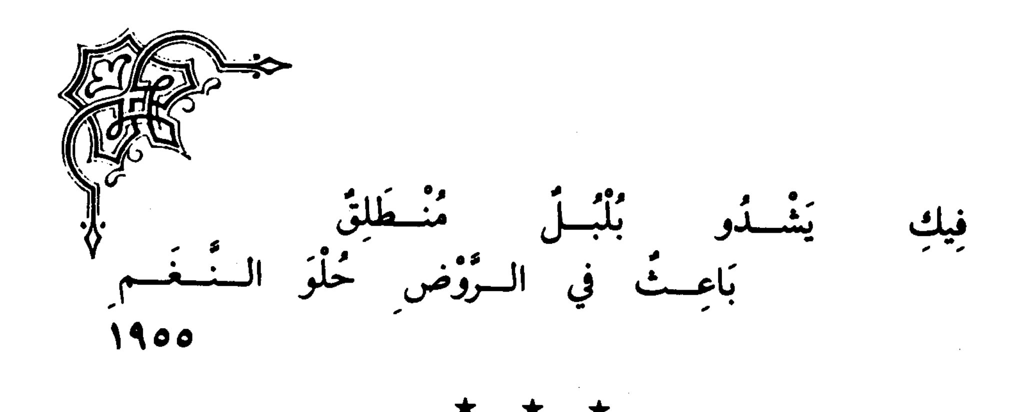
وَابْنِ مَجْداً كُنْتَ قَدْ دَاعَبْتَهُ
حُلُمًا في غَفْوَةٍ أَوْ سَأَمِ

★ ★ ★

أُمَّتِي! هَذا سَبِيلُ اللَّهِ مَا
مَدُّهُ إِلَّا صَرِيحُ الهِمَمِ

فَاصْعَدِي فِيهِ كَمَا يَصْعَدُهُ
بِالتُّقَى وَالعَزْمِ حُرُّ الشِّيَمِ

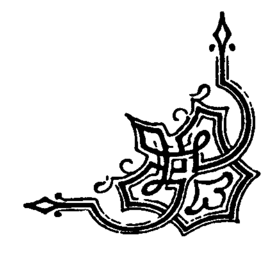
وَاجْعَلِي دَارَكِ رَوْضاً زَاهِراً
عَابِقاً بِالأَمَلِ المُبْتَسِمِ



فيكِ يَشْـدُو بُلْبُـلٌ مُنْـطَلِقٌ
بَاعِـثٌ في الـرَّوْضِ حُلْوَ الـنَّـغَـمِ

١٩٥٥

★ ★ ★





دماء بريئة

أدمٌ يُرَاقُ وَفِتْيَةٌ يَتَسَاقَطُو
نَ وَعُصْبَةُ الطَّاغُوتِ فِيهِمْ تَحْكُمُ

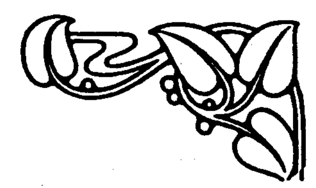
وَالشَّعْبُ مِسْكِينٌ يُجَرَّدُ فَوْقَهُ
سَيْفٌ تُشَلُّ بِهِ اليَدَانِ وَيُلْجَمُ

وَتُرَدُّ أَبْوَابُ السُّجُونِ وَخَلْفَهَا
جَسَدٌ يَغِيبُ وَهِمَّةٌ تَتَقَدَّمُ

وَيُشَرَّدُ الأَحْرَارُ فِي أَفْوَاهِهِمْ
صَوْتُ الجِهَادِ قَصَائِدٌ وَتَرَنُّمُ

وَتُبَاحُ أَسْوَاقُ البِلَادِ لِغَاصِبٍ
يَوْمَ الجَلَاءِ! وَقِيلَ ذَلِكَ مَغْنَمُ

★ ★ ★



وَمَحَاكِمُ التَّفْتِيش مَدَّ رُوَاقَهَا
كَفٌّ يَسِيلُ عَلى جَوَانِبِهَا الدَّمُ

وَمَهَازِلٌ فِيهَا تُحَاكُ فَأَحْمَقٌ
يَهْذِي، وَحُرٌّ قَيَّدُوهُ وَكَمَّمُوا

وَدَعَوْهُ بَيْنَ بَنَادِقٍ مَصْفُوفَةٍ
وَقَنَاً مُحَدَّدَةٍ وَقِيلَ تَكَلَّمُوا

وَأَخُو القَضَاءِ أَخُو هَوىً وَضَغِينَةٍ
وَجَهَالَةٍ تَبْدُو عَلَيْهِ وَتُرْسَمُ

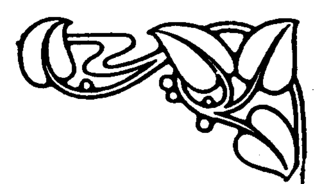
وَدَعَوْا إِلَى حُرِّيَّةٍ وَكَأَنَّهَا
زَنْدٌ يُكَبِّلُهُ الحَدِيدُ وَمِعْصَمُ

يَا شَعْبُ! بِاسْمِكَ كَمْ تُبَاحُ مَظَالِمٌ
وَالشَّعْبُ لاَ يَدْرِي وَلاَ هُوَ يَحْكُمُ

★ ★ ★

مَالِي أَرَى الشَّرقَ العَزِيزَ يَسُومُهُ
ذُلَّ الهَوَانِ وَيَسْتَبِيحُ مُقَدَّمُ

كَفُّ الطُّغَاةِ مِنَ الدِّمَاءِ خَضِيبَةٌ
وَقُلُوبُهُمْ دِمَنٌ وَوَجْهٌ أَجْهَمُ



تَهْوي الــرُّؤوسُ على الــسُّـيُوفِ كأَنَّــمَا
تَهْوي على ثَغْــرِ الحَــبِــيبِ وَتَــلْثُمُ

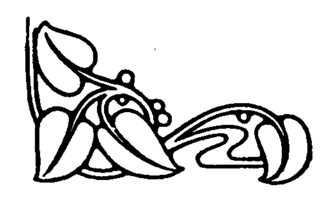
وَالــسَّــائِــرُونَ على الــطَّرِيق خُطاهُــمُ
لَهَبٌ إِذا صَرِعُــوا يَمُــدُّ وَيقْــحَــمُ

وَالــنَّــاشِرُونَ رِسَــالَــةً وَضَّــاءَةً
مِلءَ الــزَّمَــانِ جُنُــودُهُــمْ لاَ تُهْزَمُ

وَعُــرَى الجِــهَــادِ يَشُــدُّ مِنْ تَوْثــيقِــهَــا
حَبْــلُ الــعَــقِــيدَةِ وَالــضَّــحَــايَا وَالــدَّمُ

١٩٥٥

★ ★ ★





في رثاء الأستاذ الشهيد سيد قطب.

وتبسمت حين أشرق فجر

غَرِّدي يَا طُيُورُ وَالتَقِطي الحَبْـ
ـبَ وَطُوفِي بِرَوْضَةٍ وَمَغَانِي

وَانْشُرِي مِنْ رُؤَى الخَمَائِلِ أَفْيَا
ءً وَمُدِّي غِلالَةً مِنْ أَمَانِ

وَاخْفِقِي بِالرِّضَاءِ أَجْنِحَةَ الخَـ
ـيْرِ عَلى غُصْنِ رَوْضِكِ الرَّيَّانِ

وَاعْبِقِي يَا زُهُورُ بِالأَرَجِ الحُلْـ
ـوِ وَتِيهِي عَرَائِساً في جِنَانِ

عُرُسٌ في السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَفْـ
ـرَاحٌ رُؤَاهَا مَمْزُوجَةُ الأَلْوانِ

عُرُسٌ تَرْقُصُ الخَرائِدُ فيهِ
عَبْقَرِيُّ الأَشْوَاقِ وَالأَلْحَانِ

تَتَثَنّى أَطْيَافُهُ مُلْهِماتٍ
وَالأَهَازِيجُ خَفْقَةُ الإِيمَانِ

يَمْلَأُ الأُفْقَ مِنْ سَنَا قَطَرَاتٍ
مِنْ دَمٍ رَاعِفٍ وَنُورٍ حَانِي

تَتَلالَا كَأَنَّهَا رَعَشَاتُ الـ
ـرُّوحِ أَوْ وَمْضَةٌ مِنَ الإِحْسَانِ

تَسْأَلُ ، الحُورُ : أَيُّ رُوحٍ زَكِيٍّ
مُلْهَمِ الشَّوْقِ مُفْعَمِ الوِجْدَانِ

أَيُّ رُوحٍ هَفَا فَخَفَّ إِلَيْهِ
عَبَقٌ وَاسْتَحَثَّ مِنْ رِضْوَانِ

إِنَّهُ سَيِّدٌ! دَعَتْهُ إِلَى الخُلْـ
ـدِ نِدَاءَاتُ شَوْقِهِ الظَّمْآنِ

★ ★ ★

إِنَّهُ خَفْقَةُ اليَقِينِ، أَمَانِيْـ
ـيُ جِهَادٍ نَسَائِمُ القُرْآنِ

هَبَّ كالـلَّيْثِ، وَالـدَّيَاجِـيرُ حَمْقَـى
جَامِحَـاتٍ مَفْـلوتَـةَ الأَرْسَـانِ

لُجَجـاً مِنْ نَوَازِعِ الشَّرِ سُوداً
مُثْـقَـلاَتٍ هَدَرْنَ بِالْحَـدَثَـانِ

تَنْـزِعُ الـنَّـاسَ، وَالْخَـلاَئِـقُ حَيْرَى
تَائِـهَـاتِ الأَبْـصَـارِ وَالآذَانِ

كُتَـلٌ! كالـعَـبِـيدِ يَنْهَـبُـهَـا الـسَّـوْ
طُ جُنُـونـاً تُسَـاقُ كالـقِـطْعَـانِ

الـطَّرِيقُ الـطَّوِيلُ شَقَّ عَلَيْهَـا
فَهَـوَتْ فِي مَزَالِـقٍ وَهَـوَانِ

فِتْـنَـةٌ تُهْدَرُ المُـرُوءَاتُ فِيهَـا
وَتُـرَدَّى كَرَامَـةُ الإِنْـسَـانِ

وَالـنِّـدَاءُ الـكَـرِيـمُ يَخْنُـقُـهُ الـلَّيْـ
ـلُ وَتَـطْغَـى دَعَـاوَةُ الـكُـفْـرَانِ

جَفَّ فِي الحَـلْقِ كُلُّ صَوْتٍ نَدِيٍّ
كَجَـفَـافِ المِـيَاهِ فِي الـعِـيدانِ

وَتَلاشَى على ثَنَايَا شِفَاهٍ
كَتَلاشِي الرَّوَاءِ في الأَغْصَانِ

وَهَوَى الصَّرْحُ، وَالحِجَارَةُ مُزَّقْـ
ـنَ وَمَادَتْ قَوَاعِدُ الأَرْكَانِ

كُلُّ صَخْرٍ على الثَّرَى قِصَّةُ المَجْـ
ـدِ، حَديثٌ يُتْلى على الأَزْمَانِ

الصُّخُورُ الصَّمَاءُ تَصْرَخُ غَوْثاً
وَالوَرَى مُلْجَمٌ بِغَيْرِ لِسَانِ

تَدْمَعُ الزَّهْرَةُ النَّدِيَّةُ في الرَّوْ
ضِ وَلَكِنْ لَمْ تَدْمَعِ العَيْنَانِ

يَجْمَعُ الطَّيْرُ مِنْ أَسَاهُ جَنَاحَيْـ
ـهِ وَيَمْضي مُرَجِّعَ الأَحْزَانِ

وَالرِّيَاحُ الهَوْجَاءُ تَنْدُبُ أَمْجَا
داً وَأَصْدَاؤُهَا بِكُلِّ مَكَانِ

غَيْرَ أَنَّ العَبِيدَ قَتَّلَهَا الذُّ
لُّ فَلَمْ تَرْتَعِشْ لِسَوْطِ هَوَانِ

* * *

وَإِذَا الحَـقُّ صَيْحَـةٌ تَتَـعَـالَى
وَإِذَا الأُفْـقُ مِنْـبَرٌ لِأَذَانِ

وَتَـعَـالَـتْ اللهُ أَكْـبَرُ فِي الأَرْ
ضِ ، على رَبْـوَةٍ على شُطْآنِ

وَانْـطَوَى الـلَّيْلُ عَنْ سَنَـا الـفَـجْـرِ أَنْـوَا
راً وَلَاحَـتْ بَشَـائِـرٌ وَأَمَـانِي

دَعْـوَةٌ مِنْ صَدَى النُّـبُـوَّةِ مِنْ أَنْـ
ـفَـاسِ آيَاتِ مُحْكَـمِ الـقُـرْآنِ

يَنْهَضُ الصَّرحُ فِي شُمُـوخٍ وَتَـرْقَـى
عَزَمَـاتُ الـبَـنَّـاءِ بِالـبُـنْـيَانِ

أَلَـقٌ فِي ذُرَاهُ كَالأَنْـجُـمِ الـزُّهْـ
ـرِ وَقُـطْبٌ مَنَـارَةُ الـرُّكْـبَـانِ

وَمَـضَـتْ دُونَـهُ الـبُـطولَاتُ أَمْـوَاجَـ
ـاً وَهَـبَّـتْ كَتَـائِـبُ الـرَّحْمَـانِ

وَتَـرَامَـتْ على الـبِـطَاحِ خُيُولٌ
وَتَـلَاقَـتْ صِيْدٌ مِنَ الـفُـرْسَـانِ

* * *

إيهِ يَا سَيِّدٌ حَمَلْتَ إلى النَّا
سِ سَلاَمَاً وَرَوْعَةً مِنْ بَيَانِ

صُغْتَ مِنْ مُهْجَةٍ تَعَابِيرَ أَشْـ
ـوَاقٍ وَمِنْ آيَةِ الكِتَابِ مَعَانِي

وَتَفَيَّأْتَ فِي ظِلاَلٍ مِنَ الخَيْـ
ـرِ وَأَنْدَاءِ رَوْضَةٍ وَجِنَان

لَمْ تزَلْ تَقْطُفُ الوُرُودَ أَكَا
لِيلَ وَتُهْدِي قَلاَئِداً مِنْ جُمَانِ

فَمَلَكْتَ القُلوبَ فِي صِدْقِكَ الحُرْ
رِ وَهَيَّجْتَ حِقْدَ كُلِّ جَبَانِ

وَرَآكَ الكُفَّارُ طَوْداً شَمُوخَا
وَرَأَوْا كَيْدَهُمْ مَضَى لِهَوَانِ

نَفْسُكَ الحُرَّةُ الأَبِيَّةُ عَافَتْ
مَا أَسَالُوهُ مِنْ رَخِيصٍ فَانِي

وَتَعَالَتْ عَنِ الدَّنِيَّةِ كَالشَّمْـ
ـسِ عُلُوّاً كَالنُّورِ فِي اللَّمَعَانِ



هَاجَ بِالحِقْدِ مِنْ بُطُولَتِكَ العَبْـ
ـدُ وَثَارَتْ عَوَاصِفُ الشَّنَآنِ

جَعَلُوهَا على يَدَيْكَ حَدِيداً
وأَحَاطُوكَ بِالقَنَا وَالسِّنَانِ

وَأَقَامُوا عَلَيْكَ مِنْ ظُلْمَةِ اللَّيْـ
ـلِ سُجُوناً مَخْنُوقَةَ الجُدْرَانِ

وَسِيَاطاً تَهُزُّ مِنْ مُحْصِدَاتٍ
هَاوِيَاتٍ كالشُّهْبِ كالنِّيرانِ

فَإِذا أَنْتَ بَيْنَهُمْ سَيِّدٌ حُـ
ـرٌّ حَوَالَيْكَ عُصْبَةُ العُبْدانِ

وَتَلَفَّتَّ هَازِئاً، وَتَهَاوَتْ
تَحْتَ عَيْنَيْكَ سَطْوَةُ السُّلْطَان

وَالخَفَافِيشُ مِنْهُمُ بِالزَّوايا
فَزِعَتْ مِنْ بَوَارِقِ الإِيمَانِ

لانَ في كَفِّكَ الحَدِيدُ كما لِنْـ
ـتَ على آيَةٍ مِنَ القُرْآنِ

وَحَنَا السَّوْطُ : خَفْقَهُ لَمَسَاتٌ
مِنْ نَسيمٍ يَحْنُو على الأَغْصَانِ

وَأَقَمْتَ الصَّلاةَ وَارِفَةَ الظِّلْـ
ـلِ رِيَاضاً تَهُزُّ مِنْ رَيْحَانِ

وَالخُشُوعُ النَّدِيُّ آفَاقُ رُوحٍ
حَانِيَاتٌ حَبِيبَةُ الخَفَقَانِ

★ ★ ★

كم أَرَادُوكَ لو أَخَذْتَ الدَّنَايَا
لَوْ رَضِيتَ الفَرِيدَ مِنْ تِيجَانِ

هَزِئَتْ نَفْسُكَ العَظِيمَةُ مِنْهُمْ
دَفَعَتْ كَيْدَهُمْ إلى خُسْرَانِ

فَأَتَوا يُرْهِبُونَ جِسْمَكَ بِالَموْ
تِ تَلاَقَوْا عَلى هَوىً وَهَوَانِ

وَأَقَامُوا لَكَ الَمشَانِقَ أَعْوَا
داً وَمَدُّوا جَبَائِلَ البُهْتَانِ

فَمَضَى! وَالجلالُ يَخْفُقُ أَنْوَا
راً وَهَبَّتْ رَوَائِحٌ مِنْ جِنَانِ

وَظِلالُ القُرْآنِ حَوْلَكَ أَفْيَا
ءُ وَأَنْدَاؤُهَا شَذَا الإِحْسَانِ

وَتَبَسَّمْتَ حِينَ أَشْرَقَ فَجْرٌ
وَأَطَلَّتْ مِنَ الخُلُودِ أَمَانِي

وَتَرَكْتَ الذَّلِيلَ يَقْتُلُهُ الحِقْـ
ـدُ عَلَى مِرْجَلٍ مِنَ الغَلَيَانِ

★ ★ ★

أَيْنَ فِرْعَوْنُ! وَالعِصَابَةُ! وَالسَّوْ
طُ..! وَذُلُّ الرِّفَاقِ وَالأَعْوَانِ

هَلَكُوا في مَتَاهَةِ الشِّرْكِ أَجْيَا
فَاً وَحَلَّقْتَ في نَعِيمٍ حَانِي

وَتَعَالَى الإِيمَانُ في رَوْعَةِ النَّصْـ
ـرِ وَإِيثَارِ جَنَّةِ الرَّحْمَانِ

كم شَهِيدٍ مَضَى فَرَقَّ لَهُ السَّوْ
طُ وَلاَنَ الحَدِيدُ في تَحْنَانِ

كم شَهِيدٍ مَضَى عَلَى خَفَقَاتٍ
مِنْ صَلاةٍ بِجَوْفِ لَيْلٍ قَانِي

كم شَهِيدٍ مَضَى فَخَفَّتْ إلَيْهِ الْـ
حُورُ بُشْرَى عَرائِسٍ وَغَوَانِي

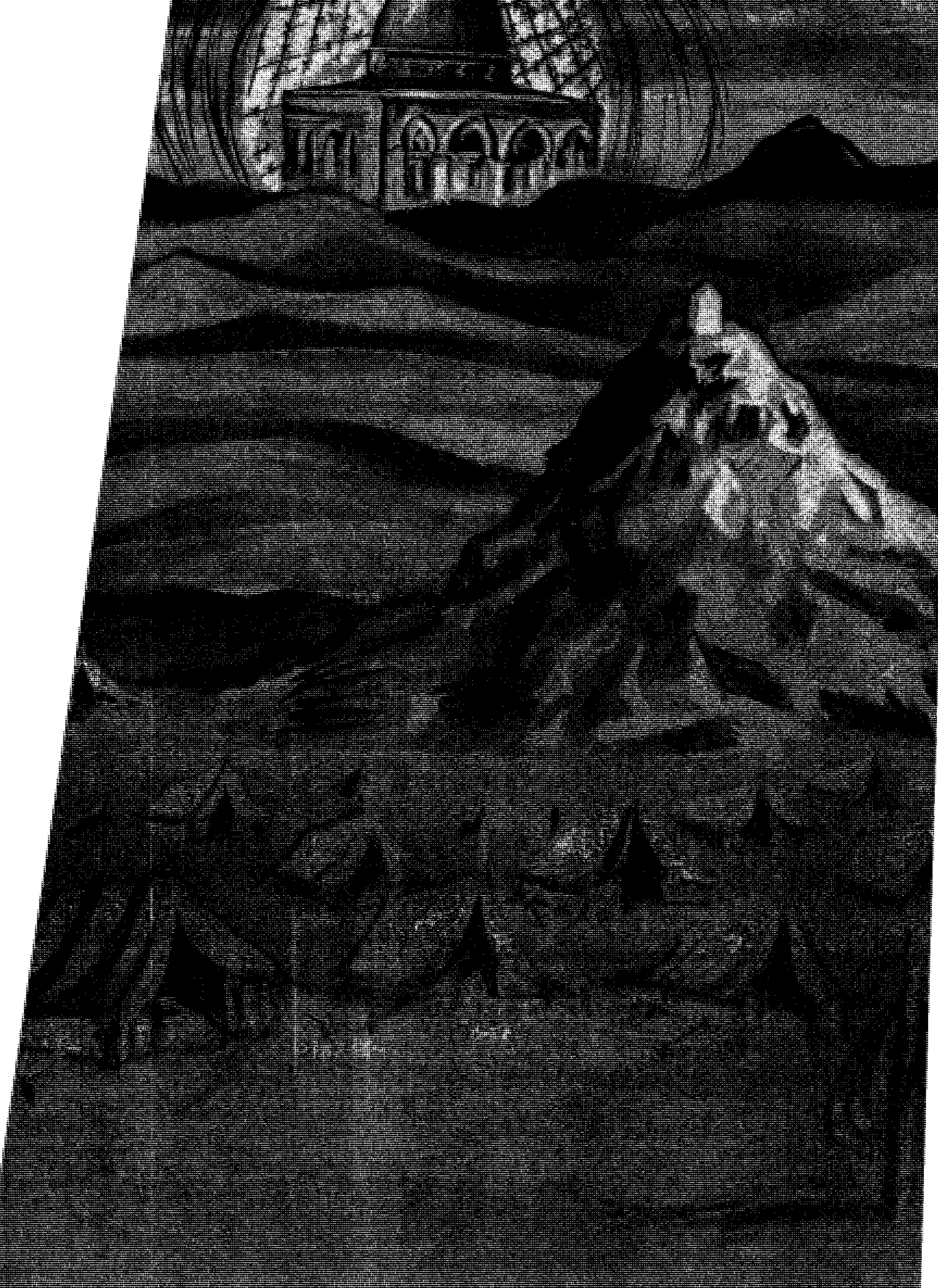
صَنَعَتْهُم مِنْ الكِتَابِ تَرَاتِيـ
ـلُ قِيَامٍ بِمَدْمَعٍ هَتَّانِ

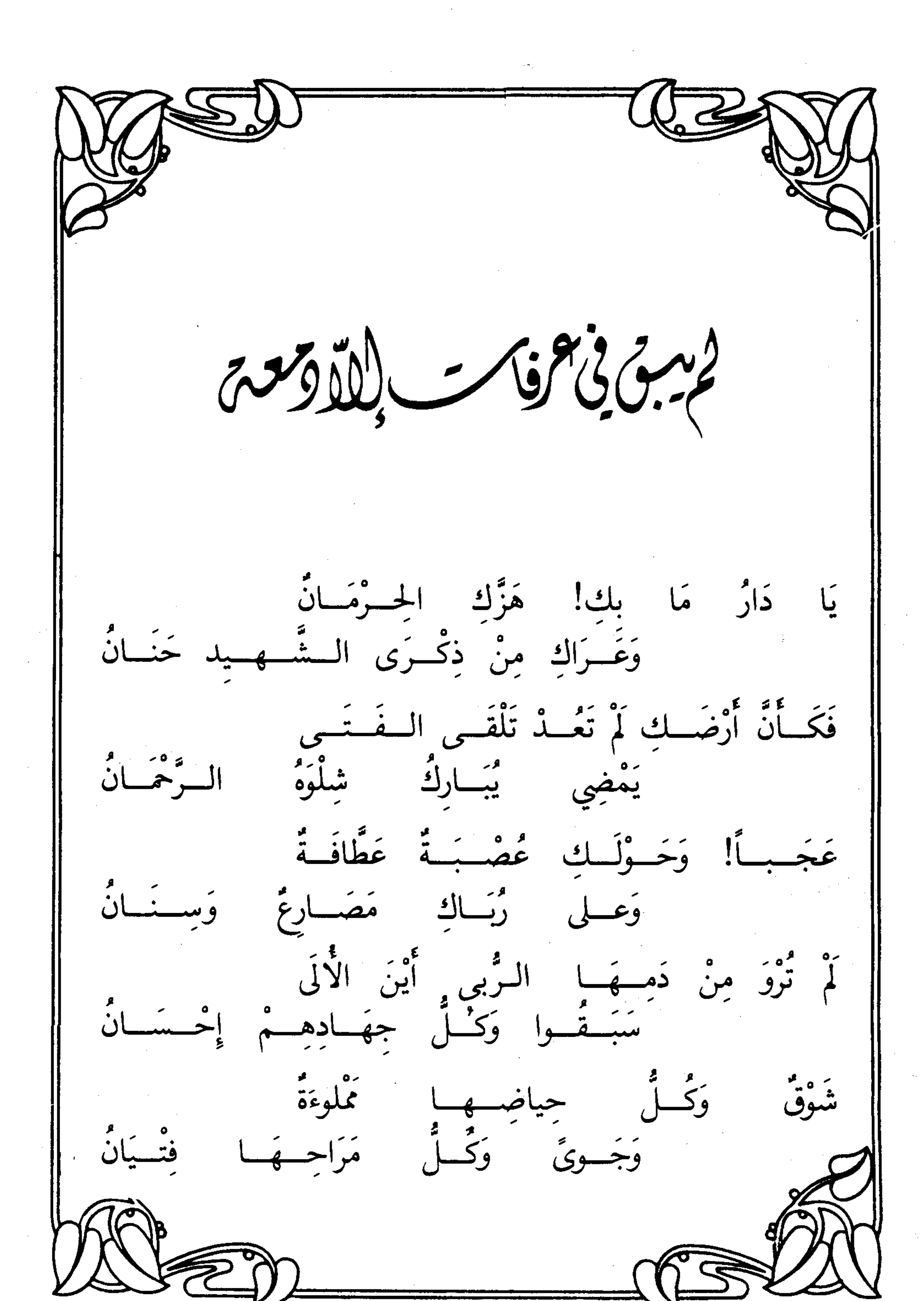
فَمَضَيْتُمْ مَعَالِماً في طَرِيقٍ
وَمَنَاراً لِلْتَّائِهِ الحَيْرَانِ

١٩٧٢

* * *

لم يبق في عرفات إلّا دمعة





لم يبق في عرفات إلا دمعة

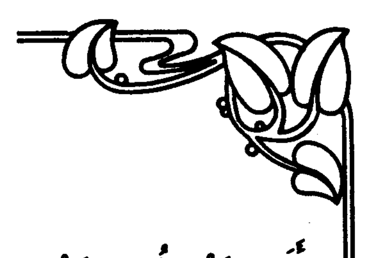
يَا دَارُ مَا بِكِ! هَزَّكِ الحِرْمَانُ
وَعَرَاكِ مِنْ ذِكْرَى الشَّهِيدِ حَنَانُ

فَكَأَنَّ أَرْضَكِ لَمْ تَعُدْ تَلْقَى الفَتَى
يَمْضِي يُبَارِكُ شِلْوَهُ الرَّحْمَانُ

عَجَباً! وَحَوْلَكِ عُصْبَةٌ عَطَّافَةٌ
وَعلى رُبَاكِ مَصَارِعٌ وَسِنَانُ

لَمْ تُرْوَ مِنْ دَمِهَا الرُّبى أَيْنَ الأُلَى
سَبَقُوا وَكُلُّ جِهَادِهِمْ إِحْسَانُ

شَوْقٌ وَكُلُّ حِيَاضِهَا مَمْلُوءَةٌ
وَجَوىً وَكُلُّ مَرَاحِهَا فِتْيَانُ



أَنَـا مَهْبِطُ الـوَحْيِ الكـريمِ وَسَـاحَـةُ الـ
ـمَسْرى الـعَـظِيمِ وَآيَةٌ وَجِـنَـانُ

حَرَمٌ يُبَـارِكُـهُ الإِلَـهُ : رَحِـيقُـهُ
تَغْـنَـى بِهِ الـذُّرْوَاتُ وَالـوُدْيَانُ

حَرَمٌ تَحِنُّ لَهُ الـقُـلوبُ وَيَرْتَـوِي
عِنْـدَ الـلِّقَـاءِ وَخَـفْـقِـهِ الـظَّمْآنُ

أَنَـا مِنْ هُنَـاكَ! جَلَتْ مَرَابِـعِـيَ الـنُّـبُـوْ
وَةُ وَالـتَـقَـتْ فِي سَاحِـيَ الـفُـرسَـانُ

أَنَـا مِنْ ثَرَى عَدْنٍ طَوَيْتُ جِنَـانَها
قُدْسَـاً وَمَـكَّـةَ ضَمَّـهَـا رِضْوَانُ

لَا أَرْتَضِي إِلَّا الـدِّمَـاءَ غَوَالِـيَاً
لِلَّهِ! يَصْـدُقُ بَيْعَـهـا الـطَّعَّـانُ

تَجْلُو مِنَ الأَنْـوَارِ ثَرَّ نَجِـيعِـهَـا
وَيَفِـيضُ مِنْ رَيِّ الـقَـنَـا الإِيمَانُ

* * *

تَتَـلَفَّـتُ الـدُّنْـيَا على سَاحَـاتِـهِ
وَتُـغَضُّ مِنْ فَرْطِ الأَسَـى أَجْـفَـانُ

الـذِّكْـرَيَاتُ الخَـالِـيَاتُ بَوَارِقٌ
يَطْوي لَوَامِـعَ بَرْقِـهِـنَّ دُخَـانُ

جَوْنٌ تَلُفُّ الـدَّارَ في طَيَّاتِهَـا
وَتَمُـورُ في أَحْـشَـائِـهَـا الأَحْـزَانُ

مَا أَرْعَـدَتْ إلَّا نُوَاحَ مُصِـيبَـةٍ
وَالـدَّمْـعُ بَيْنَ سَوَادِهَـا حَيْرَانُ

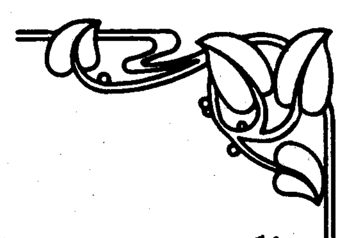
أَلْـقَـتْ بِكَـلْكَـلِهَـا بِكُـلِّ ثَنِـيَّةٍ
وَمَـضَـتْ تَجُرُّ ظَلَامَـهَـا الـشُّطْآنُ

أَحْـنَـتْ مَنَـائِـرَهَـا الهِـضَـابُ تَفَـجُّـعَـاً
وَبَـكَـى عَلى فُرْسَـانِـهِ المَـيْدَانُ

وَتَـشَـعَّـبَـتْ دُونَ الـظَّلَامِ مَسَـالِـكٌ
شَتَّـى وَكَـانَ سَبِـيلَنَـا الـقُـرْآنُ

وَتَـبَـعْـثَـرَتْ في كُلِّ نَاحِـيَةٍ رُؤىً
وَطَـغَـى عَلى أَشْـبَـاحِـهَـا الـنِّـسْيَانُ

★ ★ ★



رُدِّي رَوَابِي الصِّينِ أَيْنَ قُتَيْبَةُ(1)
والسُّورُ تَنْهَدُ حَوْلَهُ الفُرْسَانُ

حَمَلَتْ إِلَيْهِ مِنْ تُرَابِكِ حَفْنَةً
صِيدٌ يَجُرُّ أُنُوفَهَا الإِذْعَانُ

لِيَدُوسَهَا وَيَبَرَّ بِالقَسَمِ العَظِيـ
ـمِ وَيَنْثَنِي مِنْ كَفِّهِ الإِحْسَانُ

فإذَا بِهِ يُلْقِي عَلَيْكِ مِنَ الهُدَى
أَلَقاً وَيَعْلُو بَعْدَ ذُلٍّ شَانُ

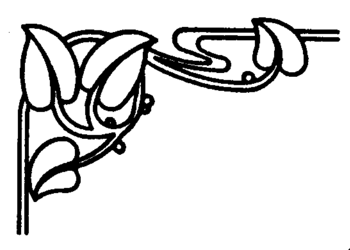
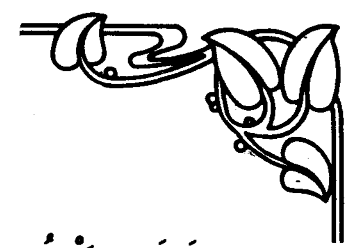
* * *

وَالسِّنْدُ مَا لِلدَّاجِيَاتِ تَلُفُّهُ
وَالذِّكْرَيَاتُ عَلى ذُرَاهُ أَذَانُ

رُدَّتْ إِلَيْهِ مِنَ اللَّيَالِي سُودُهَا
وَاسْوَدَّ بَعْدَ صَفَائِهِ مُهْرَانُ

رُدِّي رَوَابِي الهِنْدِ أَيْنَ شَرِيعَةُ الرَّ
ـحْمَانِ مِنْ سُلْطَانِهَا السُّلْطَانُ

(١) قتيبة بن مسلم الباهلي الذي أخذ الجزية من مَلِكِ الصين وقد أقسم أن يدوس تراب الصين. وعندما خضع ملك الصين ودفع الجزية حمل بعض رجاله ترابا من الصِّين ليدوسه قتيبة ويبَرّ بقسمه وذلك بحدود عام ٩٦ هـ.

كم كَانَ يَبْرقُ في دِيَارِكِ نُورُهَــا
أَمْنــاً! فغَــابَ فَأَيْنَ مِنْــكِ أَمَــانُ

فَتَـقَـطَّعَـتْ منْـكِ الـرُّبَـى وَتَمَـزَّقَـتْ
مِنْـكِ الـرُّؤى وَتَـنَـاثَـرَ الإِيوَانُ

* * *

دَارَ الـسَّـلام وَأَيُّ لَحْنٍ لَمْ يَكُـنْ
شَكْـوى بِدَارِكِ إِنْ شَدَتْ بَغْـدَانُ

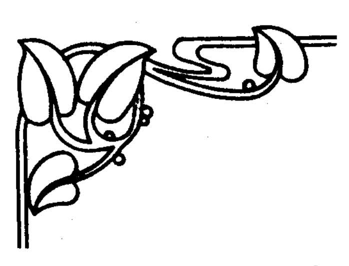
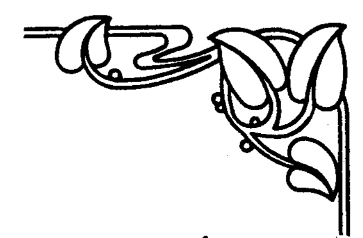
ذِكْـرَى لِدِجْـلَةَ وَالـفُـرَاتِ وَسَـاحَـةٍ
غَنَّـاءَ تَخْفِـقُ عِنْـدَهَـا الأَلْحَـانُ

تَمْضي رُبَـى الأُرْدُنِّ بَيْنَ مِيَاهِـهَـا
ذِكْـرَى يُعِـيدُ رُوَاءَهَـا الجَـرَيَانُ

ذِكْـرَى تَمُرُّ بِكُـلِّ خَفْـقَـةِ مَوْجَـةٍ
أَوْ زَهْـرَةٍ فَاحَـتْ بِهَا عَمَّانُ

وَدِمَـشْـقُ تَطْوِيهَـا الـضُّـلُوعَ صَبَـابَـةً
وَتَـغِـيبُ بَيْنَ جُفُـونيَ الـسُّـودَانُ

آلمَـغْـرِبُ الـزَّاهِـي أَرُدُّ لِسَـاحِـه
طَرْفِي فَيَهْـفُـو لِلِّقَـا إِخْـوَانُ

يَا تُونُسُ الخَضْرَاءُ عَهْـدِي بِالْهَـوى
صَافٍ وَعَـهْـدِي فِي الـرُّبَـى رَيْحَـانُ

مَا بَالُ زَهْـرِكِ لا يُرَفْـرِفُ بِالـنَّـدَى
صُبْـحَـاً وَلَا تَضْـحَـى بِهِ أَلْـوانُ

حَالَ الهَـوى عَنْ عَهْـدِ أَحْمَـدَ وَارْتَحَـتْ
مِنْـكِ الـعُـرَى وَتَـبَـدَّلَـتْ أَزمَـانُ

لَولاَ نَدَى الإِيمَانِ مَا حَمَلَ الـثَّـرَى
نَبْـتـاً وَلا غَنَّـتْ بِكِ الأَفْـنَـانُ

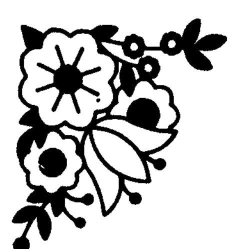
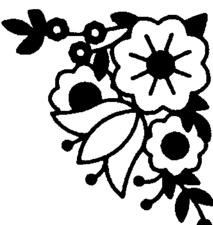
رُدِّي لِمِصْرَ إِذَا نَظَرْتِ لِنِـيلِهَـا
عُتْـبَـى لِمَنْ صُرِعُـوا هُنَـاكَ وَبَـانُـوا

الـضِّـفَّـتـانِ رُؤىً يَضُـمُّ شَتَـاتَهَـا
أَيْكٌ وَتَـطوي ذِكْـرَهـا الأَغْـصَـانُ

وَمَـسَـاجِـدٌ نَضَّ الهَـوَى بِقِـبَـابِهَـا
جُنْـحَـيْهِ فَانْـتَـفَـضَـتْ لَهَا أَحْـزَانُ

الـذِّكْـرَيَاتُ على رُبَـاهَـا زَهْـرَةٌ
فَيَطِيبُ عِنْـدَ شَمِـيمِـهَـا الـسُّلْوَانُ

★ ★ ★

مَا بَالُ أَنْـدَلُس تَجِفُّ وُرُودُهَـا
شَجَـنـاً! أَصَـوَّحَ عِنْـدَهَـا الـبُـسْـتَـانْ

كم كُنْـتِ حَالِـيَةً وَكُـلُّ حُلاَكِ مِنْ
وَمْضِ الْهُـدى وَقِـلاَدُكِ الـعِـقْـيَانُ

أَهْـدَى لَكِ الإِسْـلاَمُ أَغْـلَى دُرَّةٍ
وَحَـبَـاكِ ثَوْبَ زَفَـافِـكِ الإِيمَانُ

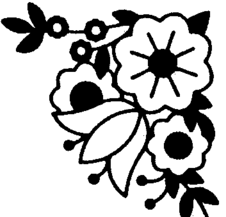
تَمْضِـيـنَ وَالأَيَّامُ تَنْـشُـرُ وُدَّهَـا
طِيبـاً فَتَـنْـفُضُ عِطْرَهَـا الأَرْدَانُ

مَجْلُوَّةً! وَلِـطَارِقٍ مِنْـكِ الْهَـوى
تَهْوِي وَتُصْرَعُ دُونَـكِ الأَقْـرَانُ

يُهْدِي لَكِ الأَمجادَ مِنْ أَنْـصَـالِـهِ
وَتُـصَـاغُ مِنْ أَمْجَـادِكِ الـتِّـيجَـانُ

رُدِّي عَلَيَّ مِنَ الْهَـوى وَحَـنَـانِـهِ
كم كَانَ يَحْلو مِنْ هَوَاكِ حَنَـانُ

رَدَّتْ رَوَابِـيكِ الـوِشَـاحَ وَأَغْـمَـضَـتْ
عَيْنـاً وَقَـرَّحَ جَفْـنَـكِ الأَشْـجَـانُ



تَمْضِي بِسَاحَتِكَ الهُمُومُ تَثَاقُلاً
وَتَكَادُ تَسْمَعُ خَطْوَهَا الآذَانُ

تَتَقَلَّبُ الأَحْلامُ في رَبَوَاتِهَا
وَيَكَادُ يُوقِظُهَا رُؤىً وَطِعَانُ

تَتَلَمَّسُ العَيْنَانِ بَيْنَ رُسُومِهَا
صُوراً فَيَفْلَتُ لِلْخَيَالِ عِنَانُ

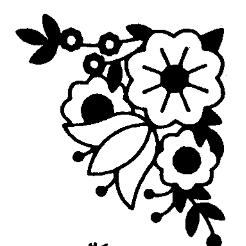
فَإِذَا رُسُومِكَ يَا دِيَارُ شَوَاخِصٌ
نَفَضَتْ غُبَارَ سِنِينِهَا الفُرْسَانُ

نَهَضَتْ وَفي الكَفَّينِ بَرْقُ نُصُولِهَا
خَطْفٌ وَبَيْنَ ضُلُوعِهَا القُرْآنُ

وَتَلَفَّتَتْ وَالشَّرْقُ بَيْنَ عُيُونِهَا
وَالشَّوْقُ رَقَّ وَهَاجَهُ التَّحْنَانُ

وَتَلَفَّتَ الأَقْصَى وَبَيْنَ جُفُونِهِ
دَمْعٌ وَبَيْنَ ضُلُوعِهِ نِيرانُ

يَتَنَاجَيَانِ وَكُلُّ نَجْوَى حُرْقَةٌ
وَلَظىً يَزِيدُ أُوَارَهُ الحَدَثَانُ

لا تَلْتـقـي الـعَـيْنَـان إلَّا وَالـدِّمَـا
لَهَبٌ وَكُـلٌّ بِطَاحِـهِ بُرْكَـانُ

★ ★ ★

يَا لَوْعَـةَ الأَقْـصَـى! وَدَوَّتْ صَرْخَـةٌ
يَطْوِي صَدَاهَـا ذِلَّـةٌ وَهَـوَانُ

أَيْنَ الـتُّـقَـاةُ! وَمَـا تَقُـومُ بِآيَةٍ
إلَّا وَكَـانَ صَدَى الـقِـيَامِ سِنَـانُ

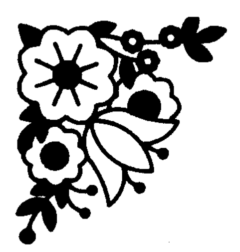
تَحْنِي الـرُّؤُوسَ لِذِي الجَـلاَلَـةِ سُجَّـداً
وَيَمُـدُّ مِنْ عَلْيَائِـهَـا المَـيْدَانُ

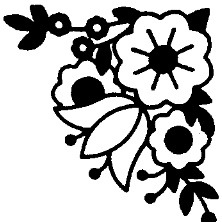
مَهْـوَى الـقُـلوبِ وَلَـيْتَـهَـا إذْ أَقْـبَـلَتْ
أَهْـوَتْ بِسَـاحِـكَ مِنْهُـمُ المُـرَّانُ

يَا لَوْعَـةَ الأَقْـصَـى وَبَـيْنَ ضُلُوعِـهِ
نَارٌ وَفَـوْقَ قِبَـابِـهِ عُدْوَانُ

نَارٌ يَمُـدُّ الحِـقْـدُ كُلَّ أُوَارِهَـا
وَوَقُـودُهَـا الأَمْجَـادُ وَالـتِّـيجَـانُ

وَالمِـنْـبَرُ الـذَّاوِي عَلَى دَرَجَـاتِـهِ
خَطْوُ الـكُـمَاةِ إذَا عَلَتْ وَأَذَانُ





يَتَفَجَّرُ التَّارِيخُ مِنْ أَحْشَائِهَا
شَرَرَاً وَتُنْشَرُ بَيْنَهُ القِيعَانُ

★ ★ ★

وَتَلَفَّتَ الأَقْصَى لِمَكَّةَ لَوْعَةٍ
أُخْتَاهُ! تَنْهَشُ أَضْلُعِي الغِرْبَانُ

أُخْتَاهُ! أَيْنَ المُسْلِمُونَ وَحَشْدُهُمْ
أَيْنَ المَلايِينُ الغُثَاءُ! أَهَانُوا؟

أُخْتَاهُ! وَانْقَطَعَتْ حِبَالُ نِدَائِهِ
وَاغْرَوْرَقَتْ مِنْ دَمْعِهِ الأَجْفَانُ

وَهَوَتْ مَعَاوِلُ كَيْ تَدُقَّ حِيَاضَهُ
وَهَوَتْ عَلى أَمْجَادِهِ الجُدْرَانُ

★ ★ ★

القِبْلَتَانِ مَرَابِعٌ مَوْصُولَةٌ
دَرَجَتْ عَلَى سَاحَاتِهَا الفِتْيَانُ

القِبْلَتَانِ يَمُوجُ بَيْنَهُمَا الهُدَى
نُوراً وَيَخْشَعُ عِنْدَهُ الإِنْسَانُ

القِبْلَتَانِ وَكُلُّ رَابِيَةٍ لَهَا
حَرَمٌ وَكُلُّ شِعَابِهِ أَكْنَانُ

يُهْدِي الحَـمامُ إلى الـشِّـعَـافِ هَدِيلَهُ
وَيَرُدُّ جُنْـحَـيْهِ رِضَـىً وَأَمَـانُ

وَيَضُـمُّ بَيْنَهُـما ظِلاَلَ نُبُـوَّةٍ
وَالـصَّـاحِـبَـيْنِ فَطَابَ مِنْـهُ مَكَـانُ

وَالـكَـعْـبَـةُ الـغَـرَّاءُ بَيْنَ حَجِـيجِـهَـا
نُورٌ وَتَحْـتَ ظِلاَلِـهِ رُكْـبَـانُ

تَتَـقَـطَّعُ الأَيَّامُ مِنْ أَحْـدَاثِـهَـا
وَحَـجِـيجُـهَـا مُتَـوَاصِـلٌ رَيَّانُ

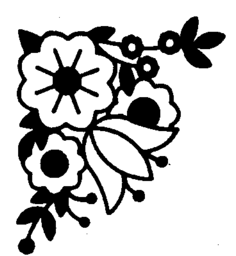
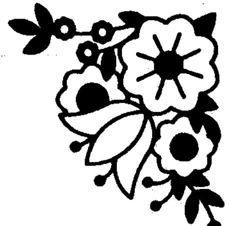
يَسْـعَـى وَمَـا ظَمَـأٌ بِهِ، وَبِهَـاجِـرٍ
ظَمَأُ الـرُّبَى وَرَضِـيعُـهَـا ظَمْآنُ

أَجْـرَى لَهَا الـرَّحْمَـانُ زَمْـزَمَ آيَةً
فَابْـتَـلَّتِ الـسَّـاحَـاتُ وَالأَزْمَـانُ

وَجَـرَى بِكُـلِّ عُرُوقِـهَـا مِنْـهُ هَوَىً
وَصَـفَـتْ على جَنَـبَـاتِهَـا الـغُـدْرَانُ

★ ★ ★

أَمَـقَـامَ إِبْـرَاهِـيمَ وَالـبَـيْتُ الـعَـتِـيـ
ـقُ هُدىً وَآيَاتٌ لَهُ وَبَـيَانُ

الطَّائِفُونَ الرَّاكِعُونَ لِرَبِّهِمْ
خَفَقَتْ قُلُوبُهُمُ وَضَجَّ لِسَانُ

تَتَزَاحَمُ الأَقْدَامُ في سَاحَاتِهِ
وَتَرِفُّ بَيْنَ ظِلَالِهِ الأَبْدَانُ

وَمِنًى صَدَى رَبَوَاتِهَا التَّوْحِيدُ وَالتْـ
ـتَكْبِيرُ وَالإِخْبَاتُ وَالإِذْعَانُ

عَرَفَاتُ سَاحَاتٌ تَضِجُّ وَرَحْمَةٌ
تَغْشَى وَدَمْعٌ بَيْنَهَا هَتَّانُ

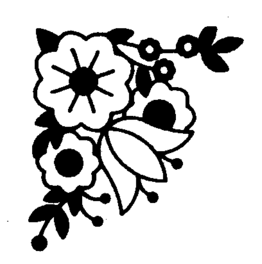
لَبَّيْكَ يَا أَللَّهُ! وَانْطَلَقَتْ بِهَا
رُسُلٌ وَفَوَّحَتِ الرُّبَى وَجِنَانُ

لَبَّيْكَ وَالدُّنْيَا صَدىً وَالأُفْقُ يَرْ
جِعُهَا نَدىً يَبْتَلُّ مِنْهُ جَنَانُ

لَبَّيْكَ وَحْدَكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ الرِضا
اَلخَيْرُ مِنْكَ بِبَابِكَ الإِحْسَانُ

★ ★ ★

لَبَّيْكَ، وَٱلْتَفَتَ الفُؤَادُ وَدَارَتِ آلْـ
ـعَيْنَانِ وَانْفَلَتَتْ لَهَا الأَشْجَانُ



دقَّتْ قَوارِعُها الدِّيَارَ فَزُلْزِلَتْ
تَحْتَ الخُطى الأَرْبَاضُ وَالأَرْكَانُ

جَمَعَتْ مَرَامِيهِ البِلاَدَ فَمشْرِقٌ
غَافٍ وَغَرْبٌ لَفَّهُ النِّسْيانُ

★ ★ ★

أَيْنَ الحَجِيجُ! وَكُلُّ قَلْب ضَارِعٌ
وَمَشَارِفُ الدُّنْيَا لَهُ آذَانُ

نَزَعُوا عَنِ السَّاحَاتِ وَانْطَلَقَتْ بِهِمْ
سُبُلٌ وَفَرَّقَ جَمْعَهُمْ بُلْدَانُ

وَطَوَتْهُمُ الدُّنْيَا بِكُلِّ ضَجِيجِهَا
وَهَوىً يُمَزِّقُ شَمْلَهُمْ وَهَوَانُ

وَمَضى الحَجِيج كَأَنَّهُ مَا ضَمَّهُمْ
عَرفَاتُ أَوْ حَرَمٌ لَهُ وَمَكَانُ

بِالأَمْسِ كَمْ لَبَّوا عَلى سَاحَاتِهِ
بِالأَمْسِ كم طَافُوا هُنَاكَ وَعَانُوا

عَرَفَاتُ سَاحَاتٌ يَمُوتُ بِهَا الصَّدى
وَتَغِيبُ خَلْفَ بِطاحِهِ الأَلْوَانُ

لَـمْ يَبْـقَ في عَرَفَـاتَ إلَّا دَمْـعَـةٌ
سَقَـطَتْ فَبَـكَّـتْ حَوْلَهَـا الوُدْيَانُ

هِيَ دَمْـعَـةُ الإسْـلَام يَلْمَـعُ حَوْلَهَـا
أَمَـلٌ وَتُهْـرَقُ بَيْنَهَـا الأَحْـزَانُ

* * *

يَا أُمَّـةَ الـقُـرْآن دَارُكِ حُلْوَةٌ
مَا طَوَّفَـتْ ذِكْـرَى وَهَـاجَ حَنَـانُ

مَغْـنَـاكِ مَنْـثُـورُ الأَزَاهِـرِ كُلُّهَـا
عَبَـقٌ إذا خَضِرَتْ بِهِ الـعِـيدَانُ

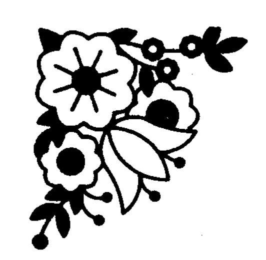
لا أَنْـتَـقِـي مِنْ غَرْسِ رَوْضِـكِ زَهْـرَةً
إلَّا وَكَـانَ عَبِـيرَهَـا الإِيمَانُ

يَشْـكُـو! وَيَشْـكُـو كُلُّ مَنْ عَرَفَ الهَـوى
أَوْ هَاجَـهُ مِنْ طَرْفِـكِ الحِـرْمَـانُ

ذَبُـلَتْ أَزَاهِـرُهُ وَصَـوَّحَ رَوْضُـهُ
وَبَـكَـى على أَطْـلَالِـهِ الـسُّـكَّـانُ

* * *

يَا أُمَّـةَ الإسْـلَام قَدْ عَظُمَ الـبَـلا
وَارْبَـدَّ في سَاحَـاتِـكِ الـطُّغْـيَانُ



أَفَـلَتَّ حَبْـلَ اللهِ وَارْتَخَـتِ الـعُـرى
وَجَـرَتْ على سَاحَـاتِـكِ الـقِـطْعَـانُ

وَهَـجَـرْتِ قُرْآنـاً وَسُـنَّـةَ أَحْمَـدٍ
يَا وَيْلَ مَنْ يَنْـأى بِهِ الهِجْرَانُ

لَوَيْتِ عَنْـهُ الـطَّرْفَ فَانْـتَـفَضَ الأَسَـى
يَلْوِي زِمَـامَ قِيَادِكِ الـشَـيْطانُ

لَوَّتْ بِكِ الأَيَّامُ في حَوْمَـاتِهَـا
وَرَمَـاكِ بَيْنَ ضُرُوسِـهِ الـعِـصْيَانُ

دَارَتْ بِكِ الآثَـامُ مَوْجَـاً عَارِمَـاً
وَهَـوَى بِقَـاعِ صَدِيدِهَـا الـشُّبَّـانُ

وَنَـبَـا عَنِ ٱلـسَّـاحَـاتِ عِلْمُـكِ وَانْـطَوى
ثَوْبٌ يَلُمُّ ذُيُولَـهُ الخُسْرَانُ

* * *

يَا أُمَّـةَ الـقُـرْآنِ أَيْنَ شَمَائِـلٌ
زَهَـرَتْ بِهَا دَارٌ وَعَـزَّ مَكَـانُ

أَطَـوَيْتِ مِنْ خُلُقِ الـرَّسُـولِ صَحَـائِـفـاً
عَطِرَتْ فَعَـطَّرَ ذِكْـرَهَـا الـقُـرْآنُ

خُلُقُ الـرِّجَـالِ مَعَـادِنٌ لَكِ يُنْـتَـقَـى
مِنْ بَيْنِهَـا الـيَاقُـوتُ وَالَمـرْجَـانُ

فَرَمَـيْتِـهَـا خَلْفَ الـظُّهُـورِ وَرُمْـتِ مَا
تَشْـقَـى بِهِ الأَجْـيَالُ وَالأَوْطَـانُ

وَأَخَـذْتِ مِنْ كُلِّ الـشُّـعُـوبِ ضَلاَلَـةً
فَرَمَـاكِ في ظُلُمَاتِـهِ الـكُـفْـرَانُ

أَلْـقَـتْ بِسَـاحَـتِـكِ الـدِّيَارُ ضَرِيعَـهَـا
فَحَـسِـبْـتِ أَنَّ ضَرِيعَـهَـا الـرَّيْحَـانُ

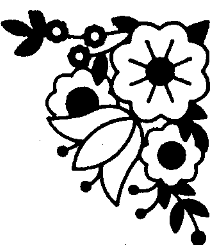
* * *

أَصْـحَـابَ أَحْمَـدَ! أَيْنَ مِنَّـا جَوْلَـةٌ.
بَرِقَـتْ عَلى رَهَـجِ الـقَـنَـا الـشُّـهْـبَـانُ

أَكَـتَـائِـبَ الـرَّحْمَـانِ أَيْنَ رِسَـالَـةٌ
فَتَـحَـتْ قُلوبَ الـعَـالَمِـينَ فَدَانُـوا

قُومِـي انْـظُرِي الأَحْـفَـادَ! كَيْفَ نُفُـوسُـهُمْ
هَانَـتْ عَلَيْهَـا الَمـكْـرُمَـاتُ فَهَـانُـوا

رُدِّي عَلَيْنَـا مِنْ هُدَاكِ وَلَـقِّـنِـي
شَرَفَـاً: حِيَاضُ الـدِّينِ كَيْفَ تُصَـانُ



وَضَـعـي على الـكَـفَّـين بَارِقَ صَارِم
للَّهِ! تَهْوِي دُونَـهُ الأَوْثَـانُ

وَاجْـلي الـقُـلوبَ بفَـيْض نُورِ مُحَمَّـدٍ
لَا الشِّرْكُ بَيْنَ شِغَـافِـهَـا وَالـرَّانُ

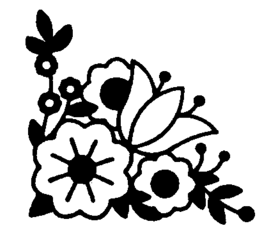
هَلَّا أَعَـدْتِ إلى الـرُّبَـى يَرْمُـوكَـهَـا
وَالـشَّـاطِئَـانِ مِنَ الـدِّمَـاءِ دِهَـانُ

هَلَّا أَعَـدْتِ إلى الـقُـلُوبِ يَقِـينَهَـا
وَالـبُشْرَيَاتُ نَوَاضِرٌ وَجِـنَـانُ

عَهْـدٌ مَعَ آلْـرَّحْـمَانِ أَوْفَى حَقَّـهُ الـتـ
ـتَـوْرَاةُ وَالإِنْـجِـيلُ وَآلْـقُـرْآنُ

١٩٧٢







إلى روح الشاب المؤمن المجاهد الذي نزّح عن أرض فلسطين، إلى السجون إلى هنا وهناك يعمل ويجاهد فقضى هناك في ريعان شبابه واخضرار جهاده.

الشهيد

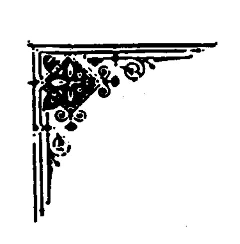
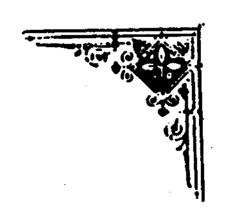
رَجِّعِي يَا رِمَالُ مِنْ أَلْحَانِهْ
وَأَعِيدِي القَصِيدَ فِي مَهْرَجَانِهْ

مَوْكِبٌ شَقَّ فِي بَوَادِيكِ آمَا
لًا وَمَدَّ النَّدِيَّ مِنْ رَيْحَانِهْ

يَنْشُرُ الطَّيْرُ مِنْ ظِلالِ جَنَاحَيْـ
ـهِ وَيَهْوَى السَّحَابُ طِيبَ مَكَانِهْ

يَا رِمَالَ الصَّحْرَاءِ دُونَكِ رَوْضٌ
رَقَّ فِي ظِلِّهِ وَخَفْقَةِ بَانِهْ

أَيْنَ مِنْهُ الهَجِيرُ وَالظِّلُّ مَمْدو
دٌ وَهَذا الرَّبِيعُ فِي رَيْعَانِهْ

فَاهْـنَـئِـي يَا رِمَـالُ! ضُمِّـي شَذَاهُ
وَانْشُرِي الـطِّيبَ أَكْـرِمِـي مِنْ شَانِـهْ

إِنَّـهُ وَمْـضَـةُ الـشَّـبَـابِ بَرِيقٌ
غَابَ تَطْوِي الْآفَـاقُ مِنْ لَمَـعَـانِـهْ

حَلَّ فِي رَوْضَـةٍ فَأَغْـفَـتْ عَلَيْهِ
أُمْـنِـيَاتٌ خَفَـقْـنَ مِنْ وِجْـدَانِـهْ

★ ★ ★

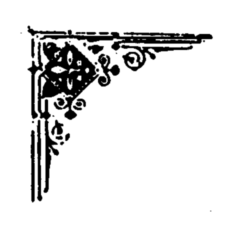
رَوْضَـةُ. الحَـقِّ! وَالـشَّـبَـابُ أَزَاهِـيـ
ـرُ وَطِـيبٌ يَـرِفُّ مِنْ أَغْـصَـانِـهْ

لَمْ تَزَلْ تَنْـتَـقِـي يَدُ الحَـقِّ مِنْهَـا
وَرْدَةً بَعْـدَ وَرْدَةٍ لِجِنَـانِـهْ

هِيَ عُقْـبَـى الإِيمَانِ، غَايَةُ آجَـا
لٍ، سِبَـاقٌ يَعِجُّ مِنْ فُرْسَـانِـهْ

فَلَبِـيبٌ مَاضٍ يَرُدُّ هَوَى الـنَّـفْـ
ـسِ وَيَرْتَـادُ مُمْسِـكـاً بِعِـنَـانِـهْ

وَجَـهُـولٌ تَاهَـتْ عَلَيْهِ أَمَـانِـيـ
ـهِ وَأَلْـقَـتْـهُ فِي خِضَـمِّ افْـتِـتَـانِـهْ




غيْرَ أنَّ الفِرَاقَ لَوْعَةُ أكْبَا
دِ وَجَمْرٌ يَزيدُ مِنْ حَرَّانِهِ

دَمْعَةٌ لَمْ تَجِفَّ مِنْ أمْسِيَ الغا
بِرِ قلبٌ مَازَالَ في خَفَقَانِهْ

كَمْ تَرَاني شَيَّعْتُ مِنْ صَاحِبٍ أوْ
مِنْ خَلِيلٍ أوْفَى عَلى خِلَّانِهْ

وَظَنَنْتُ الدُّمُوعَ جَفَّتْ عَلَيْهِ
وَالمآسِي نَامَتْ عَلى أحْزَانِهْ

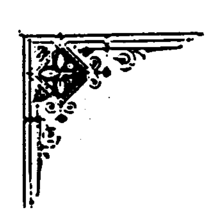
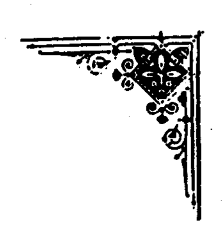
وَإذَا بِالقَضَاءِ أسْرَعُ مِنْ ظَنْـ
ـنٍ وَأمْضَى في حَدِّهِ وَسِنَانِهْ

وإذَا بِالمُصَابِ أعْظَمُ من دمْـ
عٍ وَأقْسَى مِنَ الأسَى أو بيَانِهْ

جَامِحٌ في الضُّلُوعِ يَقْطَعُ أحْنَا
ءَ وَيَفْرِي الكُبُودَ في حَدَثَانِهْ

* * *

حَمَلَتْهُ الوُرُودُ وَالطِّيبُ فوَّا
حٌ وَرَفَّ النَّدَى على أكْفَانِهْ

وَالأَمَـانِيُّ حَوْلَـهُ صَادِقَـاتٌ
وَرَجَـاءٌ بِالـلَّهِ فِي غُفْـرَانِـهْ

مَا تُمَدُّ الأَكُـفُّ إِلَّا لِتَلْقَـى
مِنْ شَذاً مُنْـعَـمٍ عَلى جُثْـمَانِـهْ

شَيَّعَـتْـكَ الـعُـيُونُ وَالـغُـصَّـةُ فِي النَّفْـ
ـسِ وَأَرْخَـى الـفُـؤادُ دَفْـقَ حَنَـانِـهْ

فَمَـضَـى! وَابْـتِـسَـامَـةُ الـثَّـغْـرِ إِشْرَا
قٌ وَنُـورٌ يَفِضُّ مِنْ كِتْـمَانِـهْ

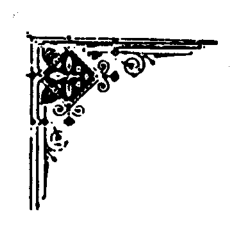
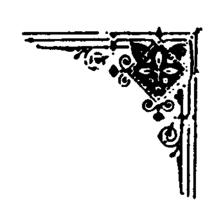
أَيُّ نَجْـوَى سَرَتْ مِنَ الـقَـبْرِ فِي هَذْ
أَةِ لَيْلٍ غَافٍ عَلى أَحْـزَانِـهْ

وَالـسُّـكُـونُ الـرَّهِـيبُ! فَانْـتَـفَضَ اللَّيْـ
ـلُ وَأَصْـغَـى لِآيَةٍ مِنْ بَيَانِـهْ

مَكْـرُمَـاتُ الإِيمَانِ مُعْـتَرَكُ الحَـقْـ
ـقِ خِضَـمٌّ يَمُـوجُ فِي مَيْدَانِـهْ

★ ★ ★

أَيْنَ «لِـيمَانُ» وَالمَـوَاكِـبُ أَمْـوَا
جُ جِهَـادٍ هَزَزْنَ مِنْ بُنْـيَانِـهْ

وَجُنُونُ السِّيَاطِ يَبْرقُ في اللَّيْـ
ـلِ يَشُقُّ الظَّلْمَاءَ عَنْ طُغْيَانِهْ

صَابِراً وَالسِّيَاطُ مَزَّقَهَا الصَّبْـ
ـرُ وَأَعْيَاهَا مِنْهُ ثَبْتُ جَنَانِهْ

بَيْنَ نَزِّ القُرُوحِ أَوْ عَضَّةِ السَّوْ
طِ خُشُوعٌ يَزِيدُ مِنْ إيمَانِهْ

وَالنَّدَى وَارْتِعَاشَةُ الرُّوحِ وَالأَمْـ
ـنِ وَهٰذِي الظِّلَالُ مِنْ قُرْآنِهْ

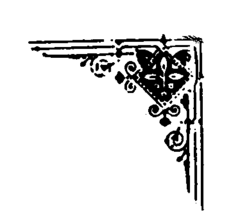
عَالَمٌ طَيِّعُ الأَمَانِيِّ عُلْوِ
يٌّ نِدَاءَاتُهُ عَلَى أَجْفَانِهْ

أَيْنَ سَاحَاتُهُ وَأَيْنَ صَدَاهَا
غَابَ مِنْهَا الصَّدَى عَلَى جُدْرَانِهْ

★ ★ ★

يَا قَصِيَّ المَزَارِ . يَا نَائِيَ الدَّا
رِ وَيَا لَاجِئاً إلى رَحْمَانِهُ

أَيُّ ظِلٍّ أَهْدَى إِلَيْكَ مِنَ الطَّـ
ـلِّ وَأَرْخَى النَّدِيَّ مِنْ أَفْنَانِهْ



إنَّــهُ مِنْ رُبَــى دِيَارِكَ حَنَّــتْ
لِمُحَــيَّاكَ فَالــتَــقَــتْ بِحَــنَــانِــهْ

كم بَكَــى مَنْــزِلٌ مُدَمًّــى أَسَــاهُ
وَشَــكَــا قَهْــرَهُ وَطُــولَ هَوَانِــهْ

مَنْ لِهَذا الــنِّــدَاءِ قَدْ قَرَعَ الأُفْـ
ـقَ وَدَقَّ الــقُــلوبَ في عُنْــفُــوَانِــهْ

غَابَ في حَمْأَةِ الــغَــوَايَاتِ أَقْــوَا
مٌ وَصَــمُّــوا الآذانَ عَنْ أَشْــجَــانِــهْ

فَاصْــبِري يَا دِيَارُ! وَالحَــقُّ غَرْسٌ
كُلُّ غَرْسٍ يَطِيبُ عِنْــدَ أَوَانِــهْ

يَعْــتَــلِي سَرْوَةَ الْمُــرُوءَاتِ يَطْوي
مِنْ جَنَــاهَــا مَنْ عَزَّ في أَيمَانِــهْ

مُؤْمِــنٌ مَدَّ لِلْعَــقِــيدَةِ مَيْدَا
نًا وَكَــانَ الجِــهَــادُ زَهْــوَ زَمَــانِــهْ

١٩٧٤

★ ★ ★

رجل أنعم الله عليه بمال ومنصب فالتفَّت حوله الخلان. ثم حال الزمان، وابتلاه الله بعسر ومرض، وانفضَّ من حوله الكثيرون إلا العدد القليل.

إليه

أَيُّهَا الشَّاكِي بِأَنَّاتِ السَّقَمْ
هَلْ هَوَى الصَّبْرُ وَخَانَتْكَ الهِمَمْ

وَانْتَهَتْ فِي جِسْمِكَ الوَاهِي قُوًى
وَاسْتَوَى عِنْدَكِ يُسْرٌ وَأَلَمْ

***

كم مَشَتْ مِنْ حَوْلِكَ الدُّنْيَا وَكَمْ
كُنْتَ تَلْقَى عِنْدَهَا حُلْوَ النِّعَمْ

وَرَأَيْتَ العُمْرَ يَطْوِي بَعْضَهُ
بَيْنَ أَفْرَاحٍ وَطِيبٍ وَنَغَمْ

* * *

أَتَعِيشُ اليَوْمَ فِي عَهْدٍ مِضَى
وَيَعَضُّ القَلْبَ أَنْيَابُ النَّدَمْ



أَمْ تُرَى انْسَبْتَ مَعَ الأَحْلَامِ في
لَوْعَةِ الذِّكْرَى وَعَهْدٍ لَمْ يَدُمْ

كَأْسُكَ الثَّرَّةُ رَوَّى مَاؤُهَا
مِنْ حَوَالَيْكَ أُنَاسَاً! كَمْ وَكَمْ

بَيْتُكَ الرَّحْبُ احْتَمَى في ظِلِّهِ
صَاحِبٌ كم صَاحِبٍ فِيهِ اعْتَصَمُ

لَمْ تَكُنْ تَلْقَى لَدَى عَرْصَاتِهِ
لَكَ، لَوْ شِئْتَ، سَرِيراً أَوْ قَدَمْ

وَتَرَى الخِلَّانَ كم بَشُّوا لَدَى
ظِلِّكَ الوَارِفِ! كم ثَغْرُ بَسَمْ

★ ★ ★

وَمَضَى الدَّهْرُ وَغَابَتْ نِعَمٌ
وَطَوَى العِزَّ بِأَثْوَابِ السَّقَمْ

جَفَّتِ الكَأْسُ وَضَاقَتْ سَاحَةٌ
أَيْنَ خِلَّانُكَ أَرْبَابُ الشَّمَمْ

وَانْثَنَى مِنْ حَوْلِكَ النَّاسُ فَمَا
مِنْ صَدِيقٍ مُشْفِقٍ أَوْ ذِي رَحِمْ



عفَتِ الدُّنْيَا عَلى أَصْحَابِهَا
وَمَضَتْ قِصَّتُهُمْ تَتْلُو الحِكَمْ

فَإذا تَصْحُو عَلَيْهِمْ بَعْدَ ذا
أيُّهَا الصَّاحِ! فَلا تَصْحُ وَنَمْ

★ ★ ★

نَهَضَ الشَّيْخُ عَلى أَسْقَامِهِ
يَدْفَعُ الأَنَّةَ مِنْ كِبْدٍ وَفَمْ

قَالَ : مَا العِزَّةُ إلَّا لِلَّذي
صَدَقَ اللَّهَ وَأَوْفَى بِالذِّمَمْ

لا بِمَالٍ عِزُّنَا أَوْ مَنْصِبٍ
يُورِثُ الذُّلَّ وَغَصَّاتِ النَّدَمْ

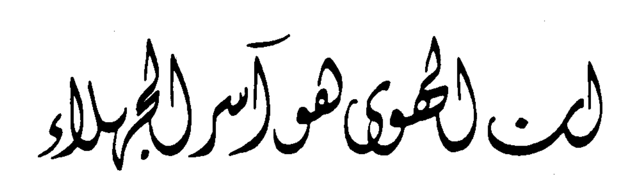
لَمْ يَزَلْ حَوْلِي إخْوَانُ الهُدَى
صُحْبَةَ الحَقِّ وَعَهْداً مَا انْفَصَمْ

١٩٥١



★ ★ ★





كَاتِمْ فُؤادَكَ عَنْ هَوىً لِظِبَاءِ
وَانْشُدْ مَطَالِعَ رِفْعَةٍ وَعَلاَءِ

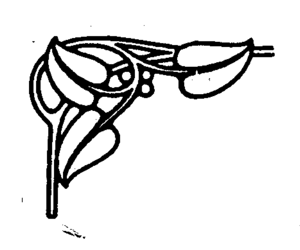
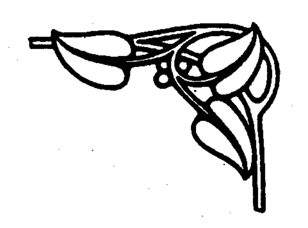
وَاغْنَمْ بِمَطْلَعِهَا فَلَيْسَ لِطَالِعٍ
فَلَكُ الدَّوَامِ وَطِيلَةٌ لِبَقَاءِ

وَاغْنَمْ إذَا سَمَحَ الزَّمَانُ بِفُرْصَةٍ
فُرَصٌ تُطِلُّ وَتَنْتَهِي لِخَفَاءِ

يَبْدُو إِلَيْكَ الحَظُّ وَهُوَ مُقَلَّبٌ
كَتَقَلُّبِ الأَنْوَارِ فَوْقَ المَاءِ

★ ★ ★

أَمَلٌ تُظَلِّلُهُ الهُمُومُ كَأَنَّهُ
شَمْسٌ وَرَاءَ سَحَابَةٍ دَكْنَاءِ

فَاصْبِرْ لَعَلَّ الدَّهْرَ يَأْذَنُ بُرْهَةٍ
وَيُعِدُّ لِلآمَالِ يَوْمَ لِقَاءِ

وَاصْبِرْ عَلَى غُصَصِ الزَّمَانِ وَصرْفِهِ
وَهُبُوبِ عَاصِفَةٍ مِنَ الأَنْوَاءِ

وَالدَّهْرُ يُلْقِي لِلأَنَامِ مَوَاعِظاً
هَيْهَاتَ مُدْرِكُ خُطْبَةِ الأَرْزاءِ

خُطَبُ الزَّمَانِ بِخَطْبِهِ فَكَأَنَّما
خَطَبَ الزَّمَانُ كَأَبْلَغِ الخُطَبَاءِ

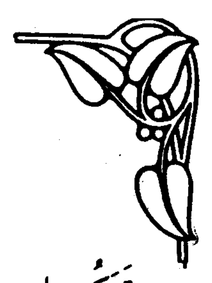
★ ★ ★

وَالنَّاسُ إِنْ عَصَفَ الزَّمَانُ عَلَيْهِمُ
وَأَتَى يَكِرُّ بِحَمْلَةٍ هَوْجَاءِ

يَتَصَارَعُوا إِذْ لا تَرَى مِنْ سَائِلٍ
عَنْ خُلَّةٍ أَوْ مُثْبِتٍ لِبِنَاءِ

شَرِبَتْ نُفُوسُهُمُ الخِدَاعُ فَما لَهُمْ
غَيْرُ الخِدَاعِ وَسِيلَةٌ لِنَجَاءِ

لَا يَبْتَغُونَ مِنَ الحَيَاةِ سِوَى هَوىً
إِنَّ الهَوى هُوَ آسِرُ الجُهَلاءِ



تركُوا حِمى الـرَّحمـانِ وَانْـقـادُوا إلى
شَيْطانِهِمْ بِمَـذَلَّـةٍ وَرِضَـاءِ

***

لا تَيْأَسِي يا نَفْسُ إنْ عَبَسَ الـزَّمَـا
نُ فما الـقُـنُـوطُ بِمُـذْهِـبِ الـبَـأْسَـاءِ

أنْـتِ الـعَـزيزَةُ : هَلْ يُرَدُّ بنَـظْرَةٍ
أَسَـدٌ وَيُخْـدَعُ بِابْـتِـسَـامِ مُرائِـي

١٩٤٤

* * *





عزة الإيمان

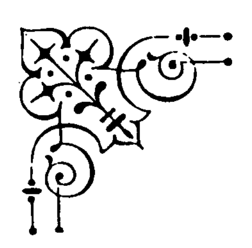
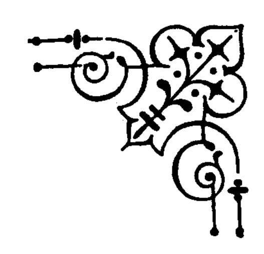
أرَى الـلَّيْلَ غارَتْ في الـسَّـماءِ كَواكِـبُـهْ
فَغـارَ فُؤادِي وَالُهـمـومُ نَوادِبُـهْ

أَنـا ابْـنُ هُمُومِ الـدَّهْـرِ حِينَ تَمَخَّـضَـتْ
مَصَـائِـبُـهُ عَنْ عُسْرَةٍ وَنَـوائِـبُـهْ

تَسَرْبَـلْتُ جِلْبـابَـاً مِنَ الـصَّـبْرِ ضَافِـياً
وَلِـلْصَّـبْرِ جِلْبَـابٌ تَطُولُ ذَوائِـبُـهْ

أَسِـيُر على نُورٍ مِنَ الـلَّهِ في الـدُّجَـى
وَأَحْـدُو رِكَـابِي حَيْثُ تَبْـدُو مَضَـارِبُـهْ

وَلي رَائِـدٌ يَحْدُو رِكَـابِيَ لِلْعُـلا
وَيَبْـغـي مَنَـالاً قَدْ تَعِـزُّ مَرَاتِـبُـهْ

وَمَا يَئِسَتْ نَفْسِي الطَّموحَةُ إذْ رَأَتْ
عَلى الأُفْقِ جَوْناً قَدْ تَعَكَّرَ جَانِبُهْ

وَلِي هِمَّةٌ مَا فَلَّ غَرْبَ[1] مَضَائِهَا
زَمَانٌ إذا جَارَتْ عَلَيْهَا مَصَائِبُهْ

فَلِي عِزَّةُ الإيْمَانِ أَغْلَى مَرامِهَا
جِنَانٌ! فَأَنْعِمْ بالَّذِي أَنْتَ طَالِبُهْ

أَغَابَ زَمَانٌ كانَ يَحْلو دَوامُهْ
وَجَاءَ زَمَانٌ لَا تُعَدُّ مَعَايِبُهْ

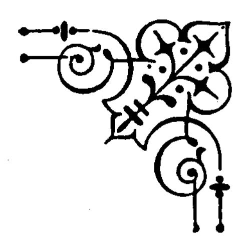
تَوارَتْ بِهِ الآسَادُ خَلْفَ حِيَاضِهَا!
أَطَلَّتْ عَلى الآجَامِ فِيْهِ أَرَانِبُهْ

فَذَاكَ صَدِيقٌ كُنْتَ تَرْجُو وَفَاءَهْ
تَنَمَّرَ وَامْتَدَّتْ إِلَيْكَ مَخَالِبُهْ

وَذَاكَ خَلِيْلٌ كُنْتَ تَأْمَنُ جَنْبَهْ
تَقَلَّبَ أَفْعَى فَانْبَرَيْتَ تُجانِبُهْ

وَذَاكَ عَزِيزٌ كُنْتَ تَشْهَدُ عِزَّهْ
فَصَارَتْ عَلى ذُلٍّ تَنَامُ جَوانِبُهْ

(١) غرب: نشاط، حدة



وَذاكَ خليٌّ قَدْ أَمِنْتَ صِلاتَهُ
تَكَشَّفَ مِنْهُ خُبْثُهُ وَغَياهِبُهْ

فَهٰذي حَياةٌ قَدْ بَلَوْتَ غِمارَها
وَهٰذا زَمانٌ قَدْ أَتَتْكَ عَجائِبُهْ

عَلى صَفْحَةِ التّاريخِ خَطَّ مَواعِظاً
وَفي حُفَرِ الآباءِ سُنَّتْ مَذاهِبُهْ

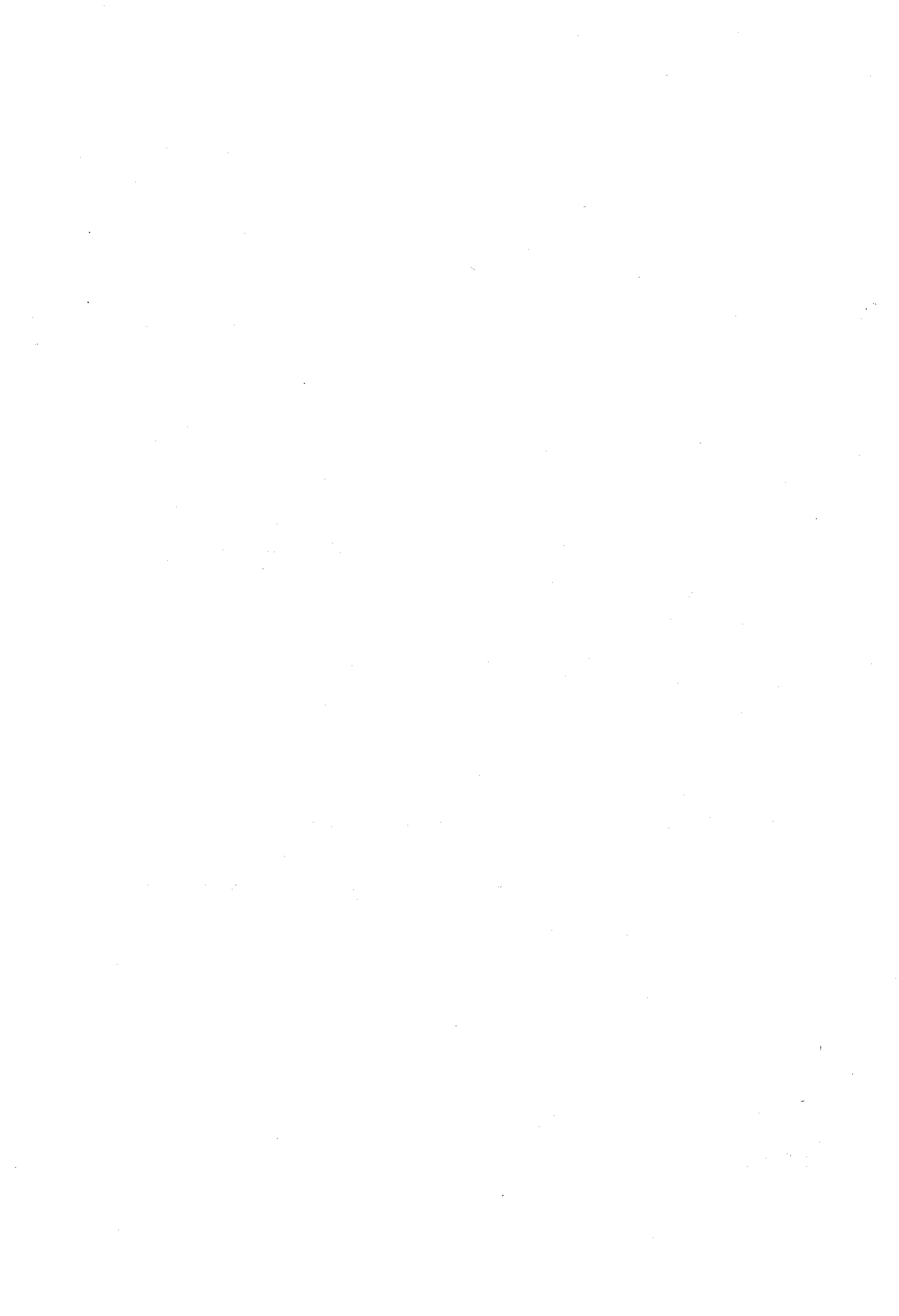
وَفي جَبْهَةِ الشَّيْخِ العَجُوزِ لَهُ يَدٌ
وَفي قَلْبِهِ آياتُهُ وَمَآرِبُهْ

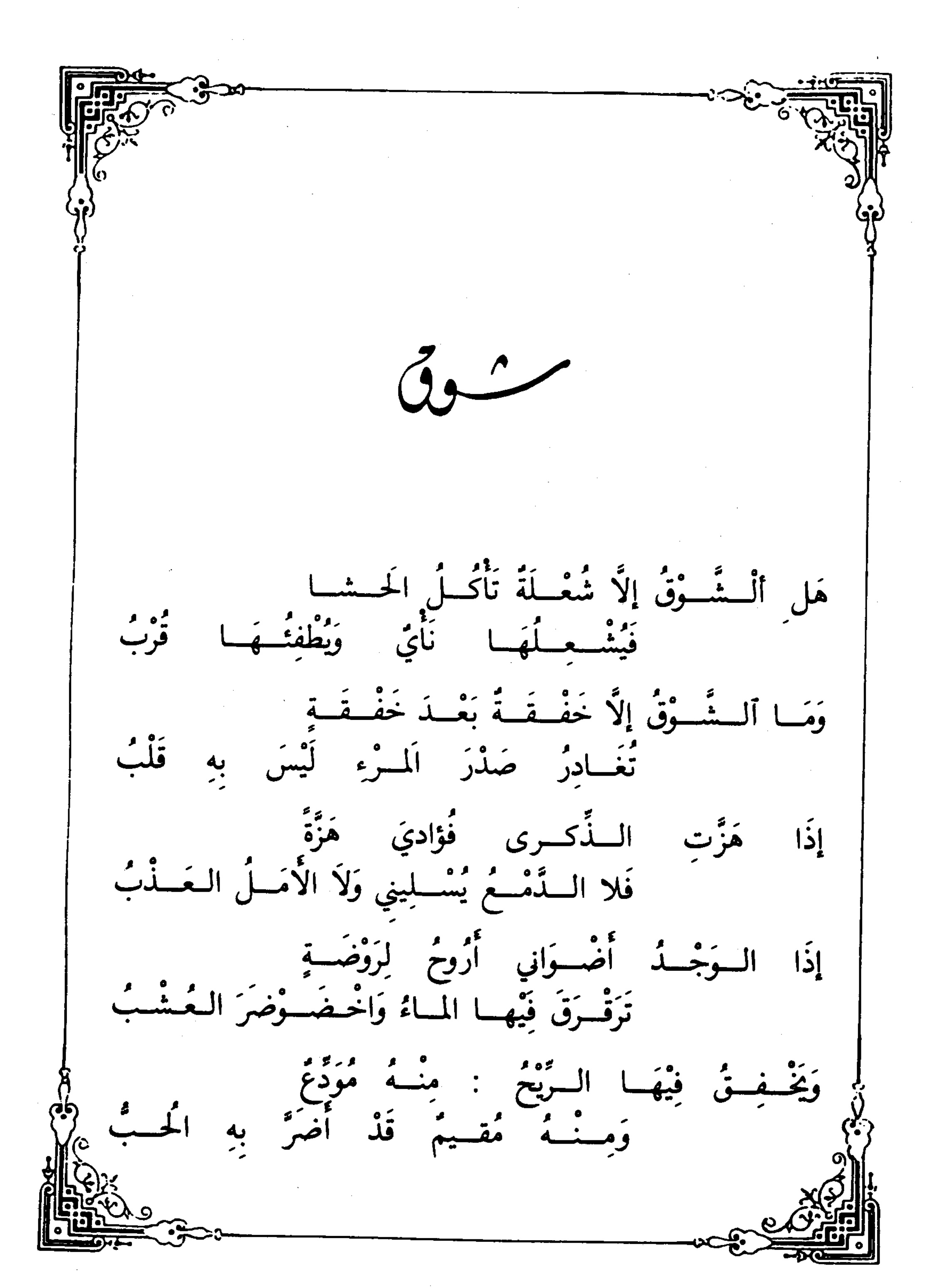
هُوَ اللّٰهُ رَبُّ الكَوْنِ دَبَّرَ أَمْرَهُ
وَكُلُّ الَّذي تَلْقَى سَتَبْدُو عَواقِبُهْ

هِوَ الحَقُّ، وَالآياتُ بَيَّنَها لِمَنْ
أَرادَ لَها سَمْعاً وَصَحَّتْ رَغائِبُهْ

١٩٤٤

* * *





شوق

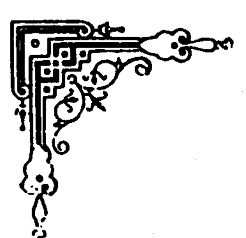
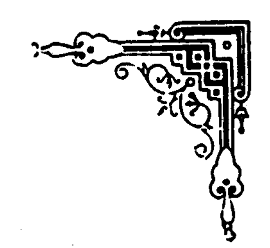
هَل ِ ألْـشَّـوْقُ إلاَّ شُعْـلَةٌ تَأْكُـلُ الحَـشـا
فَيُشْـعِـلُهَـا نَأْيٌ وَيُطْفِئُـهَـا قُرْبُ

وَمَـا آلـشَّـوْقُ إلاَّ خَفْـقَـةٌ بَعْـدَ خَفْـقَـةٍ
تُغَـادِرُ صَدْرَ آلمَـرْءِ لَيْسَ بِهِ قَلْبُ

إذَا هَزَّتِ الـذِّكـرى فُؤادِيَ هَزَّةً
فَلا الـدَّمْـعُ يُسْـلِينِي وَلاَ الأَمَـلُ الـعَـذْبُ

إذَا الـوَجْـدُ أَضْـوَانِي أَرُوحُ لِرَوْضَـةٍ
تَرَقْـرَقَ فِيْهَـا المَـاءُ وَاخْـضَـوْضَرَ الـعُـشْـبُ

وَيَخْـفِـقُ فِيْهَـا الـرِّيْحُ : مِنْـهُ مُوَدِّعٌ
وَمِـنْـهُ مُقـيمٌ قَدْ أَضَرَّ بِهِ الحُـبُّ

يُعَانِقُ فِيْهَا الزَّهْرَ وَالزَّهْرُ طَيِّعٌ
يَمِيْلُ فَيَرْضَى ثُمَّ يَبْدُو لَهُ رَيْبُ

فَيَا أَيُّهَا الزَّهْرُ الَّذِي دَأْبُهُ الهَوى
يُصَادِقُهُ حِبٌّ وَيَخْدَعُهُ حِبُّ

إِذَا مَرَّ يَوْمَاً قُرْبَ رَوْضِكَ عَاشِقٌ
فَحَدِّثْهُ مَاذَا يَفْعَلُ العَاشِقُ الصَّبُّ

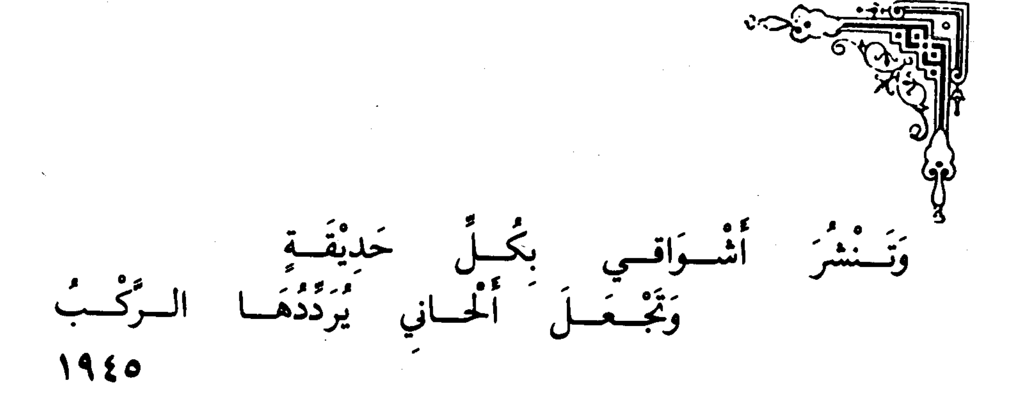
وَمَا بَالُ هَذا آلْطَّيرِ يَشْدُو كَأَنَّهُ
أُصِيْبَ بِمَقْدُورٍ يَطِيْرُ لَهُ اللُّبُّ

أَمِ الوَجْدُ أَشْجَاهُ فَأَرْسَلَ نَغْمَةً
يُدَاوي الَّذِي قَدْ حَارَ فِي أَمْرِهِ الطِّبُّ

تَنَقَّلَ مَا بَيْنَ آلغُصُونِ كَأَنَّهُ
يُفَتِّشُ عَنْ إِلْفٍ تَقَاذَفَهُ الخَطْبُ

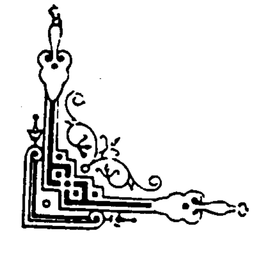
أَثَرْتَ الهَوى يَا طَيْرُ فِي كُلِّ رَوْضَةٍ
فَمَالَ يُنَاجِي إِلْفَهُ الغُصُنُ الرَّطْبُ

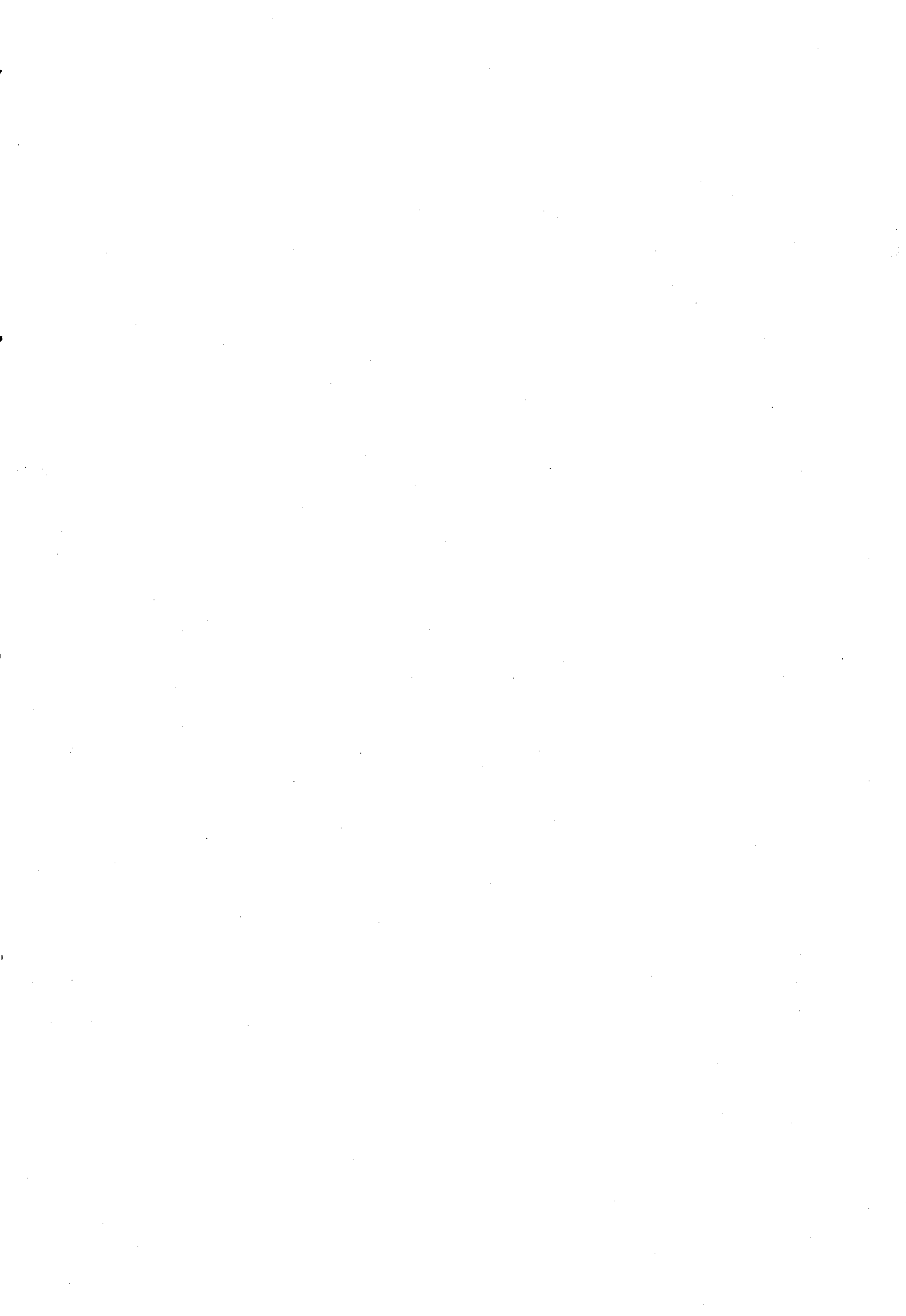
فَهَلْ تُبْلِغَنْ يَا طَيْرُ بَعْضَ رَسَائِلِي
فَيُنْزِلَكَ الوَادِي وَتَرْفَعَكَ الهُضْبُ



وَتَــنْشُرَ أَشْــوَاقــي بِكُــلِّ حَدِيْقَــةٍ
وَتَجْــعَــلَ أَلْحَــانِي يُرَدِّدُهَــا الــرَّكْــبُ

١٩٤٥





حنين

هَلْ شَجَتْكَ الذِّكْرَى فَهذا حَنِينُ
أَمْ عَرَفْتَ البَلْوى فَهذا أَنِينُ

إيهِ يَانَفْسُ أَجْمِلي جَزَعاً وَآبْـ
ـتَسِمي كُلُّ فُرْقَةٍ سَتَهُونُ

لا دُمُوعِي تَسِيلُ، لَيْسَتْ جُفُوني
تَتَشَكَّى، وَالقَلْبُ لَيْسَ يَلِينُ

أَنْتَ يَا شِعْرُ سِرْ إِذَا وَقَفَ الدَّمْـ
ـعُ وَلَمْ تَنْطِقْ بِالشَّكَاةِ الجُفُونُ

هلْ جَفَاكَ المُحِبُّ بَعْدَ وِصَال
وَمَضَى لَيْسَ ذَاكِراً مَا يَكُونُ

١٩٤٦



كان رفيق الدراسة، ورفيق اللجوء ثم غادر إلى أمريكا للدراسة.

أعرني جناحك يا صاحبي

أَضَـجَّ فُؤادُكَ أَمْ هَاجَـهُ
لَعُـوبٌ هُنَـاكَ تَهُزُّ الـوَتَـرْ

مُدَلَّهَـةً غَنَـجَـتْ وَانْـثَـنَـتْ
تَصُـدُّ وَتُـبْـدِي الحَـيا وَالخَـفَـرْ

كَأَنَّـكَ مِنْ وَحْـيِهَـا شَاعِـرٌ
وَمِـن حُسْـنِهَـا تَسْـتَـعِـيُر الـدُّرَرْ

فَهَـلْ حَمَلَتْـكَ لِماضٍ تَوَلَّى
وَهَـيَّجَ حِسَّـكَ عَهْـدٌ غَبَرْ

وَأَدْمَـى جِرَاحَـكَ مَا أَنْـتَ فِيْهِ
وَحِـرْتَ بِمُـسْـتَـقْـبَـلٍ مُنْـتَـظَرْ



أفِقْ ها هُنا نغَمٌ مُسْتَحَبٌّ
وَوَحْيٌ يُعِيدُ بَدِيعَ الصُّوَرْ

وَذِكْرَى تَرَدَّدُ في أَضْلُعي
وَطَيْفٌ مِنَ الحُلُمِ المُسْتَمِرْ

★ ★ ★

فَيا صَاحِبي حَمَلَتْكَ اللَّيالي
تَشِعُّ كأَنَّكَ نَجْمٌ أغَرْ

وَيَا صَاحِبي نَقَّلَتْكَ آلْرِّيَاضُ
فَلَسْتَ هُنا أَوْ هُنَا تَسْتَقِرْ

فَإِنَّكَ يَا صَاحِ طَيْرٌ طَلِيقٌ
وَمَا زِلْتُ في قَفَصي أَنْتَظِرْ

فَقَدْ حَبَسُوا المَاءَ عَنِّي وَقَصُّوا
جَنَاحَيَّ ظُلْمًا فَأَيْنَ المَفَرْ

أَأَشْكو . . ؟! فَيَطْوي شَكَاتي إِذَنْ
ضَمِيرُ الزَّمَانِ وَغَيْبُ آلْقَدَرْ

كَأَنَّ الأَسَى هَاجَ في مُقْلَتي
فَكَانَ دُمُوعًا وَكَانَ شَرَرْ

وَغَـيْظٍ أُكَـتِّـمُـهُ فِي الحَـشـا
يَكَـادُ لَهُ كَبِـدِي يَنْـفَـطِرْ

أَعِـرْنِي جَنَـاحَـكَ يَا صَاحِـبـي
فَأَهْـفُ على عَالَمِـي أَوْ أَطِـرْ

★ ★ ★

تَذَكَّـرْتَ مِمَّا مَضَـى رَبْوَةً[1]
قَضَـيْنَـا عَلَيْهـا الْمُـنَـى وَالْـوَطَـرْ

يَضِـجُّ بِسَـاحَـاتِهَـا فِتْـيَةٌ
تَهَادَوْا عَلَى جَنَـبَـاتِ الـعُـمُـرْ

فَيَفْـتَرِشُ الـبَـعْضُ عُشْـبَ الـثَرى
وَيَحْـتَـجِـبُ الـبَـعْضُ بَيْنَ آلْـشَّـجَـرْ

فَهـذا يُقَـلِّبُ صَفْـحَـاتِـهِ
وَهَـذا يُرَدِّدُ فِيها ذِكَـرْ

وَهَـذا على لَهْوِهِ مُقْـبِـلٌ
وَذَاكَ تَمَلْمَـلَ يَشْـكُـو الـضَّـجَـرْ

---

(١) الكلية العربية بالقدس على جبل المكبر .

أَتَــذْكُــرَ شَيْخــاً هُنَــاكَ جَلِيلاً[1]
أَبــاً لِشَــبــابٍ هُنَــاكَ ازْدَهَــرْ

لَهُ جَانِــبٌ أَبَــوِيٌّ رَقِــيْقٌ
وَحِــينَــاً لَهُ جَانِــبٌ كالْحَــجَــرْ

رَحِــيمٌ إِذَا نِلْتَ مِنْ عَفْــوِهِ
وَقَــاسٍ عَنِــيدٌ شَدِيدُ الخَــطَرْ

فَيَا قَلْبُ بَكِّ عَلى عَالِمٍ
طَوَاهُ الــزَّمَــانُ وَيَا دَمْــعُ جُرْ

فَهٰــذِي رُبُــوعٌ دَهَــاهَــا الــزَّمَــانُ
وَخَــلَّفَــهــا بَعْــدَ عَيْنٍ أَثَــرْ

وَهَــذَا هُوْ ٱلْــوَطَــنُ ٱلْمُــسْــتَــبَــاحُ
وَهَــذِي مَعَــالِمُــهُ تَنْــدَثِــرْ

وَهَــذا الــشَّــبَــابُ تَجَرَّدَ مِنْهــا
كَما يَتَــجَــرَّدُ غُصْــنُ الــشَّــجَــرْ

دَفَــنَّــا هُنَــالِــكَ أَحْــلامَــنَــا
لِتَــحْــمِــلَ مِنْهَــا الهَــوى وَالــعِــبَرْ

١٩٥٠

---

(١) الأستاذ المرحوم احمد سامح الخالدي عميد الكلية العربية بالقدس.

مداعبات مع الإخوان



إلى صَدِيقٍ أذْكِرُه بأيّام الدّراسَةِ في الكليَّة العَرَبيَّة بالقُدسْ

هذي فصولٌ مضت لا أبدَ راجعة

أيْنَ الحَيَاةُ وَأيْنَ آلْعِزُّ وَالطَّرَبُ
أيْنَ المَلاَعِبُ في أنْحَائِهَا نَثِبُ

كُنَّا نسيرُ وَتحْتَ الإبْطِ عُدَّتُنَا
فَهٰذِهِ صُحُفٌ أوْ هَذِهِ كُتُبُ

أوْ أنَّنَا فِرَقٌ لِلْدَّارِ حَامِيَةٌ
وَالدَّهْرُ يَنْظُرُ وَالآمَالُ تُرْتَقَبُ

أيْنَ آلصُّفُوفُ وَقَدْ ضَاقَتْ بِمَجْلِسِهَا
أيْنَ اُلمعَلِّمُ قُرْبَ اللَّوْحِ يَنْتَصِبُ

أيْنَ الشُّجَيْرَاتُ. وَالأحرَاشُ نَامِيَةٌ
وَبَيْنَهَا زُمَرُ آلطُّلاّبِ تَحْتَجِبُ

هَلَّا ذَكَـرْتَ رِفَـاقَـاً فِي جَوانِـبِـهَـا
يَضُـمُّـهُـمْ مِنْ ظِلَالِ الأَيْكِ مُضْـطَرِبُ

هَذِي فُصُـولٌ مَضَـتْ لَا بُدَّ رَاجِـعَـةٌ
وَسَـوْفَ نَطْعَـمُ مِنْهَـا كُلَّ مَا يَجِبُ

هَذِي ٱلْـبِـلادُ تُنَـادِيْنَـا وَدَعْـوَتُـهَـا
قَدْ رَدَّدَتْهَـا سَماءُ ٱلْـبِـيْدِ وَالهُـضُـبُ

هُبُّـوا إلى الـعِلْمِ وَاسْتَـعْصُـوا بِقَلْعَتِـهِ
فَإنَّ حِصْـنَ وَعِـزَّ الـدَّوْلَـةِ الأَدَبُ

هَذِي المَـعَـاقِـلُ آمَـالٌ لأُمَّـتِـنَـا
مَصَـانِـعٌ يَرْتَجِـيهَـا الشَّرْقُ وَٱلْـعَـرَبُ
١٩٤٤

★ ★ ★

ظلم الفرعون أفقده معاوله

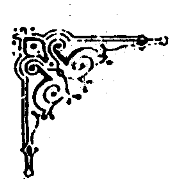
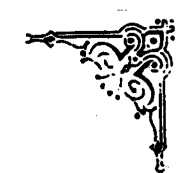
يَا مَنْ نَأى عَنْ رَوابِيْنَا وَخَلَّفَها
تَمُوجُ مِنْ عِطْرِ ذِكْراهُ وَتَضْطَرِبُ

وَفي جَوارِحِنَا شَوْقٌ يُرَدِّدُهُ
خَفْقُ الفُؤادِ، وَفي تَحْنَانِهِ عَتَبُ

رَحَلْتَ! وَالقَلْبُ صِدْقٌ، مَا تُوَدِّعُهُ
وَلا أَزَالَ مِنَ آلْعُتْبَى لَنَا سَبَبُ

وَكَانَ يَنْتَظِرُ الأَيَّامَ مُقْبِلَةً
بِالعِزِّ رَافِلَةً بِالخَيرِ تَقْتَرِبُ

أَمَا ذَكَرْتَ زَمَاناً في رُبَى صَفَدٍ
لَّما رَقِينَا شَبَاباً عِطْرُهُ الأَدَبُ

وَالـشِّـعْـرُ يَخْرُجُ مِنَّـا دُونَ مَا نَصَـبٍ
وَقَـدْ تَكَـلَّفَـهُ الأَعْـجَـامُ وَالـعَـرَبُ

* * *

رَحَـلْتَ وَالـسَّـعْـدُ يَمشي في رِكَـابِـكُـمُ
وَمَـطْلَعُ الـعِـزِّ مَرْمُـوقٌ وَمُـرْتَـقَـبُ

ذَهَـبْـتَ تَطْلُبُ لِلْعَـلْيَاءِ مَنْـزِلَـةً
وَقَـدْ يَنَـالُ الـعُـلَا مَنْ نَالَـهُ الـتَّـعَـبُ

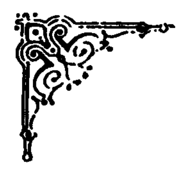
عَرِّجْ على الـنِّـيلِ وَاخْـطُر في جَوَانِـبِـهِ
وَانْـظُرْ رُسُـومَـاً مَشَتْ في رَبْـعِـهَـا الحِقَبُ

وَاقْـرَأْ صَحَـائِـفَ في أَرْجَـائِـهَـا نُشِرَتْ
قَدْ خَطَّهـا الـدَّهْـرُ وَالأَحْـدَاثُ والـنُّـوَبُ

وَانْـظُرْ إلى الهَـرَمِ الـعَـالِي وَرَوْعَـتِـهِ
وَمَجْـدِهِ وَهْـوَ خَلْفَ الأُفْـقِ يَحْتَـجِـبُ

وَانْـظُرْ لِصَـفْـحَـةِ عَمْـرٍو وَهِـيَ نَاشِرَةٌ
نُوراً تَلألأَ مِنْـهُ الـنِّـيْلُ وَالهُـضُـبُ

فَهَـذِهِ عِبْرَةُ المَـاضِي لِمُعْـتَـبِرٍ
وَهَـذِهِ حِكَـمُ الأَيَّامِ وَالخُـطَبُ




ظُلْمٌ لِفِرعَونَ أَفْنَتْهُ مَعَاوِلُهُ
وَعَدْلُ أَحْمَدَ بَاقٍ لَيسَ يُنْتَهَبُ

★ ★ ★

لاَ تَبْكِينَّ على مَاضٍ إِذَا عَرَضَتْ
أَطْيَافُ ذِكْرَى طَوَتْهَا دُونَنَا الحُجُبُ

كُنَّا هُنَالِكَ أَبْطَالَ المعارِكِ لاَ
نَخْشَى الحُتُوفَ وَتَمْضِي دُونَنَا القُضُبُ

وَالخَيْلُ جَارِيَةٌ تُورِي سَنَابِكُهَا
قَدْحاً وَيَنْشُبُ مِنْ أَكْتَافِهَا العَطَبُ

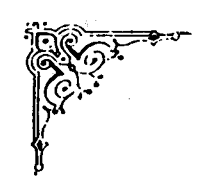
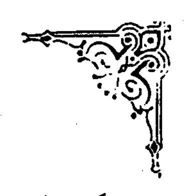
حَتَّى رَفَعنَا العُلاَ وَالدِّيْنُ يَعْمَدُهُ
كأَنَّهُ قَلْعَةٌ أَوْ مَعْقِلٌ أَشِبُ

★ ★ ★

فَجُدَّ لِلْعِلْمِ! إِنَّ العِلْمَ يَنْفَعُنَا
إِذَا تَعَانَقَ فِيْهِ الدِّيْنُ وَالأَدَبُ

وَإِنَّما العُمْرُ حَرْبٌ في مَنَازِلِهَا
تَصَارَعَتْ قُوَّتَانِ : الصِّدْقُ وَالكَذِبُ

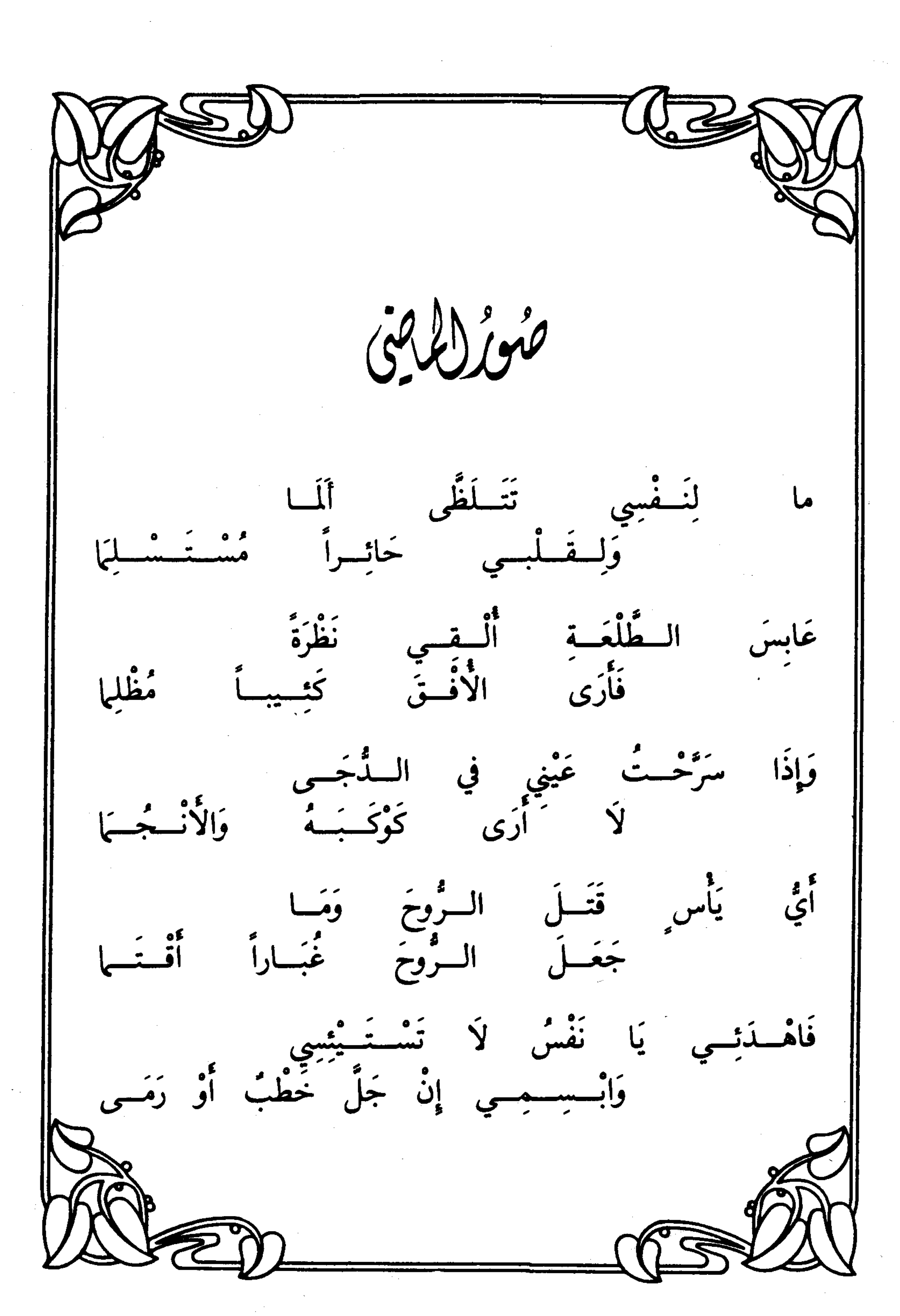
وَجَوْلَةٍ ضَرَّسَتْ فِيهَا أَخَا كَذِبٍ
وَهَرْوَلَتْ خَاسِئَاتٍ دُونَهَا الرِّيَبُ

يَعــلو بِها الحــقُّ خَفَّــاقَــاً برَايَتِــه
وَثَّــابَــةً حَولَهــا فِتْــيَانُــهُ الــنُّــجُــبُ

١٩٤٥

★ ★ ★



صُوَرُ الماضي

ما لِنَفْسِي تَتَلَظَّى أَلَما
وَلِقَلْبِي حَائِراً مُسْتَسْلِمَا

عَابِسَ الطَّلْعَةِ أُلْقِي نَظْرَةً
فَأَرَى الأُفُقَ كَئِيباً مُظْلِما

وَإِذَا سَرَّحْتُ عَيْنِي في الدُّجَى
لَا أَرَى كَوْكَبَهُ وَالأَنْجُمَا

أَيُّ يَأْسٍ قَتَلَ الرُّوحَ وَمَا
جَعَلَ الرُّوحَ غُبَاراً أَقْتَما

فَاهْدَئِي يَا نَفْسُ لَا تَسْتَيْئِسِي
وَابْسِمِي إِنْ جَلَّ خَطْبٌ أَوْ رَمَى

وَانْــظُرِي حَوْلَــكِ هَذا صَاحِــبٌ
يَبْــعَــثُ الــعَــزْمَ وَيُحْــيِي الهِــمَــمَا

فِي رُبَــى بَيْرُوتَ يَسْــتَــجْــدِي الهَــوى
وَمَــهَــا بَيروتَ تَأْبَــى الــكَــرَمَــا

فَسَــلُوا بَيروتَ عن لِذَّاتِــهِ
وَسَــلُوا الــغَــادَاتِ عَمَّا كَتَــمَا

وَسَــلُوا الأَرْزَ وَمَــا جَاوَرَهُ
هَلْ يُعِــيدُ الأَرْزُ مَا قَدْ عَلِمَا

أَوْ سَلُونِي أَنَــا مَنْ صُحْــبَــتُــهُ
صَفْــوَةُ الــنَّــاصِــحِ أَهــدى الــسَّــلَمَا

★ ★ ★

إِيهِ يَا صَاحِ سَلاَمٌ طَيِّبٌ
رَدَّدَ الــطَّيْرُ صَدَاهُ نَغَــمَا

إِيهِ يَا صَاحِ سَلاَمٌ خَالِصٌ
يَرْفَــعُ الــعَــتْــبَ وَيَنْــفِــي الــتــهَــمَا

إِنَّــمَا الــتَّــحْــرِيرُ هَذا صَفْــحَــةٌ
سَطَّرَ الــشَّــوْقُ عَلَيْهِ الــكَــلِمَا

عُدْتُ لِلذِّكْرى وَمَا أَجْمَلَهَا
وَكَأَنِّي قَدْ ذَكَرْتُ الحُلُمَا

كم رَتَعْنَا تَحْتَ ظِلٍ وَارِفٍ
وَطَرِبْنَا وَحَفِظْنَا الذِّمَمَا

نَفْتَحُ الصَّفْحَةَ نُحْيي أَحْرُفَاً
يَسْأَلُ العَارِفُ عَمَّا عَلِمَا

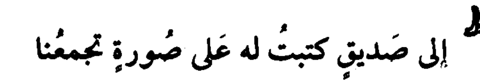
صُوَرُ الْمَاضِي وَمَا أَجْمَلَهَا
هَلْ يُعِيدُ الدَّهْرُ عَهْداً قَدُمَا

أَنْتَ في بَيْرُوتَ تُحْيي أَمَلاً
وَأَنَا في القُدْسِ أُحْيي أَلَمَا

١٩٤٦

* * *




إلى صَديقٍ كتبتُ له عَلى صُورةٍ تجمعُنا

صورة

صُورَةٌ تُبْدِي إلَيْكَ العَجَبَا
تَجْعَلُ النَّائِي كأَنْ قَدْ قَرُبَا

فَلَكَ الذِّكْرَى وَمَا أَجْمَلَهَا
تَبْعَثُ الماضِي إذَا مَا احْتَجَبَا

لاَ يَزَالُ الذِّكْرُ سُلْوَاناً لِمَنْ
كَتَبَ الدَّهْرُ عَلَيْهِ النُّوَبَا

١٩٤٥

★ ★ ★

أُجْرِيَتْ عمليّة جراحيّة لأحد الأصدقاء.

وطبيبٍ غارقٍ في طبِّهِ

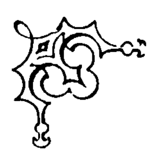
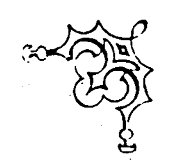
سَلْ يَدَ «الدُّكْتُورِ» مَاذَا فَعَلَتْ
وَسَلِ السِّكِّينَ مَاذَا جَرَحَا

أَيُّ جَنْبٍ مِنْكَ آذَوْهُ وَلَمْ
يُشْفِقُوا فِي شَقِّهِ فَانْفَتَحَا

غَائِبٌ فَوْقَ سَرِيرٍ لَمْ تَكُنْ
تَعْلَمُ الأَمْرَ وَمَا قَدْ سُفِحَا

وَطَبِيبٍ غَارِقٍ فِي طِبِّهِ
كَشَفَ الجِسْمَ وَأَبْدَى القُرَحَا

بَاسِمَ الطَّلْعَةِ خَفَّتْ يَدُهُ
وَيَدُ اللَّهِ تُتِمُّ الفَرَحَا

شَعَّتِ السِّكِّينُ في أَنْمُلِه
وَتَلاَلَتْ فَهْيَ سِرٌّ فُضِحَا

لاَنَتِ السِّكِّينُ حَتَّى إِنَّني
خِلْتُ عِيسى مَدَّهَا كَيْ يَمْسَحَا

فَهَنِيئاً وَسَلاَماً، كُلُّ جَا
رِحَةٍ تُبْدِي إِلَيْكَ المَرحَا

لَعِبَتْ بَيْنَ ثَنَايَا أَضْلُعِي
لَوْعَةُ آلْشَّوْقِ وَذِكْرُ سَرَحَا

أَيْنَ دَارٌ[1] خَارِجَ القُدْسِ! نَأَتْ
أَيْنَ صَحْبِي! أَيْنَ صَحْبِي! نَزَحَا

يَوْمَ كُنَّا نَشْتَكِي الدَّرْسَ وَلَمْ
نَدْرِ مَا مَعنَى الأَسَى وَالتَّرَحَا

يَوْمَ غَطَّى آلْثَّلْجُ أَطْرَافَ الثَّرَى
فَتَرَاهُ غَازِياً مُكْتَسِحَا

فُرِّقَ آلْطُّلاَبُ! هذا وَاثِبٌ
يَتَلَقَّى الثَّلْجَ وَالبَعْضُ انْتَحَى

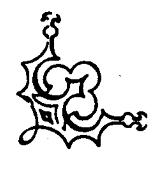
(١) الكلية العربية بالقدس على جبل المُكَبِّر.

فقــويٌّ ثابــتٌ في حَرْبــهِ
وَضَــعِــيفٌ في الـثَّـرَى قَدْ طُرِحَـا

سُنَّــةُ الـدَّهْــرِ عَلى عِلاَّتِــهِ
كَتَــبَ الـدَّهْـرُ وَلَـكِـنْ مَا مَحَا

١٩٤٦

★ ★ ★





رجل هَجا بأبياتٍ منَ الشّعر مَدينة صَفَد فبعَثتُ له بهذه الأبيات.

فاقصد هواك إذن فأنت أسيره

صَفَــدُ أَتَــتْــكِ مَذَمَّــةُ الأَعْــدَاءِ
وَمَــقَــالَــةُ الحُــسَّــادِ في الأَبْــنَــاءِ

نَسَــجَــتْ يَدُ الحِقــدِ الــدَّفِــينِ سِيَاجَــهَــا
وَغَــشَــتْ نَوَاظِــرَهُــمْ يَدُ الأَهْــوَاءِ

وَالحِــقْــدُ يَبْــعَــثُــهُ الــتَّــفَــاوُتُ في الــعُــلاَ
لاَ بَيْنَ أَنْــدادٍ لهُ أَكْــفَــاءِ

فَلَقَــدْ طَوَاكِ الــعِــزُّ في أَثْــوَابِــهِ
وَلَــبِــسْــتِ أَبْهَــى حُلَّةٍ وَرِدَاءِ

★ ★ ★

يَا شَاعِــراً وَالــضَّــادُ تَخْجَــلُ أَنْ تَرا
كَ مُصَــاوِلاً في جُمْلَةِ الــشُــعَــرَاءِ

مَا كُلُّ مَنْ قَدْ قَالَ بَيْتاً شَاعِراً
لَقَبٌ تَبِينُ عَلَيْهِ كالأَقْذَاءِ

أَنْتَ العَقُوقُ وَقَدْ رَوَاكَ نَمِيرُهَا
فَشَبَبْتَ تُنْكِرُ نِعْمَةَ الآبَاءِ

أَوَلَا تَرَى نِعَماً تَفِيضُ بِأَرْضِهَا
حَتَّى جَزَيْتَ نَعِيمَهَا بِهِجَاءِ

وَالعَيْنُ إِنْ كَثُرَ ٱلضِّيَاءُ ضَرِيرَةٌ
أَوَ هَلْ يُرَى بِالْمُقْلَةِ العَمْيَاءِ

فَحَذَارِ يَا هَذَا فَإِنِّي نَاصِحٌ
لَكَ...! إِنَّ شِعْرِي نَفْثَةُ الرَّقْشَاءِ

أَسْقِيكَ بِالكَأْسِ الَّتِي أَعْدَدْتَهَا
لِسِوَاكَ بَيْنَ جَوَانِبِ الغُرَبَاءِ

أَهَجَوْتَهَا إِذْ لَمْ تَجِدْ لَكَ مَرْقَصاً
وَخَلَاعَةً بِمَنَازِلِ ٱلْكُرَمَاءِ

فَاقْصِدْ هَوَاكَ إِذَنْ فَأَنْتَ أَسِيرُهُ
إِنَّ الهَوَى هُوَ آسِرُ الجُهَلَاءِ

١٩٤٤

★ ★ ★

صديق كريم أحبّ فتاة وباح لي بحبّه. وكان حبّه هنالك في دير الزور.

يا ساكن الدير

يَا سَاكِنَ الدَّيْرِ هَلْ فِي الدَّيْرِ رُهْبَانُ
أَمْ هَلْ حَوَالَيْكَ عُشَّاقٌ وَغُزْلَانُ

مَا كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ الدَّيْرَ دَارُ هَوًى
وَأَنَّ مَنْ بِنَوَاحِي الدَّيْرِ قَدْ لَانُوا

كَأَنَّمَا ٱلْقَلْبُ نَاقُوسٌ إِذَا خَفَقَتْ
أَضْلَاعُهُ وَكَأَنَّ ٱلْعَيْنَ أَلْحَانُ

أَقَامَ فِي ٱلشَّامِ لَمْ تَخْفِقْ جَوَانِحُهُ
وَلَمْ يَكُنْ لِخِلَافِ ٱلشَّامِ حُسْبَانُ

كَأَنَّمَا بَرَدَى لَمْ تُجْدِ رُقْيَتُهُ
وَلَمْ يُعَانِقْكَ فِي ضَفَّاتِهِ الْبَانُ

★ ★ ★

ثُمَّ انْثَنَيْتَ عَنِ الْعَاصِي وَضَفَّتِهِ
وَشَأْنُ أَهْلِ «حَمَا» صِدْقٌ وإِحْسَانُ

حَتَّى نَزَلْتَ على «ٱلْفَوْرَاتِ» ذَا ظَمَأٍ
فَهَبَّ يَرْوِيكَ عِنْدَ الدَّيْرِ جِيرَانُ

كَأَنَّمَا ٱلْغِيدُ أَزْهَارٌ رَوَائِحُهَا
عِطْرُ ٱلشَّبَابِ وَهَذِي الأَرْضُ بُسْتَانُ

تَطُوفُ فِيهِ وَتَجْنِي مِنْ أَزَاهِرِهِ
وَتَنْتَقِي: فَبِهِ وَرْدٌ وَرَيْحَانُ

هُنَاكَ في ٱلدَّيْرِ كَمْ نَاجَيْتَ شَارِدَةً
وَكَمْ رَنَتْ لِحَسَانِ الْحَيِّ أَجْفَانُ

★ ★ ★

شَكَوْتَ لي غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَجِدْ أَحَداً
أَشْكُو إِلَيْهِ وَفي جَنْبَيَّ نِيرَانُ

هَوَاكَ غِيدٌ وَتَشْكُو مِنْ لَوَاحِظِهَا
لَكِنْ هَوَى أَضْلُعِي دِينٌ وَأَوْطَانُ

١٩٥١

★ ★ ★

حِينَ رحل في طلب العلم.

فاقرأ بعينيه السلام

مَنْ لِلْفُؤادِ إذَا رَحَلْـ ـتَ وَمَنْ يَحِنُّ وَمَنْ يُعْينُهْ

عصرَ الجَوَى يَوْمَ الوَدَا عِ حَنَانُهُ فَجَرتْ شُؤونُهْ

أَلْوَيْتَ... ! لَمْ تَبْسِمْ وَعَهْـ ـدِي بالإخَاءِ تُرَى دُيُونُهْ

فَرَجَعْتُ لِلْرَّسْمِ الْمُصَوْ وَرِ لَمْ تَجِدْ عَنِّي عُيُونُهْ

عَيْنَاهُ تَنْطِقُ بالوَفَا شَرَحَتْ مَعَانِيَهُ جُفُونُهْ

وَشِــفَــاهُــهُ كَادَتْ تَبَــسْـ
ـسَـمُ وَالــرضَــى كَادَتْ تَبِــيـنُــهْ

لَوْ أَمْــهَــلَ الــتَّــصْــوِيرَ صَا
حِبُــنَــا وَلَمْ تَعْــجَــلْ يَمِــيـنُــهْ

فَارْجِعْ لِرَسْــمِــيَ إِنْ أَضَرْ
رَ بِكَ الــنَّــوَى وَقَــسَــتْ شُجُــونُــهْ

فَحَــدِيثُــهُ سَلْوى وَفي
عَيْنَــيْهِ يُعْــلَــمُ مَا أَنِــينُــهْ

كَيْما يُعِــيدُكَ لِلِّقَــا
وَتَــسِــير بِالــذِّكْــرَى سَفِــينُــهْ

فَهُــنَــاكَ في حَلَبٍ وذكـ
رَاهَــا يَرِقُّ لَهَا حَنِــينُــهْ

فَهُــنَــاكَ قَدْ عَرَفَ الهَــوَى
وَقَــدِ اسْــتَــبَــدَّ بِهِ جُنُــونُــهْ

وَهُــنَــاكَ قَدْ صَدَحَ الهَــوَى
نَغَــمَاتِــهِ وَدَوَى رَنِــيـنُــهْ

مَا لاَمَــهُ أَحَــدٌ وَلاَ
ذَكَــرُوا هُنَـالِــكَ مَا يَشِــينُــهْ

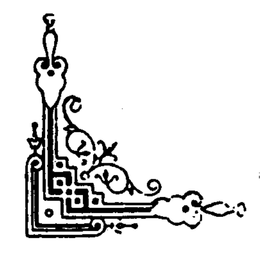
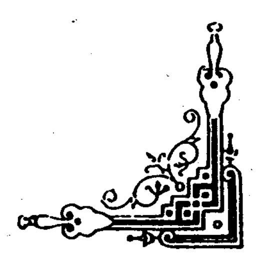
خُلُقٌ لَهُ وَشَــمَائِــلٌ
طَابَــتْ وَطَــابَ بِهَا خَدِينُــهْ

فَذَهَــبْــتَ وَانْــفَــرَطَ الــصِّــحَــا
بُ وَعَــادَ يَطْوِيهِ حَنِــينُــهْ

فَاقْــرَأْ بِعَــيْنَــيْهِ الــسَّــلاَ
مَ وَقُــلْ بِرَبِّــكَ مَنْ يُعِــيْنُــهْ

١٩٥٠

★ ★ ★

فهرس الكتاب

- ديوان الأرض المباركة – الطبعة السادسة .
- ديوان موكب النور – الطبعة الرابعة .
- ديوان جراح على الدرب – الطبعة الثالثة .
- ديوان مهرجان القصيد – الطبعة الأولى .

* * *

- ملحمة الغرباء – الطبعة الثالثة .
- ملحمة القسطنطينية (فتحان) – الطبعة الثانية .
- ملحمة الجهاد الأفغاني – الطبعة الثالثة .
- ملحمة فلسطين – الطبعة الخامسة .
- ملحمة الأقصى – الطبعة الثانية .
- ملحمة الإسلام في الهند – الطبعة الأولى .
- ملحمة البوسنة والهرسك – الجريمة الكبرى – الطبعة الثانية .

* * *

- على أبواب القدس – الطبعة الثانية .
- فلسطين بين المنهاج الرباني والواقع – الطبعة الرابعة .
- الصحوة الإسلامية إلى أين ؟ – الطبعة الثالثة .
- عبدالله عزام . أحداث ومواقف – الطبعة الأولى
- فلسطين بين المنهاج الرباني والـواقع – (مترجم إلى اللغة التركية) الطبعة الأولى .
- فلسطين بين المنهاج الرباني والواقع – مترجم إلى اللغة الانجليزية – الطبعة الأولى

* * *

- دراسة انتشار الموجات الإلكترومغناطيسية المتوسطة (باللغة الإنجليزية) – الطبعة الأولى .

كتب للمؤلف

- دور المنهاج الرباني في الدعوة الإسلامية – الطبعة السادسة.
- الشورى وممارستها الإيمانية – الطبعة الثالثة .
- الشورى لا الديمقراطية – الطبعة الرابعة.
- لقاء المؤمنين – الجزء الأول – الطبعة الرابعة .
- لقاء المؤمنين – الجزء الثاني – الطبعة الثانية .
- لقاء المؤمنين – الجزء الأول – (مترجم إلى اللغة التركية) .
- منهج المؤمن بين العلم والتطبيق – الطبعة الثالثة .
- التوحيد وواقعنا المعاصر – الطبعة الثانية .
- العهد والبيعة وواقعنا المعاصر – الطبعة الثالثة .
- النهج والممارسة الإيمانية في الدعوة الإسلامية – الطبعة الرابعة .
- النيّة في الإسلام وبعدها الإنساني – الطبعة الأولى .
- الولاء بين منهاج الله والواقع – الطبعة الثانية .
- الحوافز الإيمانية بين المبادرة والالتزام – الطبعة الثانية .
- نهج الدعوة وخطة التربية والبناء – الطبعة الثانية .
- منهج لقاء المؤمنين – الطبعة الأولى .
- «خطة الدّاعية The Caller's Plan» (باللغة الانجليزية) – الطبعة الأولى .
- أضواء على طريق النجاة – الطبعة الأولى.

* * *

- الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته – الطبعة الثالثة.
- الحداثة في منظور إيماني – الطبعة الرابعة.
- تقويم نظرية الحداثة وموقف الأدب الإسلامي منها – الطبعة الثانية .

* * *